

د. إسماعيل عبد الفتاح

الدار الثقافية للنشر


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القيم السياسية
فى الإسلام

د. إسماعيل عبد الفتاح

الدار الثقافية للنشر

العنوان : القيم السياسية فى الإسلام
إعداد: د. إسماعيل عبد الفتاح
عدد الصفحات: 168 17 x 24
رقم الإيداع: 2000/16555

Alkeam Elseasea fi Eleslam
Asmael Abd Elfatah
17 x 24 cm. 168 p.
I.S.B.N: 977-339-014-4

الطبعة الأولى

1421هـ / 2001م

الدار الثقافية للنشر- القاهرة

ص ب 134 بانوراما أكتوبر-11811- تليفاكس 4027157 - 4172769

Email:sales@thakafia.com

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح والدي طيب الله ثراه

الذي غرس في نفسي أسمى القيم

منذ نعومة أظافري

أهدي لروحه الطاهرة ثواب هذا العمل

إسماعيل



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والرسل والخلق أجمعين سيدنا ونبينا محمد ﷺ ••• وبعد •••

تعتبر القيم عنصراً رئيسياً في تشكيل ثقافة أي مجتمع •••

فالقيم هي المثاليات العليا للأفراد وللمجتمع ، كما أن القيم تلعب دوراً كبيراً في إدراك الأفراد للأمور حولهم وكذلك تصورهم للعالم المحيط بهم ، فهي تُعبر عن البيئة أحسن تعبير[1] .

كما أن القيم تعتبر مرتكزات أساسية تقوم عليها عملية التفاعل الاجتماعي ، فهي تعتبر جانباً هاماً من جوانب البنية الفوقية للمجتمع •

ولذلك ، نجد أنه مع كل تغيير في التركيب البنائي للمجتمع لابد أن تتغير القيم لتواكب التركيب البنائي الجديد للمجتمع ، وينشأ صراع قيمي بين القيم الجديدة أو المستهدفة من التغيير والقيم السائدة بالفعل في المجتمع •[2] .

وإذا نظرنا لجوهر القيم ، فنجد أنها تتضمن عنصر الانتقاء والتفضيل مما يجعلها تختلف من مجتمع لآخر ، بل تختلف عند الشخص الواحد تبعاً لرغباته واحتياجاته وتنشئته ، وبذلك يتكون ترتيب هرمي للقيم مما يترتب علي ذلك أن تتشكل بعض القيم من خلال القيمة العليا للمجتمع و من خلال النسق القيمي للفرد والمجتمع[3] •

---

(١) د. فاروق يوسف ، القيم الاجتماعية وإدراك الحقائق السياسية ، القاهرة مجلة النيل ، العدد السادس يناير ١٩٨١ ، ص ١٧ - ٢٠ .

(٢) د. محمد الهادي عفيفي ، التربية والتغير الثقافي ، القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٢٢٤ .

(٣) سعيد عبد الحميد السعدني : القيم التربوية والقصص القرآني ، رسالة ماجستير ، بكلية تربية عين شمس عام ١٩٨٢ ، ص ٦٢ .

والقيم أيضاً هي المثاليات والغايات للفرد وللمجتمع ، وأصبحت القيم السياسية الآن أحد عناصر التقدم الحضاري والتنموي في عالمنا المعاصر .

ولذلك ، فسوف نتناول في هذا الفصل دراسة القيم بصورة عامة ثم القيم السياسية بصفة خاصة لنتعرف على المفهوم الشامل لها .

الفصل الأول

القيم السياسية

تنبع القيم من نسيج الخبرة الإنسانية ، فالأشياء لا ترتبط بالقيم لسر كامن فيها ولذلك فأنها جزء لا يتجزأ من كيانها ، فالأشياء بالنسبة لوجهة النظر الطبيعية التجريبية حيادية أي ليست قيمة أو عديمة القيمة . فالإنسان حيوان مقوم ، كما يقول "كلابد كلا كون " [1]، فهو دائما أبدا ، وفي كل زمان ومكان ، يقوم الأشياء ، أي يصدر أحكاما قيمية عليها ، فهذا له قيمة وذاك ليس له قيمة ، وهذا طيب وذاك خبيث ، وهذا أحسن من ذلك ، وعملية التقويم هذه لا تتضح فحسب ، في مجال التعبير اللفظي بالاستحسان والاستهجان ، بل أن مجالها أساسا هو مجال السلوك ، والأفعال والتفضيل والاختيار .

وإذا كانت الثقافة في أحد مفاهيمها العامة هي : الرؤية الشاملة للحياة ، فهي تتألف في ناحية من مجموعة القيم المستمرة والمستمدة من مصادر أربعة هي : الدين - الأدب - اللغة - البيئة ، ومن ناحية أخري ، تتألف هذه القيم من مجموعة أفكار عامة مثل الحرية والوطنية والديمقراطية والعدالة والجمال والفضيلة ، ولذلك تعتبر هذه القيم والأفكار بالغة التأثير في توجيه السلوك وفي رسم صورة مثلي لحياة الإنسان . إذن ، فإنه كلما كان التزام المجتمع ومكوناته بقيم معينة أكبر ، كلما كانت الروح الحضارية في ذلك المجتمع أرقي وأسمي ، فالقيم هي قبل كل شيء : " علاقة تقوم بين الذات الإنسانية وبين الواقع وما به من موضوعات وأحداث "[2] .

كما أن سقوط أو انعدام القيم يعني سقوط الذات الفاعلة للثقافة ، وانحدار فاعلية الذات المبدعة ، وبالتالي الافتقار إلي رابط يشد الذات إلي موضوعها[3] . وعلي ذلك فإن دراسة ما هي القيم تتضمن :

---

(١) د. فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، القاهرة ، دار الكاتب العربي ١٩٦٦ - ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) د . أميرة حلمي مطر مقالات فلسفية حول القيم والحضارة (القاهرة مكتبة مدبولي - بدون) ص ٦٦ .

(٣) د. تركي الحمد ، عندما تسقط القيم ، الرياض ، جريدة الرياض ، العدد ٦٨٣٣ .

١- أهمية وضرورة دراسة القيم . ٢- التعريف بالقيم .
٣- التعريف بالقيم الاجتماعية . ٤- خصائص القيم .
٥- التفرقة بين القيم والمعايير والاتجاهات الاجتماعية . ٦- تصنيف القيم .

١- أهمية دراسة القيم :

تواجهنا عند دراسة مفهوم القيم الكثير من الصعوبات أهمها أن الاهتمام بهذا المفهوم حديث جداً إذا ما قورن بدراسة مفاهيم أخري مثل الاتجاهات والمعتقدات والآراء والسلوكيات(١) . ومع ذلك فإن الفلاسفة القدامى والمحدثين عرفوا مفهوم القيمة منذ عهد بعيد ولكنهم عبروا عنه بأسماء "الخير" و" الخير الأسمى " و" الكمال ، ولذلك فإذا تمعّنا في فلسفة أفلاطون - في جوهرها ومضمونها - نجدها فلسفة قيم وكذلك آراء الفلاسفة كلهم إذا ما نفذنا إلي أعماقها وجدناها فلسفة قيميه في صيغة مستترة(٢) .

ورغم أهمية تناول الفلسفة لمفهوم القيم ، إلا أن أهمية دراسة القيم لا تقف داخل نطاق الفكر الفلسفي وحده ، بل تتعداه ، فالقيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها ذلك لأن القيم "ضرورة اجتماعية"(٣) ، ولأنها معايير وأهداف لابد أن نجدها في كل المجتمعات المنظمة سواء أكان متأخراً أم متقدماً ، فهي تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات ، وتظهر في السلوك الظاهري الشعوري واللاشعوري ، وفي المواقف التي تتطلب ارتباط هؤلاء الأفراد بعضهم البعض ، فالقيم تعبر عن نفسها في قوانين ولوائح وبرامج التنظيم الاجتماعي والنظم الاجتماعي .

وتتضح أهمية القيم وتحديد مفهومها من جوهر تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية ، فإذا كان تعلم الفرد للقيم يتم من خلال تفاعل الفرد مع البيئة الاجتماعية في العديد من المواقف ، فمما لا شك فيه أن هناك مصادر تُستّمد منها القيم مثل : الدين والمعتقدات والتراث والعلاقات الاجتماعية والثقافية ، كما تُعتبر القيم جزءاً هاماً في الإطار المرجعي للسلوك في الحياة العامة وفي مجالاتها المختلفة دينياً وعلمياً واجتماعياً واقتصادياً

(1)Rokeach, M, The Nature of Human Values, (London : Collier of Macmillan Publishers,75,) P.17

(٢) د. فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٣) راجع : د. فوزية دياب ، المرجع السابق ، ص ١٦ .

وسياسياً وفنياً. كما تلعب القيم دوراً هاماً في حياة الفرد ، وبالتالي يجب علينا الاهتمام بما نقدمه من قيم من خلال وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري .

ونجد أن القيم ولدراستها ضرورة وأهمية علي المستويين الفردي والجماعي[1] :

فعلي المستوي الفردي : نجد أن المرء في حاجة ماسة في تعامله مع الأشخاص والمواقف والأشياء إلي نسق أو نظام للمعايير والقيم ، ويكون هذا النظام بمثابة : موجهات لسلوكه ، وطاقات ودوافع لنشاطه ، وبديهي أنه إذا غابت القيم أو تضاربت ، فإن الإنسان يغترب عن ذاته . . وعن مجتمعه ، بل ويفقد دوافعه للعمل ويقل إنتاجه ويضطرب . وعلي المستوي الجماعي : فإن أي تنظيم اجتماعي في حاجة إلي نسق للقيم يشابه تلك الأنساق القيمية الموجودة لدي الأفراد ، فيُضمنه أهدافه ، ومُثله العليا التي عليها تقوم حياته ونشاطاته وعلاقاته ، فإذا ما تضاربت القيم أو لم تتضح فإنه سرعان ما يحدث الصراع القيمي الاجتماعي الذي يدفع بالتنظيم الاجتماعي إلي التفكك والانهيار .

إذن فأهمية دراسة القيم تتبع من جوهر القيم كنظرة تقويمية دائمة إلي الواقع والمحيط الاجتماعي العام الذي فيه يعيش الإنسان وتمارس الذات فاعليتها من خلاله ، فالقيمة دائماً وأبداً بحث متواصل عن المُثل في الواقع ، ومحاولة تشكيل أو إعادة تشكيل هذا الواقع وفقاً للمُثل التي نُعبر عنها بالقيم[2] . فالقيم تشكل باعثاً علي السلوك الخلاق كما أن القيم تزرع نحو المستقبل الدائم ، فهي دائماً واعدة إلي غد أفضل من اليوم والأمس ، كما أن الحضارة لا تقوم إلا علي القيم والمُثل قبل أي شئ آخر .

إن للقيم أهمية خاصة في حياة الفرد والمجتمع ، فبها تتشكل الثقافة ، وعن طريقها يبدو طريق النمو والتقدم ، ومن وخلالها تتأكد الروابط والعلاقات الاجتماعية ، فأهميتها ترجع إلى أنها لا تقف عند مستوى الفكر الفلسفي بل تتعداه لأنها تتغلغل في حياة الناس أفرادا وجماعات ، وترتبط عندهم بمعنى الحياة ذاتها ، لأن القيم ترتبط بدوافع السلوك وبالآمال والأهداف[3] .

(١) راجع : ضياء زاهر ، القيم في العملية التربوية ، القاهرة - مؤسسة الخليج ١٩٨٤ ، ص ٨ ، ٩ .

(٢) راجع : د . زكي الحمد : عندما تسقط القيم ، مرجع سابق ، ص ٥ .

(٣) د. نجيب اسكندر ، د. محمد عماد الدين إسماعيل ، د. رشاد منصور ، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية (القاهرة - نهضة مصر - ٦٢) ص ٣ .

٢- التعريف بالقيم :

تتنوع وتتعدد تعريفات القيم تبعا للإطار المرجعي الذي يخضع له الباحث ، ولذا فان هناك العديد من التعريفات الخاصة بالقيم والتي تنبع من اعتبارها موجهات السلوك أو العمل ، ومعنى ذلك أن مجموعة القيم التي يعتنقها شخص من الأشخاص هي التي تحركه نحو العمل ، وتدفعه إلى السلوك بطريقة خاصة ، بل وتتخذ القيم مرجعا للحكم على السلوك سواء أكان مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه(١) ونستعرض بعض هذه التعريفات :

أولا : يؤكد بارسونز Parsons على أن القيم عنصر لنسق رمزي مشترك يعتبر معيارا أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي تظهر في المواقف المختلفة ، فالقيم عند بارسونز تمثل محورا من محاور واقعية السلوك (٢) . كما وصف بارسونز القيم بأنها أنماط ثقافية شاملة ذات جذور في التقاليد الدينية وهي بذلك تظل محافظة علي استقرارها(٣) .

ثانياً : يعرف روكيش Rokeach القيم بأنها عبارة عن " اعتقاد دائم بأن نمطاً معيناً من السلوك أو حالة غائية من الوجود متصل شـــخصياً واجتماعيا (٤) ، فالقيم في

---

(١) راجع في تعريف القيم :-

-Freedmen. B. Foundation of the Measurement of values. New York: Columbus University: Teaches Collage:1946 . PP.41- 42 .

- Reacher. N. Introduction to Values. New Jersey: Prentice Hall. Inc: Englewood Cliffs:1969 P.20 .

وأيضا د. نازلي إسماعيل حسن ، الإنسان والقيم في الشرق والغرب ، القاهرة - بدون جهة نشر - ١٩٨١، ص ١٩ - ٢٣ .

و د٠عطية محمود هنا ، القيم : دراسة تجريبية مقارنة - القاهرة : المطبعة العالمية - ١٩٥٩م ، ص ص ٤٥٣ .

(2) Parsons. T, the Social System, New Delhi : Amerid publishing : 1972 , P, 12 , P . 24.

(٣) راجع أيضاً : د. محمد علي محمد ، د . السيد الحسيني وآخرون : دراسات في التنمية الاجتماعية ، القاهرة - دار المعارف ٨٤ ط ٥ ، ص ٣٤٤ .

(4) Rokeach. M, The Nature of Human Values, Op, Cit., p. 5.

ويؤكد أيضاً في صفحة ١٦٨ أن القيم تتمثل في اعتقاد يتسم بنوع من الثبات ويغلب عليه طابع التقويم ، كما تتمثل في نوع من التفضيل أو عدم التفضيل لسلوك معين أو أنه حالة معينة تعد مفضلة لديه من الوجهة الشخصية والاجتماعية علي باقي بدائل السلوك والغايات .

نظره هي معايير مثالية توجه السلوك من داخل الفرد أي أنها في جوهرها شخصية في حين أن المعايير الاجتماعية تُمثل قواعد أو توقعات من الجماعة لسلوك أو اتجاه معين ، أي أن مصدرها جماعة وليس الفرد[1] .

ثالثاً : وتعرف القيم بأنها مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة ، ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولاً من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجسد في سياقات الفرد وسلوكه واتجاهاته ومعتقداته[2]. فالقيم ما هي إلا مُحصلة تفاعل الإنسان ، بإمكانياته الشخصية ، مع متغيرات اجتماعية وثقافية معينة ، لذلك فإنها محدد أساسي من المحددات الثقافية للمجتمع .

فالقيم هي تصورات عامة لما هو مرغوب فيه علي مستوي أكثر عمومية ، كما تشير إلي ذلك ، فالمُثل الأعلى لا يتحقق إلا بالقدرة علي العمل والعطاء ونقاوة النفس وسماحة القلب والإرادة الخيرة[3] . فالقيم تتناول سلوك الأفراد ، وهي بهذا المعني من الوسائل الهامة في التمييز بين أنماط حياة الأفراد والجماعات[4] .

فالقيم ، بصورة مطلقة ، يُراد بها المُثل العليا التي ينشدها الإنسان لذاتها ولا يلتمسها لغرض يبتغيه من ورائها ، لأن الأشياء التي يطلبها الإنسان لتحقيق أغراض معينة تعتبر نسبية ومتغيرة[5] .

رابعاً : يعرفها وليم روبن Robin في الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية بأنها إدراكاً للمرغوب فيه وسلوك تأثيري مختار " ، ويرجع مصطلح القيم إلي الفوائد والأفضليات والواجبات والالتزامات الأخلاقية والاحتياجات ، فالقيم توجد في نواحي متنوعة من السلوك . فمصطلح القيم يستخدم في معنيين منفصلين ، فقد يشير للتقييم المحدد لأي شيء أو موضوع يتم تقديره أو تقييمه ، والمعني الثاني يعود بالقيمة

(1) Ibid., PP 12 - 13 .

(٢) د. ضياء زاهر ، القيم في العملية التربوية ، مرجع سابق ، ص ١٠-١٢ ، ص ٢٢ .

(٣) د. نازلي إسماعيل حسن ، بحث عن فلسفة القيم ، القاهرة - كلية الآداب عين شمس ١٩٧٩ ، ص ٢ .

(٤) د. نجيب اسكندر ، وآخرون ، قيمنا الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٤ .

(٥) د. علي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، القاهرة - دار المعارف ١٩٧١ - ط ٥ ، ص ٣ .

إلي المعايير أو المستويات التي يتم عن طريقها التقييم ، فالقيمة كمعيار للتقييم تصبح هامة جداً في الأغراض المختلفة للتحليل العلمي والاجتماعي[(١)] .

خامساً : تعرفها فوزية دياب[(٢)] بأننا يمكن أن ننظر إلي القيمة علي أنها الحكم الذي يصدره الإنسان علي شئ ما مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد المرغوب فيه وغير المرغوب. وتورد التعريفات[(٣)] التي ترددت علي مفهوم القيم ، فبعض الناس يتحدثون عن القيم بمعني الفائدة أو المنفعة أو السلوك ، وفي رأي بعض العلماء أن اصطلاح القيم مرادف للاصطلاح "نافع أو لائق" ومن العلماء من يُعرف القيمة بأنها الخير أو الشر ، ويري آخرون أن كلمة قيمة مرادفة أو صورة لصفة اللذة أو الاهتمام وأن القيم الإيجابية منها والسلبية تكمن في اللذة والألم الذي يشعر به الإنسان فإذا كان حدوث شئ لا يؤثر مطلقاً علي لذة أو ألم لأي فرد كان حالياً أو مستقبلاً ، فإنه يكون عديم القيمة علي الإطلاق . كما أن هناك من يرون أن القيم ما هي إلا عنصر التفضيل للاختيار بين الأشياء ، أو هي علم السلوك التفضيلي . وهناك من يتحدث عن القيم كتقديرات لمعاني وأهمية الأشياء والأعمال والعلاقات اللازمة لإشباع احتياجات الفرد الفسيولوجية والاجتماعية ، كما أنها اتجاهات تقويمية أو تقويماً لاتجاهات متقاربة ، وأخيراً فإن القيم تمثل الأمور التي تتجه نحوها رغباتنا واتجاهاتنا .

سادساً : القيم مجموعة من المعايير التي تُحقق الاطمئنان للحاجات الإنسانية ويحكم عليها الناس بأنها حسنة ، ويكافحون لتقديمها إلي الأجيال القادمة ويحرصون علي الإبقاء عليها[(٤)]. كما أن القيمة يمكن تعريفها بأنها فعل اجتماعي نمطي مقبول اجتماعياً وثابت نسبياً ، ذو صفة معيارية في توجيه سلوك الأفراد والجماعات نحو

(1) Robin. W, The Concept of Values, in, David-L, Sills (eds.), International Encyclopedia of the Social Sciences; New York: The Macmillan Company and Free Press;1968 , Volume16, PP.283-286 .

(٢) د. فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩ -٢٢ .

(٤) محمد صلاح الدين مجاور ، التربية الخلقية ومسئولية المدرسة فيها (الكويت - مجلة العربي - العدد ١٣٣ ديسمبر ١٩٦٩ ، ص ١٠١) .

إشباع حاجاتهم بطريقة جماعية [١] .

سابعاً : ويعرفها د. محمد عاطف غيث بأنها : تعتبر حقائق أساسية هامة في البناء الاجتماعي وفي علم الاجتماع وهي لذلك تعالج من وجهة النظر السوسيولوجية علي أنها عناصر بنائية تشتق أساساً من التفاعل الاجتماعي وتعد في السنوات الأخيرة من الموضوعات التي تحظى بأهمية واضحة في النظرية أو البحث السوسيولوجي ، كما أن التوجيه القيمي يرتبط به الفرد ويؤثر علي سلوكه فالفرق بين التوجيه القيمي والقيمة يكون علي أساس أن الأول : التوجيه القيمي يركز علي الفرد ، بينما تشير القيمة إلي جماعة [٢] .

وتعدد تعريفات القيم يأتي من النظرة المعاصرة إلي المثاليات . . وتنبع أيضاً من أن القيم عملية اجتماعية وفردية ، ولذلك فالقيم إجمالا هي المثاليات التي تسود في الأفراد وتتغلغل في نفوسهم ويتوارثها الأجيال ويدافعون عنها قدر الإمكان .

٣- القيم الاجتماعية:

يحدد كلاكهون .C. Klukhohn الصفة الاجتماعية للقيمة فيعلن أن القيمة هي تصور واضح أو مُضْمر يميز الفرد أو الجماعة ، ويحدد ما هو مرغوب فيه بحيث يسمح لها بالاختيار من بين الأسباب المتغيرة للسلوك والوسائل والأهداف الخاصة بالفعل[٣] . وهذا المفهوم يحدد القيمة الاجتماعية . فإذا كان هناك قيم فردية ، فإن القيم الاجتماعية هي التي تعطي للمجتمع كله شكلاً ومضموناً يسهل - بعد التعرف عليه - إمكانية إعادة بث مجموعة من القيم الاجتماعية الأخرى لتُناسب عمليات النمو والتطور .

فالقيم الاجتماعية ، هي في بساطة ، الأشياء التي تكون ذات قيمة معينة عند جماعة من الناس ، مجتمعين أو موزعين . وتَنْبُت القيم الاجتماعية عادة عن طريق الرأي الجمعي لهذه الجماعة ، أي أن هذه القيم لا يمكن أن تفرض من الخارج علي الجماعة

---

(١) عصام الدين علي حسن هلال ، دور المدرسة الثانوية في إكساب الطلاب القيم اللازمة لعملية التنمية ، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية التربية - جامعة عين شمس - ٨٣ - ص ٧٦ .

(٢) د. محمد عاطف غيب قاموس علم الاجتماع ، القاهرة - هيئة الكتاب ٧٩ - ص ص ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٣) د. محمد عاطف غيب ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٥٠٥ .

فرضاً ، ولكنها تتولد من الظروف المعيشية التي تحياها وتكون مقبولة ومعترفاً بها عندها . كما أن ظواهر الوعي الاجتماعي ، التي تتمثل في الأفكار والقيم ، عن طريقها يُعَبر الناس عن اهتمامهم في أسلوب أيدلوجي معين ، فأفكار الكفاية والعدل والوسائل التي تحققها تتضمن في الواقع اهتمامات فئات من أعضاء الشعب ، كما تتضمن أعمالهم ورغباتهم وإرادتهم ، فضلاً عن الأهداف العملية للمؤسسات السياسية أو الاجتماعية التي تضمهم ، ومن ثم ، نجد أن هذه الأفكار كهدف لهذه الفئات من أعضاء المجتمع ، أو كموضوع لآمالهم أو كحلم يهدي أعمالهم ، أي أن هذه الأفكار هي في الواقع مُثل علياً أو قيم من القيم المعنوية[١] .

وتقوم مؤسسات عديدة منها مؤسسات التربية بعملية تمشيط للأفعال الاجتماعية سواء السائدة أو المستهدفة بغرض توجيه تلك العمليات والأفعال في اتجاهات المرغوبة بواسطة ثلاثة عمليات[٢] :

أولاً : توجيه اتجاهات سلبية نحو القيم المستهدفة للتعديل ، حتى تهوى علي السُلّم القيمي للمجتمع ، وتفقد وظائفها الاجتماعية ، وتتحول إلي مجرد أهداف جزئية قد تتبناها قوي القصور الذاتي في المجتمع .

ثانياً : تكوين اتجاهات إيجابية نحو القيم المستهدفة وتقنين وظائفها الاجتماعية ، فتصعد علي السلم القيمي .

ثالثاً : زيادة شدة الاتجاهات الإيجابية نحو القيم القديمة التي لم تفقد وظيفتها الاجتماعية بعد ، وفقاً للنظام الجديد والعمل علي تدرجها في السلم القيمي وفقاً لمكانتها بين القيم المختلفة .

إذن ، فالقيم كنظرة مستقبلية ، تجعل من الفرد والجماعة دائماً وأبداً كيانات تريد تحقيق شيء ما وتعمل علي تحقيق أفكار وقيم تحملها لا مجرد كيانات فردية بل كيانات مجتمعيه[٣] . فالقيم هي تلك التي تكون تحقيقاً لإنسانية الإنسان ككائن مبدع خلاق

(١) د. سيد عويس . القيم الاجتماعية التي يجب أن نغرسها في نفوس الأطفال ، (بحث غير منشور مقدم للحلقة الدراسية : القيم التربوية في ثقافة الطفل – هيئة الكتاب – نوفمبر ٨٥) ، ص ١١ .

(٢) عصام الدين علي ، دور المدرسة الثانوية في إكساب الطلاب القيم ، مرجع سابق ص ١١٥ .

(٣) د. تركي الحمد ، وعندما تسقط القيم ، مرجع سابق ، ص ٥ .

وسط جماعة من الناس . فالقيم حتى الفردية فيها لابد وأن تكون اجتماعية تتقبلها الجماعات حتى تكون قيماً عامةً. فالقيم في مضمونها وجوهرها لابد وأن تكون اجتماعية عامة . فهي دائماً وأبداً (التشكيل أو التكوين الاجتماعي للفرد حسب حاجات المجتمع) ، أو هي عبارة عن مجموعة من القيم التي تُلائم الوضع الاجتماعي وأنواع السلوك الاجتماعي داخل الجماعة ، فالقيم هنا عملية تظهر من خلال التنشئة الاجتماعية التي تطبع في الشخص أو تغرس فيه قيماً اجتماعية جديدة علي الدوام[١] .

إذن ، يشير مفهوم القيم بالمعني الاجتماعي إلي تلك الأحكام المعيارية التي توجه السلوك الإنساني الانتقائي أو التي تحسم الاختيار الإنساني في مواقف بعينها ، والقيم بهذا المعني قد تنطوي علي المصالح أو المنافع والالتزامات والواجبات الأخلاقية وغير ذلك من أنماط التوجيه ، وأكثر التعريفات قبولاً في التراث الاجتماعي العربي " أن القيم هي تصورات للمرغوب تؤثر في السلوك الانتقائي للإنسان " ، ولكن القيمة بالمعني الواسع لا تشير إلي الأمور الطيبة أو المرغوب فيها فقط ، بل السيئة والمرغوب عنها أيضا وذلك ينبع من أن القيم تمثل جانباً رئيسياً من ثقافة أي مجتمع ، بل يمكن القول أنها تمثل لُب الثقافة وجوهرها ، إلا أن تصور القيم في علم الاجتماع الغربي يتجاهل بعض الخصائص الرئيسية لها ، فالقيم وما ترتبط بها من حاجات اجتماعية لا تتحدد من خلال التفاعل العقلي بين الناس كما يذهب علم الاجتماع الغربي ، ولكنها نتاج للمصالح الطبقية ، ومعني ذلك أن القيم يمكن أن تحدد وتنظم النشاط الاجتماعي لكافة أفراد المجتمع حتى يحدث تعارض صريح بين المتطلبات الاقتصادية للنمو الاجتماعي وبينها ، وسوف يؤدي ذلك إلي تطور نسق قيمي جديد يعكس المصالح الجديدة للناس .

ويمكن النظر إلى القيم الاجتماعية أيضا من النظرة إلى القيم الأساسية لأي ثقافة وهى ضمير الجماعة ، وهى ترتبط عضويا بضمير الفرد أو بقيمه الخاصة ، فالواقع أن ضمير الجماعة هو مصدر الإلزام في المجتمع ، أي مصدر للفرض والنهى بالنسبة للواجبات والمحددات الثقافية ، وهو في الحقيقة يعبر عن نقط الالتقاء بين ضمائر أعضاء

(١) فايزة يوسف عبد المجيد ، التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها ببعض سماتهم الشخصية وآفاقهم القيمية ، رسالة دكتوراه : آداب عين شمس : ١٩٨٠ ، ص ٣٣ .

الجماعة ، ثم أن ضمير الفرد يتكون منذ الطفولة الأولى نتيجة للأوامر الصادرة للفرد من السلطة الضابطة الخارجية التي تمثل ثقافة المجتمع ، فالمصدر الأساسي للقيم عند الأفراد هو ثقافة المجتمع التي ينشئون ويعيشون فيها ، ومصدر القيم السائدة في مجتمع ما هو إلا تاريخ الجماعة أو تراثها التاريخي الذي تنقله عن طريق التربية من جيل إلى جيل ، فكل جيل من الأجيال يُعَلم الجيل الذي يليه أساسيات القيم الاجتماعية ، بما يكون قد نالها على يديه من تعديل نتيجة لظروفه وخبراته الخاصة ، فالتربية وسيلة الجماعة في المحافظة على قيمها الأساسية ، وعن طريق التربية ، يكتسب الطفل القيم الأساسية والدعامات الأولى لبناء ذاته وشخصيته في محيط الأسرة ، وكذلك الأسرة ، التي تمثل من ناحية ثقافة المجتمع بصفة عامة والثقافة الفرعية التي تنتمي إليها بصفة خاصة ، والتي تعمل بأساليبها التربوية المختلفة ، على إكساب الطفل السلوك الذي يتوافق مع القيم التي تدين بها[1] .

وتعود أهمية القيم الاجتماعية إلى أنه بقدر وحدة القيم في المجتمع يكون تماسكه ، وبقدر التفاوت والتباين في القيم يكون تفكك المجتمع ، وينجم الصراع القيمي في المجتمع عن التباعد والانفصال بين فئات المجتمع بالنسبة للمواقف الهامة في الحياة . فالقيم الاجتماعية المجتمعية أهم عوامل وحدة المجتمع وتماسكه ، ومن هنا فهي ضرورة لبناء أي مجتمع[2] .

---

(١) راجع . د. محمود عودة ، مشكلات منهجية في دراسة القيم في المجتمع القروي المصري ، في د٠لويس كاملة ملكية محرر : قراءات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي ، القاهرة – هيئة الكتاب ، ١٩٧٩ – المجلد الثالث ، ص ٥٧ ، ٥٨ ، وإن كنا نختلف مع الباحث حول القيم السلبية ، فإذا كانت القيم تمثل جوهر ثمين يمتلكه الإنسان ويوجه سلوكه ، فكيف تكون ثمينة وسلبية في وقت واحد ؟ والأغلب أن الأشياء السلبية هذه يمكن أن تمثل أنواعاً من السلوك أو العادات أو التقاليد وتختلط في ذهن بعض الكتاب بالقيم . ويؤكد ذلك تعريف د. فؤاد أبو حطب في بحثه العلاقة بين أسلوب المعلم ودرجة التوافق بين قيمه وقيم تلاميذه في نفس المرجع السابق ص ٢٢٨ ، الذي يعرف القيمة بأنها مجموعة أحكام معيارية يصدرها الفرد علي بيئته الإنسانية والاجتماعية والمادية ، وهذه الأحكام ، هي في بعض جوانبها نتيجة تقويم الفرد أو تقديره ، إلا أنها في جوهرها نتاج اجتماعي استوعبه الفرد وتقبله بحيث يستخدمها كمحكات أو مستويات أو معايير . وكما يؤكد د٠ نجيب اسكندر في كتابه : قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية مرجع سابق ، ص ١٧ ، أن القين الاجتماعية هي نتاج خبرات اجتماعية وهي تتكون نتيجة عملية انتقاء جماعية يصطلح أفراد المجتمع عليها لتنظيم العلاقات بينهم ٠

(٢) راجع : د. نجيب اسكندر وآخرون : مرجع سابق ص ٣٠ – ٣١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤- خصائص القيم :

القيم كانت مُثُلاً عالية ، ولكن تحولت النظرة إليها فأصبحت حاجات تفرزها أوضاع الحياة الاجتماعية ، وتطورت النظرة إلى القيم من التجريد إلي الواقعية ، فصارت القيم استشفافا من خلال احتكاكات القانون بالحقيقة الاجتماعية ، فتطور النظر إلى القيم عما اتصفت به في الماضي بأنها " تطلعات ميتافيزيقية " فَفُهمت على أنها " معان يُحكم بها على المسالك والأشياء تبعا لجدواها أو عدم جدواها في إشباع غايات إنسانّية متصورة ومستهدفة على أنها حاجات واجبة الإيفاء بها" (١)

ولذلك . . فلقد أصبح الآن أن مجرد نسبة قيمة معينة إلى مجموعة من الأفراد ، إنما يعنى أن لديهم اتجاهات إيجابية تجاه بعض جوانب الحياة وأخرى سلبية تجاه بعض مختلف ، وبمعنى آخر أن الأفراد بحكم ما لديهم من قيم محتضنه يكونون مهيأين لعمل اختبارات معينة دون غيرها ، ذلك التهيؤ الذي تلعب فيه القيم دوراً هاما (٢)

وتنبع القيم من التفاعل الاجتماعي في المجتمع وفق تصرفات أفراده التي تحمل عناصر ثقافتهم الخاصة . وهذه القيم تتصف بالثبات والاستمرار ، غير أن ذلك نسبي وليس مطلق ، كما أنه قد يحدث انحراف عن مسار القيم السائدة بدرجات متفاوتة ، إذ تعتبر القيم هدف يسعى الأفراد إلى تحقيقه في أنفسهم وفيمن حولهم ، وهي تنشأ وترتبط بالحاجات الأساسية للإنسان ، وقد يعبر عنها بشكل مباشر ، وقد تكون ضمنية تختفي في طيات السلوك والتصرفات وهي تترتب وفق أفضليتها ومستوى أهميتها وتقديرها . فكلما كان الإطار القيمى لمجتمع من المجتمعات يضم مجموعة من القيم الخلقية التي لها وزنها واعتبارها ، فان مسار الحياة في ذلك المجتمع يرقى وينهض (٣) .

وللقيم . . خصائص متعددة ومتنوعة ، تتعدد من حيث الزمان والمكان ومن حيث المضمون ومن حيث الأهمية النسبية لها . ومن أهم الخصائص التي تتميز بها القيم :

(١) المرجع السابق ، راجع ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) د. نعيم عطية ، القانون والقيم الاجتماعية القاهرة ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١ ، ص ١٦

(3)Bray Brooks. Values and Managers , in, Bair., Kurt and Reacher, Nicholas (eds.) Values and the Future, New York, The Free Press,6969, PP.368-370.

عبد التواب يوسف ، الطفولة والقيم ، بحث غير منشور في ندوة القيم التربوية في ثقافة الطفل ، هيئة الكتاب ، ١٩٨٥ ، ص ١ .

أولا : تتميز القيم بأنها ذاتية : Subjective ويقصد بذاتية القيم أنها تتعلق بالطبيعة الإنسانية والسيكولوجية للإنسان التي تشمل الرغبات والميول والعواطف وغيرها من عوامل نفسية ، فالقيمة باعتبارها أحكاما نصدرها على الأشياء تتضمن معاني كثيرة مثل الاهتمام والاعتقاد والرغبة وكل هذه المعاني تُعبر عن عناصر شخصية ذاتية وتتضمن القيمة عنصرا عاطفيا إلى جانب العنصر المعرفي والسلوكي .[١]

ثانيا : تتميز القيم بأنها موضوعية Objective ، ونعنى بموضوعية القيم أنها خارجة عن ذوات الأفراد وعن تجسداتهم الفردية وأن ذاتية القيم ونسبيتها لا تتعارض مع ضرورتها . لأن هناك بعض القيم الموضوعية التي يجمع عليها أغلب الناس داخل المجتمع . فلا يجب أن ننظر إلي هذه القيم " نظرة ذاتية " بل " نظرة موضوعية " ، إذ لا يمكن للنظرة الذاتية للقيم أن تولد قاعدة عامة ، وإنما الذي تولده هو باعث على تصرف ما ، لأن القيمة في النظرة الذاتية تتلون وتتشكل بالاعتبارات المتعلقة بالشخص لا بالموضوع في حد ذاته .

ولذلك يجب طرح النظرة الذاتية للقيمة ، والاعتداد بدلالتها الموضوعية ، أي بالقيمة المعتبرة ، كصفة لصيقة بالموضوع ذاته ، وموجودة فيه ولأجله ، لا من أجل الشخص الذي يمسه الموضوع ، فالقيمة في النظرة الموضوعية لا تتأثر بالشخص ، بل هي التي تؤثر في الشخص ، وهذه الحالة التأثيرية ليست سبب القيمة بل هي نتيجة المترتبة عليها[٢] .

ثالثا : تتميز القيم بالنسبية Relativily ، وتعنى نسبية القيم بأنها تختلف من شخص لآخر ، ومن مجتمع لآخر ، ومن ثقافة لأخرى ومن زمن لآخر ، بل أنها تختلف عن الشخص الواحد حسب رغباته وحاجاته وميوله ، وكذلك لا يمكن أن نفهم القيمة إلا في مجال السلوكي وفى الإطار الثقافي الذي يعيش فيه الفرد .

فما دامت القيمة إنسانية شخصية تتوقف على الاعتقاد ، فلابد إذن أن تكون نسبية بمعنى أنها تختلف عند الشخص بالنسبة لحاجاته ورغباته وتربيته وظروفه ، كما لابد أن

---

(١) سميحة محمد أبو النصر ، دراسة للقيم الاجتماعية لدى الفتاة الكويتية وأبعادها التربوية (رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة عين شمـــس – كلية البنات ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٢ .

(٢) د . نعيم عطية ، القانون والقيم الاجتماعية ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

تختلف أيضا من شخص إلي شخص ومن زمن إلي زمن[1] .

ا) فبالنسبة للنسبية المكانية للقيم : فلكل ثقافة معاييرها الخاصة بها وأن القيم ليست واحدة أو عامة في جميع المجتمعات البشرية وانما هي نسبية تختلف باختلاف الجماعات الإنسانية ونماذجها الثقافية والسياسية والدينية والذوقية . . الخ ، كما أنها تختلف في الثقافة الواحدة في المجتمع الواحد باختلاف أقاليمه المحلية ، أي باختلاف ثقافاته الفرعية والطبقات والجماعات المهنية .

ب) وبالنسبة " للنسبية الزمانية للقيم" : كما أن القيم نسبية الزمان أي أنها تختلف وتتغير في المجتمع الواحد بما يطرأ على نظمه من تطور وتغير ، وهى في تطورها وتغيرها تخضع للمناسبات الاجتماعية في التاريخ ، كما تخضع لظروف الوسط الثقافي الذي توجد فيه .

ج) كما أن القيم والأصول التحديثية يمكن أن تنتقل من نخبة مجتمع إلى نخبة مجتمع آخر نقلا عن أيدلوجيا أو ثقافيا أو تربويا أو إعلاميا أو تكنولوجيا أو تدريبيا يتيح للنخبة القيادية أن تسبق المجتمع الذي تنتمي إليه سبقا هائلا في استساغة القيم والأصول التحديثية[2] .

إن القيم نسبية يعنى أن معناها لا يتحدد ولا يتضح في النظر إليها والحكم عليها في حد ذاتها ، مجردة عن كل شئ ، بل لابد من النظر إليها من خلال الوسط الذي تنشأ فيه والحكم عليها ليس بصفة مطلقة ، بل حكماً طرفيا ، وموقفياً ، وذلك بنسبتها إلي المعايير التي يضعها المجتمع المعين في زمن معين ، وبإرجاعها دائما إلى الظروف المحيطة بثقافة القوم . وعلى الرغم من أننا نكتسب القيم خلال عملية التعليم والتنشئة الاجتماعية منذ الطفولة المبكرة ، إلا أن هذه القيم لا تظل ثابتة ومطلقة ، ولذلك فهي تتسم بالنسبية .

رابعا : تترتب القيم فيما بينها ترتيبا هرميا ، ويعنى ذلك أن بعض القيم تسيطر على غيرها أو تخضع لها ، فنجد الفرد يحاول أن يحقق قيمه جميعا ، ولكن إذا حدث تعارض بينهما ، فان بعضها يخضع للبعض الآخر وفقا لترتيب خاص به ، فهناك

---

(١) راجع : د. فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٧ ، ٥٧ ، ٦٤ .

(٢) د . حسن صعب : تحديث العقل العربي ، بيروت : دار العلم للملايين ١٩٦٩ ، ص ١٥٧ .

قيمة لها الأولوية في حياة الفرد عن باقي القيم[١] .

ولذلك ، فقد اصطلح العلماء على وجود سُلم للقيم ، فالتفضيل ينتج عنه وضع الأشياء في مراتب ودرجات بعضها فوق بعض ، ولذلك كان من خصائص القيم أنها تترتب فيما بينها ترتيبا هرميا ، فتُهيمن بعض القيم على غيرها وتخضع لها وذلك من خلال [٢] :

أ) أن فكرة ترتيب القيم – سواء أكانت قيم فردية أو جماعية – ترتيبا هرميا في سُلم القيم فكرة مبسطة كل التبسيط بالنسبة للحقيقة والواقع .

ب) أن القيم في " سُلم القيم " لا تتخذ مرتبة ثابتة جامدة لا تتغير ، بل ترتفع وتنخفض ، وتعلو وتهبط وتتبادل المراتب والدرجات فيما بينهما تبعا لظروف الفرد وأحواله ورغباته واتجاهاته .

وهكذا ، فان هناك قيم عليا وقيم أخرى . . القيم تتشكل وفقا للقيم العليا .

خامسا : تتصف القيم بالثبات النسبي ، أي المحافظة Consistancy لأنها من موجهات السلوك الكبرى ، ومما يضمن الثبات النسبي لكثير من القيم أن عددا من القيم يمتصها الفرد شعوريا ولا شعوريا منذ طفولته ، ويرتبط بها وجدانيا وتأثرا باحترام الناس لها ، فيصعب عليه أن يتحرر منها .

على أن خاصية الثبات والاستقرار في القيم ليست بدرجة واحدة ، فالقيم السائدة في مجتمع ما تتفاوت في قدرتها على مقاومة التغير الاجتماعي . والجدير بالذكر أن ما تتسم به القيم من نسبية لا يتعارض مع كونها ثابتة ، في نفس الوقت ، فهذا الثبات ليس مطلقا ، وهذه النسبية ليست فردية وجزئية ، والمجتمع له دور كبير في تثبيت القيم وتطورها .

سادسا : تتصف القيم بالدينامية ، أي القابلية للتغير الاجتماعي ، ولكن قد يكون التغير سريعا ، كما في الدول الصناعية المتقدمة التي تعتبر الرغبة في التغيير قيمة اجتماعية ، وقد يكون بطيئا جدا كما في المجتمعات البدائية . والثبات النسبي للقيم لا

(١) سميحة محمد أبو النصر ، دراسة القيم ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) د. فوزية دياب ، القيم والعادات ، مرجع سابق ، ص ٢٨ ، ٢٩ . وأيضا : فايزة عبد المجيد : التنشئة الاجتماعية للأبناء ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

يعنى عدم قابليتها للتغير .

سابعا : ويمكن النظر إلى القيم[1] : على أنها ظاهرة اجتماعية لها صفة الظواهر الاجتماعية وتؤدى إلى تحقيق وظائف معينة في المجتمع ، ويمكن قياس القيم ودراستها باستخدام أساليب عديدة منها تحليل المضمون .

والخلاصة أن القيمة تتضمن معاني كثيرة ولها خصائص عديدة تؤكد ما للقيمة من دور هام في حياة الفرد وقوة المجتمع .

ثامنا : ويمكن النظر إلى خصائص القيم من خلال أنها عملية قابلة للترشيد فترشيد القيم يتطلب تفهم ومعايشة وممارسة هذه القيم والرجوع بها إلى جذورها الثقافية والوقوف على وظائفها الاجتماعية ، فإذا تَبَينّ أن هذه القيمة أصبحت غير متلائمة ، كان من الضروري على رجال الإعلام ورجال التربية ، أن يستبدلوها بغيرها ، بعيدا ، عن محاولة إلغائها . فالقيم جزء من التراث الاجتماعي ، وبالتالي فإن الإبقاء عليها مع تحييدها أمر مقبول ، ومحاولة إلغائها والقضاء عليها أمر مستحيل [2] ، ومن هنا فان البحث عن بديل حضاري لها هو الذي يؤدى إلى نسيان الناس ، وإن لم تنمح من الذاكرة الاجتماعية . وتأتى عملية ترشيد القيم الاجتماعية كأحد الوظائف الأساسية للإعلام والتربية ، لأن الهدف الرئيسي للعملية الإعلامية هو العمل على تغيير اتجاهات الأفراد والجماعات بالإضافة إلى نقل اتجاهات وأفكار جديدة إليهم .

ومما سبق يتضح أن للقيم عدة خصائص تتكامل لتُشكل الإطار الأمثل للقيم .

٥- التفرقة بين القيم والمعايير والعادات والاتجاهات .. الخ :

إذا كان موضوع القيم قد شغل اهتمام الكثير من الفلاسفة والمفكرين منذ طفولة الفكر الإنساني ، وبالرغم من أن الاهتمام الجدي بدراسة القيم وإخضاعها للبحث العلمي الموضوعي من جانب العلماء والباحثين لم يظهر إلا في العقود القليلة الماضية من هذا القرن . إلا أن الباحثين قاموا بالتفرقة بين القيم والمعايير والاتجاهات وغيرها من المفاهيم التي قد تختلط بمفهوم القيم .

---

(١) سميحة محمد أبو النصر ، دراسة القيم ، مرجع سابق ، ص ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) راجع : د . زيدان عبد الباقي ، علم النفس الاجتماعي في المجالات الإعلامية ، القاهرة - مكتبة غريب ، ١٩٧٥ ، ص ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .

أولا : القيم والمعايير : كان تصور بارسونز للقيم أن التمييز الوحيد بين القيم والمعايير هو تمييز على مستوى التوجيهات بدلا من أن يهتم بنمط التوجيه . والتفرقة بين القيم والمعايير في ضوء عمومية أو خصوصية الممارسة ، فما يُعَد مرغوبا فيه من أعضاء المجتمع يحدد على أساس مقولات عامة ، يدخل في نطاق القيم ، وما يحدد في ضوء مقولات خاصة أو نوعية ، يدخل ضمن فئة المعايير . ويمكن القول بأن القيم والمعايير هما نموذجين مختلفين من الموجهات الرمزية ، فالقيم تُحدد التفصيلات الاجتماعية والمعايير تعين القواعد والالتزامات الاجتماعية [1]، إذن فالقيم هي تصورات لما هو مرغوب فيه على مستوى أكثر عمومية في حين أن المعايير تصورات حول نفس الشيء على مستوى الخصوصية [2].

ولكن الشيء الذي نُشير إليه أنه بينما يلاحظ أن كلا من القيم والمعايير يختلطان على المستوى الواقعي ، فانه من الضروري على المستوى النظري أن نكون على وعى بالفارق التحليلي بينهما . فالقيم تُشير إلى تلك الأساليب المفضلة لتوجيه الناس نحو فئات محددة للخبرة الإنسانية ، والمعايير هي قواعد للسلوك في مواقف معينه أي تتضمن تصورات إنسانية عن الواجبات والالتزامات وكل منهما خاضع للتغيير من خلال التحديث .

ونخلص إلى التفرقة بين القيم والمعايير من ثلاث أوجه [3] :

أ - القيم معايير مثالية ، توجه السلوك من داخل الفرد ، أي أنها في جوهرها شخصية في حين أن المعايير تمثل قواعد أو توقعات من الجماعة لسلوك أو اتجاه معين ، أي أن مصدرها جماعة خارج الفرد .

ب - تعمل القيم على إرشاد السلوك إلى الغايات النهائية للحياة ، على حين أن المعايير

---

(١) د. محمد على محمد ، دراسات في التنمية الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٣٤٢ .

(٢) القيم قد تشير إلى معايير السلوك ، فقد تشير إلي الكيفية التي يسلك بها الأطفال بالفعل أو الكيفية التي يتوقع الراشدون من الأطفال أن يسلكوا بها . . راجع في ذلك :

Straugham. R. & Wrigley J. Values and Evaluation in Education , (London: Harper and Row : 1980), PP 12-17.

(٣) فايزة يوسف عبد المجيد ، التنشئة الاجتماعية للأبناء ، مرجع سابق ، ص ٧٥.

الاجتماعية ، تُرشد الشخص إلى أنواع من السلوك في المواقف النوعية المحددة في الزمان والمكان والأشخاص(١).

ج - تُحدد المعايير الاجتماعية ما هو مقبول من الجماعة في موقف معين وما هو غير مقبول ، على حين أن أهم ما يميز نسق القيم لدى الفرد أنه يرتب فئات السلوك المقبول حسب أفضليتها .

ثانيا : القيم والاتجاهات : الاتجاهات تنشأ في ظل القيم ، وتكون نحو الموضوعات والمواقف التي تبرز أفعال الشخص واتجاهاته ، نحو الآخرين ، كما تُدَعم هذه القيم الأحكام الأخلاقية التي تتصل بأفعال الشخص نفسه وأفعال الآخرين(٢) . ولذلك فالقيم تتمثل في أنها محددات للاتجاه وليست مجرد كونها أحد مكونات الاتجاه، لأن القيم توجه السلوك والأحكام والاتجاهات ، كما أن القيم قد تتجاوز الأهداف المباشرة للسلوك إلي تحديد الغايات المُثلى للحياة ، ويُشكل نظام القيم لدى الفرد اتجاهاته بطريقة تبرز منها مركزية القيم أي كونها المركز الذي يدور حوله عدد كبير من الاتجاهات، وقد يكون لدى كل شخص آلافا من الاتجاهات نحو موضوعات مختلفة ، إلا أنه لا يكون لديه إلا عدد قليل من القيم لا يتعدى العشرات (٣) ، إذن فالقيم أكثر عمقا وشمولا من الاتجاهات لأنها تمثل معيارا لما ينبغي وما لا ينبغي أن يكون في عدد من مجالات السلوك ، فالاتجاه أقل تجريدا ، وأقل ثباتا ، فهو سهل التغيير، ويتكون بسرعة، ولا يحتاج لموافقة جماعية، وهو مجرد ميل لفعل ما ويمثل وعيا فرديا . أما القيم فهي أكثر تجريدا ورمزيةً وأكثر ثباتا لأنها لا تتغير إلا ببطء كما تتكون ببطء لحاجتها لاتجاهات وخبرات ومعارف كثيرة ، ولها صفة العمومية وتتطلب موافقة اجتماعية لاقرارها ، كما أنها تمثل وعيا جماعيا لأنها ترسم الأحكام والمعايير المتصلة بنشاطاتهم وتفاعلاتهم(٤) .

---

(1) Rokeach M. The Nature of Human Values, Op. Cit., PP.12-13.

(٢) فايزة يوسف ، مرجع سابق ، ص ص ٦٦ - ٦٨ .

(3) M.Rokeach, the Nature of Human Values , Op. Cit. , P.18.

ويؤكد في صفحة ٤ أنه إذا كان الاتجاه يشير إلى تنظيم لعدة معتقدات حول موضوع أو موقف معين ، فان القيمة تشير إلى اعتقاد واحد محدد .

(٤) ضياء زاهر ، القيم في العملية التربوية ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦-٢٧ .

ثالثا : القيم والأيدلوجية : إذا كانت القيم مهمتها توجيه الفعل الاجتماعي، والمعايير تتولى ضبط هذا السلوك ، فان الأيدلوجية عليها أن توجد المحرك للفعل الاجتماعي عن طريق تعريف الموقف الاجتماعي تعريفا مثاليا [١] ، ولذلك فان القيم والمعايير والأيدلوجيات يحكمها سياق واحد وقد يكون دينيا أو ثقافيا أو اقتصاديا أو سياسيا أو اجتماعيا . والأيدلوجية عبارة عن أفكار ومنهج يقوم على فكر معين يهدف إلى إضعاف نفوذ الكنيسة ، ولذلك فقد نجحت الأيدلوجية في تطبيق البنية أو السمة الفكرية للمجتمع ، حتى أن عمر الأيدلوجية لا يتجاوز الثورة الفرنسية بأي حال من الأحوال ، بينما القيم وجدت منذ وجود الإنسان في الكرة الأرضية [٢] .

والاختلاف الرئيسي بين القيم والأيدلوجية يرجع إلى أن القيم أكثر ثباتا وتعمقا في نفوس الناس بينما الأيدلوجية سريعة التغير ويرفضها الناس عادة وتختلف من طبقة إلى أخرى في المجتمع ، بل وفى داخل كل طبقة حسب نوعية التعليم والثقافة ، بينما تكون القيم أكثر انتشارا وأكثر ثباتا[٣] .

رابعا : القيم والأعراف والتقاليد : الأعراف نوع من العادات التقليدية يشبه التقاليد من ناحية أنه تقليدي وعريق ومتوارث ومُلْزم ، إلا انه يختلف عنها في درجة إلزامه وانتشاره وشموله وعموميته ، فالتقاليد عادات تهم جماعة أو فئة أو طبقة ، فهي عادات ضيقة النطاق نسبيا . أما العُرف يهدف إلى حفظ كيانات الجماعات كلها متمثلا في وحدة واحدة هي وحدة المجتمع [٤] ، ولأنه انبثق في الثقافة ليُسهم في سعادة المجتمع كله وفى استقراره وأمنه ومصلحته العامة وهو يتوافق بدوره مع القانون والقانون يتوافق بدوره مع العُرف ، ولذلك فالعُرف يختلف عن التقاليد ، ويختلف عن القيم في أنها قد لا تكون معايير مثالية ، وهى تختلف من منطقة إلى أخرى وسريعة

(١) د . محمد على محمد ، دراسات في التنمية الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٣٥٩ .

(٢) راجع تطور الأيدلوجية في : H.M. DRUCKER, The Political Uses of Ideology (London, The Macmillan Press: I/TD; 1974), PP.10-11.

(٣) ويعتقد د . صوفي أبو طالب (محرر) في كتاب " الاشتراكية والديمقراطية " القاهرة ، دار المعارف ٧٨ ، ص ١٠ - أن الأيدلوجية الحقة هي التي تنبع من واقع الأمة وطابعها القومي وأهدافها القومية وتحقق لها طموحاتها وآمالها وفى إطار توازن دقيق بين الأمة وتراثها وقيمها من ناحية ومصالحها ومشاكلها الحاضرة من ناحية ثانية ومثلها العليا وآمالها التي تصبو إلى تحقيقها في المستقبل من ناحية ثالثة .

(٤) راجع فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

التشكيل بخلاف القيم ، فالقيم قد ترتبط بالعُرف والتقاليد ، لأن العُرف والتقاليد عادات اجتماعية تتعلق بالماضي وكثيرا ما تمتد جذورها إلى أغوارها البعيدة ، ولذلك فان القيم المرتبطة بها لها في غالب الأحيان صفة القداسة والإلزام .

خامسا : القيم والسمات والميول : الخلط بين القيم والسمات والميول أمرا شائعا حتى بين علماء النفس ذاته فكثيرا ما ينظرون إلى بعض السمات أو الصفات كالشجاعة والصراحة والأمانة باعتبارها سمة وباعتبارها قيمة في نفس الوقت[1] . والميل عبارة عن اتجاه نحو موضوع أو نشاط معين يهتم به الشخص سواء من حيث قيمته في ذاته أو من حيث علاقاته بهدف أخر ، وبمعنى أخر فالميول لا تُمثل إلا نوعاً من الاتجاهات إذا نظرنا إلى كل منهما على حدة ، وتبرز أهمية ابتكار أسلوب يكشف عن تنوع أنساق القيم من خلال تنوع الميول والاهتمامات داخل هذه الجماعات التي تمثل فئات اجتماعية واقتصادية وثقافية وعصرية مختلفة ، تتولى فيها الأولوية والصدارة والتدريج في الأهمية[2] ، فالقيم هي حكم تفضيلي يعتبر إطارا مرجعياً يحكم تصرفات الإنسان في حياته الخاصة والعامة وهى تختلف عن الصفات أو السمات التي تُميز الإنسان فعلا ، كما تختلف عن أوجه النشاط أو ضروب السلوك ، فالقيمة تتعالى على الأشياء والمواقف المحددة ، كما أن القيمة تمثل معياراً للسلوك ، بينما الميل أو السمة ليست كذلك ، ولذلك فإن عدد القيم يقدر بالعشرات بينما الاتجاهات والميول يقدر عددها بالمئات والآلاف . أذن مفهوم الميل Interest ليس سوى أحد المظاهر العديدة للقيمة فهو أضيق نطاقاً من القيمة كما لا يمكن أن يُصنف باعتباره شكلا مثاليا للسلوك أو غاية نهائية للوجود الإنساني كالقيم ، كما أنه لا يمكن أن يمثل معياراً أو أن له طابعاً إلزاميا بالنسبة للسلوك الإنساني .

فالقيم هي التي تحدد الاتجاهات والميول والسمات مثلما تحدد السلوك كله وكما قال "البورت"[3] : أن الاتجاهات نفسها تعتمد على ما هو موجود من قبل من قيم اجتماعية .

---

(1) Rokeach. M, The Nature of Human Values, Op. Cit., P. 4.

(٢) فايزة يوسف عبد المجيد ، رسالة الدكتوراه ، مرجع سابق ، ص ٧٣ - ٧٥ .

(٣) حسن عيسى ، مصري حنورة ، دراسة حضارة مقارنة لقيم الشباب لدى مجموعتي من طلاب الجامعة الكويتيين والمصريين ، (الكويت - مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد ربيع عام ١٩٨٧) مجلد ١٥ ، ص ١٨٢ ، ص ١٩١ .

٦- تصنيف القيم :

لما كانت كل قيمة تُوَلِّد منطقيا قواعد تتكيف بتلك القيمة وطبيعتها ، فلقد وجد الباحثون العديد من المقاييس التي تتحدث عن تصنيف القيم وإرجاعها إلي طبيعتها أو طبيعة مجالات العلوم الاجتماعية . والواقع أن هناك أنواعاً مختلفة من القيم ، ولكنها شديدة الاتصال بعضها بالبعض الآخر في كافة مجالات العلوم الاجتماعية ، وشديدة التداخل إلي درجة أن الحكم علي إحداها قد يتضمن أحكاماً علي الأخرى ، كما أنه من المحتمل أن تكون الطريقة للوصول إلي أحكام صحيحة متشابهة في جميع الحالات . كما تري جماعة "كورنيل" لدراسة القيم أن مفهوم القيم أصبح نقلة تقابل مختلف العلوم الاجتماعية المحدودة التخصص ، كما أصبح أيضاً مفتاحاً لمفهوم التكامل في الدراسات الإنسانية ، فمفهوم القيم يعمل كقنطرة أو حلقة اتصال تربط كثير من مختلف الدراسات المتخصصة بعضها ببعض ، فهو يربط دراسة علم النفس التجريبي عن الإدراك بدراسة تحليل الأيدلوجية السياسية ، كما يربط دراسة الميزانية في الاقتصاد بالنظرية الجمالية وفلسفة اللغة ، وكذلك يربط أدب اللغة بثورات الشعوب[١] .

وبالرغم من تعدد تفسيرات القيم فإنه يمكن أن يتم تقسيمها علي النحو التالي :

أولاً : من حيث نوعية القيم : هناك نوعان من القواعد الإنسانية المثالية فهناك القواعد المبنية علي القيم الفردية ، وهذه هي قواعد الأخلاق ، والقواعد المبنية علي القيم الاجتماعية ، وهذه هي قواعد القانون ، وإذا كان لبعض الأفعال والأشياء قيمة فردية بحتة ، ولبعض الأفعال والأشياء قيمة اجتماعية بحتة ، فإنه لبعض الأفعال والأشياء قيمة اجتماعية وفردية معاً ، ولهذا اتفقت قواعد القانون وقواعد الأخلاق في بعض الأحيان[٢] .

ثانياً : قيم الشباب وقيم الكبار : غالباً ما يقترن التغير الاجتماعي بظهور فجوات ثقافية بين الأجيال المختلفة ، فالجيل القديم يظل محافظاً علي القيم القديمة ، بينما يجد الجيل الجديد نفسه واقعاً تحت تأثير قوي وعوامل اجتماعية ، فيقاوم القيم السابقة

---

(١) راجع . د. فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٢) د. نعيم عطية ، القانون والقيم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

ويجنح إلي تقبل القيم الجديدة ، ويقضي ذلك ، طبعاً إلي نشوء اختلاف بين قيم الكبار والشباب [1]. وجميع المجتمعات تعرف بدرجات متفاوتة ، ظاهرة الاختلاف القيمي بين الأجيال ، وتعاني غالبية الدول حديثة الاستقلال من انقطاع ثقافي حاد بين الأجيال ، فمنذ الاستقلال شهدت هذه الدول تحولاً اجتماعياً ، ومحاولات ترمي إلي إحلال ثقافة جديدة ، محل الثقافة التقليدية ، وفي العادة يميل كبار السن إلي رفض القيم الجديدة لتعارضها مع القيم المتأصلة ، في نفوسهم ، التي تري فيها سبيلاً إلي الخروج من إطار قيم الكبار[2] . والصراع القيمي بين الشباب والكبار تستهدف التنشئة إدارته وتوجيه دفة الصراع لصالح المجتمع لسيادة وحدة الوعي السياسي والاجتماعي بين أفراد المجتمع وبالتالي تحقيق القيم المستهدفة[3] .

ثالثاً : كذلك يمكن التفرقة بين القيم السلبية والقيم الإيجابية فنري أن التقويم السلبي والتقويم الإيجابي يتحدد علي أساس إطار المرجع الذي يكونه الفرد ، كما أن التربية هي التي تؤدي إلي تكوين إطار مرجعي معين ، فإذا نشأ الفرد في بيئة محافظة ، كان له إطار مرجعي يختلف عن الإطار المرجعي للفرد الذي ينشأ في بيئة متحررة ، بل أن هذا الإطار يختلف من مجتمع إلي آخر ومن طبقة إلى أخري ، ولهذا تختلف النظرة إلي الأشياء وتختلف أسس ومقاييس التقويم [4] . ونلاحظ أن البيئة والمجتمع والثقافة السائدة هي مصادر تعلم الفرد من مبدأ حياته ، فيتعلم منها : كيف يُقَوم الأشياء وكيف يصدر الأحكام علي الأعمال والسلوك ، وكيف يتجه في تقويمه إلي النواحي والأوضاع التي تهم الجماعة ؟ ، وأننا لو تدبرنا الأمر ملياً لوجدنا أن الهيئة الاجتماعية في الواقع ، تفرض علي الشخص انتباهاً معيناً ، وتضع قيوداً لرغباته ولميوله ، وأن نجاح الشخص في حياته متوقف علي تكيف سلوكه حسب هذا الفهم لنوعية القيم . والقيم السلبية يمكن أن تكون كذلك في نظر المجتمع ، ولكنها في نظر الأسرة أو الجماعة أو الفرد قد لا تكون كذلك ، وكذلك قد تكون قيم في مرحلة معينة إيجابية . وقد

(1) Dennis Kavavagh, Political Culture , London: Macmillan press ; I/TD ; 1972), p . 21 .

(2) Lucian Pye, The Non-Western Political process, In, Harry Eckstain and David Aptar, eds. Comparative Politics, (London: The Fee press of Glance,63) P.660.

(٣) محمد الهادي عفيفي ، التربية والتغير الثقافي ، القاهرة - الأنجلو المصرية ١٩٧٧ - ص ٢٢٤ .

(٤) راجع . د. فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٤٩ - ٥٠ .

تكون سلبية في مرحلة أو زمن آخر تبعاً لنسبية القيم .

رابعاً : يفرق بعض الباحثين بين القيم بالنظر إلي محتواها وطبيعتها وشدتها وعموميتها ووضوحها ودوامها ، ومقصدها ، فيضعون تصنيفاً للقيم يشمل : (١)

أ- بُعد المحتوى:

- قيم اقتصادية وتشير إلي اهتمام الفرد إلي ما هو نافع .
- قيم جمالية وتشير إلي اهتمام الفرد إلي ما هو جميل من ناحية الشكل .
- قيم اجتماعية وتشير إلي اهتمام الفرد إلي غيره من الناس .
- قيم سياسية وتشير إلي اهتمام الفرد للحصول علي القوة فهو شخص يسعي للسيطرة والتحكم في الأشياء
- قيم دينية وتشير إلي اهتمام الفرد وميله إلي معرفة ما وراء العالم الظاهري.
- قيم نظرية وتشير إلي اهتمام الفرد وميله إلي اكتشاف الحقيقة .

ب- بُعد المقصد :

- قيم وسائلية Intermental وهي تلك القيم التي ينظر إليها الأفراد والجماعات علي أنها وسائل لغايات أبعد
- قيم هدفيه أو غائية : Goal Value ، وهي الأهداف والوسائل التي تضعها الجماعات والأفراد لنفسها .

ج- بُعد الشدة :

- القيم المُلزمة : Musts and Must notes القيم الملزمة أو الآمرة والناهية هي القيم التي تمس كيان المصلحة العامة أو التي تتصل اتصالا وثيقاً بالمبادئ التي تساعد علي تحقيق الأنماط المرغوب فيها التي تصطلح الجماعة عليها في تنظيم سلوك أفرادها من الناحية الاجتماعية والخلقية والعقائدية ، وتشمل الفرائض والنواهي ، وهي ذات القداسة التي تُلزم الثقافة بها أفرادها .

---

(١) راجع. المرجع السابق ، ص٧٣-٨٠ . وأيضاً د. نجيب اسكندر وآخرون ، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية ، مرجع سابق ، ص ١٩-٢١ .

- القيم التفضيلية Preferences وهي القيم التي يُشجع المجتمع أفراده على التمسك بها ولكنه لا يلزمه بمراعاتها إلزاماً يتطلب عقاباً لمن يخالفها ، وليست لها صفة القدسية .
- القيم المثالية : Utopian وهي القيم التي يحس الناس باستحالة تحقيقها بصورة كاملة علي الرغم من ذلك ، فإنها كثيراً ما تؤثر تأثيراً بالغاً في توجيه سلوك الفرد .

د- بُعد العمومية :

- القيم العامة : هي القيم التي يَعُم انتشارها في المجتمع كله بغض النظر عن فئاته المختلفة .
- القيم الخاصة : هي القيم المتعلقة بمواقف أو مناسبات اجتماعية معينة أو بطبقة محددة أو مناطق محددة

هـ- بُعد الوضوح :

- قيم ظاهرة : هي القيم التي يصرح بها ويعبر عنها بالكلام .
- قيم ضمنية : هي القيم التي تستخلص ويستدل علي وجودها من ملاحظة الاتجاهات التي تتكرر في سلوك الأفراد .

و- بُعد الدوام :

- القيم العابرة : وهي القيم الوقتية العارضة القصيرة الدوام السريعة الزوال ، فلا تكون لها صفة القداسة وذلك لأنها تتعلق بالحاضر ولا تلتصق بالماضي .
- القيم الدائمة : وهي تتميز بالدوام النسبي ، وهي القيم التي تبقي زمناً طويلاً مستقرة في نفوس الناس يتناقلها جيل عن جيل ، كالقيم المرتبطة بالعرف والتقاليد .

فالقيم يمكن تقسيمها لمختلف الأبعاد المتعلقة بالزمن ومدي الوضوح ومدي إلزامها وقوتها وعموميتها .

٧ـ التعريف بالقيم السياسية:

إذا كانت القيم هي مفاهيم لما يجب أن تكون عليها الحياة المُثلي ومن ثم كانت القيم

تصورات ترتبط بالواقع في اللحظة الحاضرة وتتضمن تشوقاً إلي ما هو أفضل ، وإذا كانت القيم هي معايير يُقاس بها ما هو كائن للارتقاء به إلي مستوي المُثل العليا الذي تنطوي عليه . . فالقيم دائماً أهداف تدعو إلي التحرك نحوها لأنها مُثل عليا ومعايير للسلوك في الوقت نفسه[١] ، فإن القيم السياسية جزء أساسي ورئيسي من الثقافة السائدة في المجتمع . ولذلك ، فإن القيم السياسية تُشكل الثقافة السياسية للمجتمع وتُعتبر المحرك الرئيسي لها خلال جميع فترات النمو والتحول نحو الغايات السياسية المطلوبة والمأمولة .

ولذا سنري هنا تعريف القيم السياسية ثم نتناول خصائص القيم السياسية ونسق القيم السياسية .

أ - ما هي القيم السياسية؟ :

القيم السياسية يقصد بها اهتمام الفرد وميله للحصول علي القوة ، فهو شخص يهدف إلي السيطرة والتحكم في الأشياء في مختلف نواحي الحياة[٢] . وإذا تحدثنا عن القيم السياسية فلابد أن نري السمات الرئيسية للثقافة السياسية ، فهي أسلوب التوجيه نحو السياسات العامة وذلك لأننا لكي نفهم سياسات النظام ، فإننا يجب أن نعي قضاياه وأفضليات التوزيع التي تتغير بانتظام ، وسوف نجد بعض عناصر الرفاهية والأمن والحرية كدلائل سياسية استخدمت لتقييم المجتمعات في الماضي والحاضر علي نطاق واسع ، ولذلك فإن فهم المجتمع الحالي من منظور قيمي له أهمية للثقافة السياسية ، فإذا ما خضع المجتمع لمستويات مثالية أو تقديرات معقولة ، سوف يكون هناك سؤال : ما هي المعتقدات الخاصة بمقدرة الفرد والتي تؤثر في مصيره من خلال العمل السياسي ؟ ذلك أن هناك قوة محركة للسياسات والتي تحقق المنجزات المثالية ، فإذا كان معظم أفراد المجتمع راضين بنظامه الحالي ، فإن السياسات تسير برفق[٣] .

ولذلك . . تهتم الحكومات المختلفة بضرورة خلق ثقافة سياسية لدي المواطنين ، وهذه الثقافة السياسية قادرة علي جمع شمل جماهير الشعب وطوائفه المختلفة المتباينة

(١) د. نعيم عطية ، القانون والقيم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٢) د. فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

(3) Gabriel Almond. & G.Bingham Powell; comparative politics (Little Brown and Camperiy, Canada; Limeted;1987), pp.39-4.

الأفكار والمذاهب ، ولكل شعب ثقافته السياسية الخاصة[١] .

ويري لوسيان باي Lucian Pye أن الثقافة السياسية ما هي إلا مجموع الاتجاهات والمعتقدات والمشاعر التي تعطي شكلاً ومعناً ونظاماً للعملية السياسية ، كما تقدم مجموعة من القواعد السياسية والاجتماعية المستقرة التي تحكم تصرفات أعضاء النظام السياسي[٢] .

ويري سيدي فيرفا Sidney Verba أن الثقافة ما هي إلا المعتقدات والرموز التعبيرية والقيم التي تحدد الموقف الذي يَحْدُث الفعل السياسي في إطاره[٣] . فالقيم السياسية اختلف الفقه السياسي في تحديد مكانها من النظرية السياسية ، فالبعض يري أن محور التحليل في النظرية السياسية هو عملية التطور السياسي وما يرتبط به من أبعاد مختلفة ابتداءً بالموقف وانتهاءً بالقرار ، بينما يرى آخرون أن التطور السياسي لا يعدو أن يكون حركة وأن الحركة لا تنفصل عن الأهداف ، والأهداف ليست إلا تعبيراً عن القيم ، وعموماً فالقيم السياسية هي إطار فكري مثالي يغلف الأهداف المباشرة للحركة السياسية ، ويُضفي عليها سمواً معيناً وهو ما يسمي بأخلاقيات الحركة السياسية ، وهي تعبر عن خصائص حضارية مجتمعية[٤] .

وتعود أهمية القيم السياسية إلي أن علم السياسية بأنماطه التقليدية يضم قدراً معقولاً من القواعد المعيارية ، فالدراسات العلمية للسلوك السياسي جذبت الانتباه للقيم كحقائق مناسبة ، ويجب شرحها بدورها كعوامل تفسيرية في التحليلات السياسية ، فهذه التحليلات تتطلب ضرورة مواجهة التحكم في تأثير القيم علاوة علي نتائج التاريخ[٥] . فالقيم السياسية أصبحت تغطي مختلف مجالات علم السياسة وخصوصاً

---

(١) د. سعيد سراج ، الرأي العام : مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة ، القاهرة – هيئة الكتاب – ٨٧ – ص ٢٠٧ .

(2)Lucian Pye: Political Culture, in, International Encyclopedia of Social Sciences,1986, Vol.12,p.218.

(3) Sidney Verba: Comparative Political Culture, in , Pye and Verba (eds.): Political culture and political Development (New Jersey Princeton University Press,65) P.513.

(٤) راجع . أحمد فؤاد رسلان : نظرية الصراع الدولي (القاهرة – هيئة الكتاب ٨٦) ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(5)Feed back: Ethel. Albert, Values Systems, in, David Sills (eds.), op. Cit., pp.,290-291.

في السلوك السياسي والتحليل السياسي . فالقيم السياسية إذن هي مثاليات سياسية تُغَلف الإطار الفكري للإنسان ككائن سياسي يسعي للسلطة ويتعامل مع غيره من الناس علي قدم المساواة .

ب. خصائص القيم السياسية :

إن القيم السياسية ، كإطار للمعرفة ، لابد أن تتميز بخصائص تعكس مذاقها الخاص وطبيعتها المستقلة ، طبيعة مفاهيم القيم كحقيقة مجردة ، تتفاعل في داخلها في أغلب الأحيان عناصر غير مرئية من التقاليد والتعاليم الدينية فضلاً عن الخصائص التي يعبر عنها التطور العام لظاهرة القيم السياسية ، ومن الخصائص العامة التي تفرض ذاتها علي نظرية القيم السياسية(١) :

أولاً : القيم السياسية معرفة أخلاقية . . فهي أولاً حقيقة أخلاقية ونقصد بكلمة خُلقية أنها تعبير أو مرادف لفكرة المثالية ، وذلك لأن الثقافة السياسية لابد أن تضع لها أهداف وغايات وهذه الأهداف والغايات ذات طابع مثالي، كما أن القيم بصفة عامة هي الأهداف، ولكن الأهداف ليست بمعني الغاية المباشرة من الحركة وإنما بمعني المثاليات المسيطرة علي الحركة ، فالقيم السياسية هي أخلاقيات حتى لو ارتبطت وتحددت بالتحكم في الوجود الفردي .

ثانياً : القيم السياسية هي معرفة فلسفية : وينبع التصور أو الطبيعة الفلسفية لظاهرة القيم السياسية من طبيعتها كتصور ، ولا تعدو أن تكون معرفة فلسفية تقدم مذاقاً خاصاً وطعماً متميزاً .

ثالثاً : القيم السياسية تعبر عن خصائص حضارية : في كل جماعة وخلال كل فترة زمنية هناك تصور عام من خلال نظام كامل للقيم لما هو مقبول ، ومرفوض ، محبوب أو مكروه ، قابل للدفاع عنه أو هدف للاستهجان ، وهي دائماً تتضمن خصائص حضارية تنبع من الحضارة التي تعيش فيها .

رابعاً : القيم السياسية في مفهومها وفي جزئياتها مرتبطة بظاهرة الدولة في حقيقتها الديناميكية المعاصرة فالقيم متماسكة بمعني أن هناك علاقة ترابط بين نوع معين ، لابد

(١) راجع. د. حامد ربيع ، نظرية القيم السياسية ، القاهرة : نهضة الشرق ١٩٧٤ ، ص ص ٤ -٧ .

وأن تخلق علاقة من الجذب والرفض لمختلف القيم ، في تعددها وتنوعها ، فهناك قيم معينة لابد وأن تفرض قيم أخري وأن تؤدي إلي التسليم بقيم أخري ، وارتباط القيم السياسية بظاهرة الدولة - بنظامها السياسي وخطواتها السياسية وتقاليدها السياسية - يرجع إلي وضع الدولة معايير العمل السياسي والفكر السياسي من أفلاطون وحتى يومنا هذا . حتى أن هذا الارتباط يبرز في عملية التحديث البنيوي Structural الذي يواجه قيادات الدول اليوم من خلال مهام رسالتها التحديثية الإنمائية ، فالبنيات الحديثة هي المتجسد الحركي والإبداعي للقيم الحديثة التي تلتزم بها القيادة والمنتظم السياسي هو الإطار الذي يسع حركات سائر بنيات المجتمع وينظمها ، والتحدي الحضاري التحديثي يتحدى البيئة السياسية قبل أية بنية أخرى . فالبنية السياسية هي أداة تحديث سائر البنيات وتحدي التحديث والإنماء هو اليوم تحدي القابلية للاستجابة لهذا التحدي[1] .

خامساً : هي معرفة تصطبغ بصفة العمومية :

وهي عامة أي تشمل فئات كثيرة من المجتمع وتسود بنيهم وتجري عمليات التحديث للقيم من خلال معرفة المنظور الكامل للقيم السياسية في المجتمع . كما أنها من جانب آخر متصاعدة - فهناك علاقة تفرض الترتيب التنازلي أو التصاعدي بحيث تؤدي إلي عملية توزيع وظيفي معين بين مختلف القيم السياسية .

سادساً : القيم السياسية رغم تجريدها لابد وأن تكون جزئية ، فهي من جانب آخر متعددة الجزئيات ، أي أن أي قيمة تعني تصور والتصور يعني جسد كامل من الفرعيات وكل فرعية تُمثل جزئية معينة من الواقع المعرفي أو التصوري . فرغم عموميتها وتجريدها إلا أنها تمثل جزئية معينة .

ج - نسق القيم السياسية :

يُعرف نسق القيم بأنه نموذج منظم للقيم في جماعة ما ، وتتميز القيم الفردية فيه بالارتباط المتبادل الذي يجعلها تدعم بعضها البعض وتكون كُلاً متكاملاً ، هذا ويحدد النسق القيمي إطار لتحليل المعايير والمُثل والمعتقدات والسلوك الاجتماعي[2] ، وتنبع

(١) د. حسن صعب ، تحديث العقل العربي ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٢) د. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٥٠٦ .

طبيعة نسق القيم من أن لكل ثقافة طابعها المميز ، وخصائصها الفريدة ، ومن ثم يوجد فيها نسق للقيم يحافظ علي هويتها ، ويدعم وجودها ، وهي تتطور وتنمو بطريقتها الخاصة ، وقد تتضارب القيم القريبة فيحتاج الأمر إلي صعود في مدارج القيم بحثاً عن المعايير التي تغطي التضارب بين القيم علي المستوي الأدنى ، وعلي ذلك يكون في القيمة الأعلى" حلاً للقضاء بين "القيم الأدنى" ، ويستند هذا الارتقاء في مدارج القيم علي مبدأ وجود قيم أولي بالاتباع من غيرها [١] .

ولذلك تترتب القيم داخل بناء النسق القيمي وهو يتضمن نوعين من القيم : الأولي نهائية وتطلب لذاتها ، والثانية وسيطة وتتحقق من خلالها القيم الأولي وتوجد القيم داخل النسق القيمي للفرد بالتفاعل والديناميكية ، فهناك إمكانية التغيير في بناء القيم إذا ما تولدت صورة من صور التفاعل بين المرء بإمكانياته الشخصية وبعض المتغيرات الخارجية[٢] ، ولكن . . هل توصلنا "القيمة النهائية أو القيمة العليا" في النهاية إلي القيمة الكلية أو الشاملة" أو إلي "قيمة القيم" ، أو بعبارة أخري "القيمة التي تستوعب كل القيم" ؟

يذهب رأي الغالبية من الكتاب إلي أنه مهما مضينا في صعود مدارج القيم متنقلين من أهداف قريبة إلي أهداف أبعد ، فإنه من العبث أن نأمل في الوصول إلي غاية كلية يمكن أن يُعرف من خلالها النظام القانوني بأسره ، إذا لا مفر من تعدد القيم ، أو بعبارة أدق من الاعتراف بالعديد من الأهداف المتزاحمة التي لن تكون احتمالات تضاربها محلاً لحل له شرعيته المُبررة إلا من الطبيعة الذاتية لكل محاولة مجتمعية أو فلسفية[٣] ، ولذلك فإن القيمة العليا للمجتمع قد تختلف من مرحلة زمنية إلي مرحلة زمنية أخري ، ومن مجتمع إلي مجتمع آخر ، بل ومن منطقة إلي منطقة أخري . فنسق الموجهات القيمية الذي يلتزم به أعضاء أي نظام اجتماعي يمكن أن يكون بمثابة نقطة مرجعية أساسية لتحليل البنية الاجتماعية السياسية ، فالقيم هي تعهدات لأشخاص وأفراد بأن يتبعوا ويدعموا اتجاهات أو أنماط معينة من الأفعال من أجل الجماعة كنسق ومن ثم

(١) راجع . د. محمد علي محمد ، دراسات في التنمية الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٣٥٩ ، د. نعيم عطية ، القانون والقيم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٢) د. ضياء زاهر القيم في العملية التربوية ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٣) راجع . د. نعيم عطية ، القانون والقيمة الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

بشكل ثانوي من أجل أدوارهم في الجماعة [1] . وكل مجتمع يمتلك بدوره نسقاً للقيم يتضمن أهدافه وقيمه ومُثله العليا التي توجه حياته وعلاقاته ، وتضارب هذه القيم أو عدم وضوحها يُحدث صراعاً قيمياً واجتماعياً يؤدي إلي تفكك المجتمع وانهياره ، وهنا تكمن أهمية وضوح القيم وأهمية وضوح نسق القيم .

ونجد أن نسق القيم داخل كل مجتمع يقوم بوظيفية المحافظة علي القيم طالما أنه يقاوم قوي التغيير في المجتمع ويحاول الإبقاء علي الأوضاع القائمة فخاصية الاستقرار والثبات في القيم الاجتماعية والسياسية ليست بدرجة واحدة ، فالقيم السائدة في مجتمع ما تتفاوت في قدرتها علي مقاومة التغير الاجتماعي [2] . إذن ، فالقيم العليا هي ذلك المبدأ الثابت المستقر الذي تنبع منه وتتشكل جميع القيم الأخرى أو قسط معين من القيم الأخرى . وجميع القيم السياسية تتمركز حول التقدم الديمقراطي ، وتنبع منه ، والمتغير الأصيل الذي منه تنبع جميع القيم السياسية ، وهو الاقتراب بدرجة أو بأخرى من ذلك التصور الذي يدور حول حماية الكرامة الإنسانية ، بمعني تعدد الإرادات المكونة لجوهر العملية السياسية . فالديمقراطية هي محور الوجود الإنساني والديمقراطية كنقطة بداية لا تمثل مجرد مبدأ سياسي ، إنها أكثر من ذلك ، إنها ليست هدف سياسي ، إنها جوهر الوجود والحركة ، فالديمقراطية هي حقيقة التطور ، وهي فلسفة المعاناة السياسية ، وهي المحور الذي منه وبه تتحدد جميع أبعاد الوجود السياسي ، حتى أن المبادئ والقيم ليست إلا عملية تشكيل مفهوم الديمقراطية كحقيقة سياسية فكرية ، ومن ثم فالديمقراطية قد تتعانق وترتبط بالتأثير والتأثر بالمبادئ السياسية الأخرى ولكنها تظل ذات استقلال واضح من حيث الإطار العام لتشكيل القيم ، إنها الخلفية التي تنبع منها جميع تلك القيم فالحرية والعدالة والمساواة هي مظاهر للتعبير عن الحقيقية الفكرية المرتبطة بالديمقراطية [3] .

وسنري نسق القيم الهرمي في المجتمعات المختلفة وتعريفات كل قيمة علي حدة على

(1) T.Parrsons., Structure and process in Modern Societies, (London: Free Press,: Glance:1960 ,p172.)

(٢) د. محمد محمد الزلباني ، القيمة الاجتماعية من خلال الدراسات الأنثربولجية والاجتماعية ، القاهرة النهضة المصرية - ١٩٧٣ ، ص ٢٦ .

(٣) د. حامد ربيع ، نظرية القيم السياسية ، مرجع سابق ، ص ٢١ ، ٢٩ ، ٣٢

الصفحات القادمة ، ونتعرف على ماهي القيمة التي تتصدر وتتشكل بها كافة القيم الأخرى في إطار النسق القيمي للمجتمع[1] .

ومما سبق يتضح أن نسق القيم هو الذي يحدد ويحكم وينظم سلوك الأفراد ويحكم وينظم ويحدد سلوك الجماعة ، وهذا النسق القيمي يقوم علي مراعاة حاجات وأهداف وقيم المجتمع[2]. فالنسق القيمى مطلوب حتى لا تتصادم مختلف القيم السياسية ، وهو موجود وتحديده وابرازه هو من حيث الشكل فقط .

٨ـ القيم السياسية العليا بين الشرق والغرب :

تحدثنا عن القيم السياسية التي تتغير من مجتمع إلى مجتمع آخر حسب الأهداف السياسية التي تريدها الدولة أو النظام السياسي من وراء مختلف العمليات السياسية والاجتماعية التي تقوم بها وحسب فلسفة هذا النظام وأولوياته . وبالطبع فان القيمة العليا للمجتمع تختلف من مجتمع إلي آخر حسب اختلاف الثقافة السياسية لهذا المجتمع ، وإذا كانت القيمة هي فعل اجتماعي نمطي مقبول اجتماعيا وثابت نسبيا ، وذو صفة معيارية في توجيه السلوك للأفراد والجماعات نحو إشباع حاجاتهم بطريقة جماعية [3]، فان القيم تنبع من ثقافة المجتمع ، التي تعتبر مظهرا أساسيا من مظاهر الحضارة الإنسانية في عالمنا المعاصر ، ترقى بالإنسان وتسمو به فوق ماديات الحياة التي تسود واقعنا ، ولقد أثبتت دراسات علم الاجتماع أن الثقافة ذات أثر كبير في تشكيل

---

(١) ويؤكد أحمد رسلان في كتابه " نظرية الصراع الدولي أن هناك حقائق معينة يتوجب علي الباحث أخذها في الاعتبار بالنسبة للسمة التصاعدية للقيم السياسية وهي :

أ -تبعية القيم لا تعني إلغاءها أو الإقلال من أهميتها في الهيكل الأيدلوجي .

ب - التبعية لا تعني الإقلال من أهمية قيمة سياسية في مواجهة قيمة سياسية أخرى ٠

ت - مفهوم تبعية القيم السياسية مفهوم ديالكتيكي بمعنى أن الانطلاق من قيمة عليا ثابتة لابد وأن يقود إلى تأكيد كافة القيم الأخرى التابعة (أنظر ص ١١٩)

فالقيمة العليا السياسية توصف بأنها أسمى من أي قيمة أُخرى وتأتي في أعلى سلم القيم وتوصف بأنها ذات طبيعة مطلقة ، القيمة العليا هي محور التصور الأيدلوجي ، فهي بمثابة المرجع القياسي لمجموعة الأفكار والمبادئ المرتبطة بتطور العالم السياسي عندما يصل إلى درجة معينة من درجات الترابط والتماسك بحيث تقدم أداة الانتقال من التجريد السياسي إلى الواقع الحركي ٠

(٢) راجع : د. زيدان عبد الباقي ، علم النفس الاجتماعي في المجالات الإعلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٢٩ .

(٣) راجع ، عصام الدين هلال ، دور المدرسة الثانوية في إكساب الطلاب القيم اللازمة لعملية التنمية ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

الاتجاهات النفسية للرأي العام ، تشكيلا يتفق مع عادات الجماعة وقيمها وتقاليدها ، فتشكل الإنسان بالأسلوب الذي يساعد على التكيف مع المجتمع الذي يحيا فيه ، ومع بيئته ، يجد فيها القدرة على التفكير والمشاركة في العمل السياسي والاجتماعي بصورة إيجابية[1] .

وجميع القيم السياسية التي تسود عالمنا المعاصر لا تهدف إلا إلي تعميق المفهوم الديمقراطي داخل المجتمع بالشكل الذي يتناسب مع أيدلوجية المجتمع وأهدافه ومبادئه وأفكار وشكل نظامه السياسي . فالديمقراطية ليست مجرد شكل للحكم أو نظام سياسي بقدر كونها طريقة للحياة ، يتعامل في مجالها أفراد مجتمع معين ، ويشاركون عن وعى في تكوين محيط صنع القرارات الصادرة منه ، بحيث يرضون عنها ويتوافقون عليها ، أي أن يكون تكيف المواطنين صادراً عن اقتناع وثقة بإدارة الحاكمين المنتخبين من بينهم ، فهي كمفهوم تقترب كثيراً من دعوة الإسلام إلي الشورى حسب الحاجات الضرورية للعصر الذي نعيش فيه[2] . كما أن الديمقراطية بالنسبة لأي فرد تحتل نفس المكانة التي يحتلها المأوي الذي نأوي إليه والصدر الحنون الذي نرتمي بين أحضانه ، فهي العلامة المميزة المقدسة لأي نظام سياسي في البلاد المختلفة ، فينظر إليها علي أنها أسلوب حياة تدعو كل من يتأثر بالقرارات من الشعب إلي المشاركة في اتخاذ هذه القرارات ، ففي الديمقراطية ينبغي علي كل فرد أن يُسَاهم ويُسْهم في تحديد الغايات والأغراض التي توجه حياته .

إذن الديمقراطية هي سلطة الشعب – بأي شكل من أشكال الممارسة ، فهي النظام الذي يجعل أفراد الأمة يشاركون في صنع قرار الحكم دون اعتبار فوارق الحياة أو الغني ، فالديمقراطية نظام عام يفسح المجال لكل الإمكانيات ، أمام كل شخص فهي النظام الذي يحولنا ، بصفتنا أشخاص ، لأن نحيا بوسائل ناجحة ، نحيا في وعينا وفي سلوكنا بالقيم العليا المشتركة في المجتمع[3] .

(١) راجع : د . نازلي إسماعيل ، الشعب والتاريخ ، القاهرة : دار المعرف ١٩٧٦ ، ص ص ١٥٢ – ١٥٤ .

(٢) د. علي أحمد عبد القادر ، مقدمة في النظرية السياسية ، القاهرة للنشر ـ ٧٤ – ص ٧٣.

(٣) راجع في ذلك : روبرت ل . براكينبوري ، التصدي للقضايا التربوية ، ترجمة أحمد فؤاد عبد المجيد ، القاهرة : الناشر العربي : ١٩٧١ ، ص ٧٦ ، ٨٠ وأيضاً : د. محمد عزيز الحبابي ، من الحريات إلي التحرير ، القاهرة – دار المعارف – مكتبة الدراسات الفلسفية ١٩٧٢ ، ص ص ٢٨ – ٣٠ . وأيضاً : د. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

وهكذا نجد أن كافة المجتمعات السياسية تسعي بشكل أو بآخر إلي تحقيق الديمقراطية فتبحث عن التوجيه السياسي السليم . . وسنري أوجه هذه القيم السياسية العليا .

ونلاحظ أن أهمية دراسة القيم العليا الرئيسية في العالم المعاصر ازدادت وبرزت عقب الحرب العالمية الثانية نظراً لتعاظم دورها في إحداث التغيرات الاجتماعية والسياسية في المجتمعات القومية ، وعلي صعيد السياسة الدولية ، فارتباط المجتمع القومي بقيمة عليا ما هو إلا صدي نزوع إنساني عميق إلي الوحدة والنظام ، إنه تمرد يندفع دوماً ضد كل شئ في الكون ، فهو يُمثل محور فلسفة حياة مجتمعية شاملة ، ولقد شهد القرن العشرين نماذج جديدة من القيم العليا التي أثرت في مسارات السياسة الدولية ، وقد تبلورت هذه القيم من مصادر مختلفة ، ولكنها كانت دائماً ذات الأثر الغلاب سواء علي صعيد الحركة القومية أو الدولية مثل القيم الدينية : الديمقراطية- القومية- العسكرية ، الشيوعية والفاشية ، ويتميز التاريخ المعاصر بسيطرة قيمة عليا بثلاث مسارات مختلفة ،وتؤثر علي مسار الحركة القومية علي الصعيد الدولي[1] ، وسنتناول هذه القيم وهي :

- قيم الحرية بصفتها القيمة العليا في المجتمعات الرأسمالية الغربية .
- قيمة المساواة كقيمة عليا موجودة في المجتمعات الشيوعية والاشتراكية .
- قيمة العدالة كمفهوم أساسي للفكر الإسلامي .

وهذا لا يمنع من أن هناك دولاً عديدة وخصوصاً في العالم الثالث تُعلي من قيمة الانتماء الوطني وتُغلق الباب علي نفسها وتبني ذاتها بذاتها دون النظر إلي أية شكليات ديمقراطية فتُعمق الانتماء المحلي أو الديني فقط .

أ- الحرية كقيمة عليا فى المجتمعات الليبرالية :

الحرية ، كلمة تسود الفلسفة الليبرالية الغربية ، كما تُعْتَبر الأساس الفلسفي للحضارة الغربية ، ولذلك جعلت هذه الفلسفة قيمة الحرية هي القيمة العليا السياسية التي تتشكل علي أساسها كافة القيم الفردية والجماعية في الجماعة السياسية ، وتجد هذه القيمة أساسها في أغوار التاريخ الأوربي .

(١) راجـــع في ذلك : د. أحمد رسلان ، نظرية الصراع الدولية ، مرجع سابق ، ص ١٥٠ . وأيضـــاً : د. حامد ربيع ، نظرية القيم السياسية ، مرجع سابق ، ص ص ٨٧ - ٨٩ .

فالحرية ، بالنسبة للحضارة الغربية تُمثل نظرة شاملة للوجود الإنساني بأسره ، والحرية كقيمة سياسية تفترض وجود نظام سياسي يسمح بالمشاركة الفعلية من جانب الطبقة المحكومة في تسيير دفة الحكم ، وأن سلطة الأمة أو السيادة الشعبية في النهاية هي سلطة المواطن . فالحرية السياسية تمثل محور الحركة القومية السياسية وفي صورة متنوعة من القيم السلوكية أهمها الحرية الاقتصادية - الانتخاب كوسيلة لاختيار الطبقة الحاكمة - التنوع الوظيفي للسلطة - سيادة القانون - تعدد الأحزاب السياسية - حرية الصحافة والحرية الإعلامية - الحرية الثقافية - الحرية الاجتماعية - حق تكوين الأحزاب وحق الإضراب . . الخ ...[1] . وتنعكس قيمة الحركة كقيمة سياسية عليا علي الحركة السياسية الدولية ، فتنادي الدولة بقدسية الاستقلال السياسي وعدم التبعية لدولة أخري ، كما تنعكس هذه القيمة العليا علي جميع القيم الأخرى فتجعل منها قيما تابعة تتشكل وتصارع علي هدي من الحرية كقيمة عليا سياسية تحكم الحركة القومية .

وكلمةُ الحرية في أوسع معانيها تعني اختفاء القيود علي النشاط الفردي أو الجماعي ، والحرية بهذا المعني هي مرادف للقدرة علي الحركة دون ضوابط ، إنها بمعني آخر تعني عدم التبعية .

كما أن المفهوم السياسي للحرية يعني أن كل نظام سياسي يسمح بالمشاركة الفعلية من جانب الطبقة المحكومة في تسيير دفة الحكم ، وبغض النظر لكلمة المشاركة ، والمشاركة بهذا المعني تفترض عناصر معينة [2] ، فهي تفترض اتساع نطاق الممارسة السياسية بحيث أن المحكوم في أوسع قسط ممكن ، يستطيع في لحظة معينة ، ولو في بعض صور محدودة من التصويت ، أن يصف نفسه بأنه حاكم ومحكوم في آن واحد ، كما أنها تفترض حق المناقشة ، لأن المناقشة دون إمكانية التقييم لا قيمة لها ، فالمشاركة ليست إجراء صورياً ، وإنما يقصد بها المساهمة الفعلية في عملية التقييم والاختيار ، وتفترض حق الرقابة الذي يفرض إمكانية الضبط والتوجيه للمسئولية إزاء صاحب الحق في الممارسة السياسية .

كما أن مفهوم الحرية يُشير إلي التحرر من القيود التي يفرضها شخص معين علي

---

(١) راجع . د. أحمد رسلان ، المرجع السابق ، ص . ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) راجع . د. حامد ربيع ، القيم السياسية ، مرجع سابق ، ص ص ٩٠ - ٩٢ .

شخص آخر ، ويؤكد البعض أن الحرية تشير إلي أسلوب للحياة يتمثل في القيام بالأفعال التي تتطابق مع القانون الأخلاقي أو المنطقي ، فالحرية لا تتضح من انعدام القيود ، وإنما تتجلى في توافر فرص الحياة المتاحة للمشاركة والنشاط الواعي النابع من الذات ، والذي يدخل السرور عليها ، وبهذا تكون الحرية ضمير للفرد وفائدة للمجتمع ، ولما كانت قوانين المجتمع المتحضر سياسياً ناتجة عن الإرادة الواعية فيه ، فإن تمتع الفرد بالحرية يتناسب طردياً مع درجة طاعة هذه القوانين . هكذا يكون مفهوم الحرية : انطلاق من قيود الماديات قبل التفكير في اللحاق بموكب السابحين في عالم القيم والمثاليات والمذاهب[1] ، فالحرية السياسية ما هي إلا تتويج لكل ما يمكن أن يتمتع به الفرد من مشاعر الحرية والإحساس بها في كافة مجالات الحياة وضروب نشاطها .

وبتحليل عميق لقيمة الحرية بصفتها أهم القيم الحقيقية للحياة نجدها[2] :

أولاً : لا توجد حرية بصفة مطلقة مجردة ، ونقصد أن الحرية الحق لا تكون لازمة ، بل أن كل حرية تكون متعدية وإلا بقيت بدون محتوى .

ثانيا : لابد للحرية من تكاملية بين الحريات المختلفة ، أي أن كل حرية تستلزم حريات أخرى ، نعنى أنه لا حقيقة لأية حرية إلا في مجموعة من الحريات تتكامل معها تكتمل بها .

ثالثا : لا تُفهم أية حرية إلا إذا ارتكزت على معايير اجتماعية وقانونية .

رابعا : الحرية لا تتسق مع الأسر ولا تتفق معه أيا كان نوعه .

خامسا : كما أن الحرية انتفاء للآلية ونفى للاضطرار يتحقق هذا المعنى في الإنسان بل في كل شئ .

سادسا : الحرية نمو على المستوى الفردي ، والمجموع ، بل أن الثقافة نمو النفس المتحررة من الخوف والعقد ، بحيث يكون لديها من الإدراكات والمنجزات الطموحة ما يمكن أن يتاح للنفس الإنسانية الراقية .

---

(١) راجع . في معني الحرية : د. عاطف غيب ، قاموس العلوم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ . ، د. علي أحمد عبد القادر ، مقدمة في النظرية السياسية ، مرجع سابق ، ص ٦٤ ، ٩٥ ، ٩٧ .

(٢) راجع . في ذلك : د. محمد عزيز الحبابي ، من الحريات إلي التحرير ، مرجع سابق ، ص ٢٠ . و: د. نعمات أحمد فؤاد ، شخصية مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٨ ، ص ص ٣٠١ - ٣٠٣ .

سابعا : ومن الحرية ومن الوطنية أن نحب الحرية لغيرنا ، إن وطنية المستعمرين أنانية قومية ، لأن لهم الغنى والديمقراطية والحرية وللشعوب المغلوبة الفقر والاستبعاد والذل ، ولا يستحوا بعد هذا أن يتشدقوا بحقوق الفرد وحرية الرأي واحترام إنسانية الإنسان وهم يعنون الإنسان الأبيض بالطبع ، فالوطنية تعنى أن نحترم حرية أوطان الآخرين كما نحترم أوطاننا .

ثامنا : الحرية التي يريدها الأحرار حرية لا تتعارض مع الأديان ، بل تنبثق منها لأنها كرمت الإنسان .

تاسعا :هناك أوجه عديدة للحرية ، فالحرية ليست الحرية السياسية والاقتصادية فقط بل هي الحرية الاجتماعية والفكرية أيضا ، كما أن الحرية ليست شعارا ولكنها درجة من درجات النمو تحترم معه ذات الإنسان .

وإذا نظرنا إلى الليبرالية الحديثة نجدها تعاليم أيدلوجية تأخذ بأن الإنسان يمتلك حقوقا أخلاقية وشرعية اشتقها من العمليات الاجتماعية التي يشترك ويُسهم فيها ، وهذه الحقوق نسبية وليست مطلقة ، وما وجدت الحكومة إلا لتحسين وتشجيع وتعزيز الرفاهية العامة . وتأخذ الليبرالية الحديثة بأن الحرية هي القدرة علي الأداء ، فالحرية متسقة ومنسجمة مع مذهب المناداة بالمساواة.

فالليبرالية الكلاسيكية هي ذلك المذهب الذي تأخذ تعاليمه بأن الإنسان يمتلك حقوقا طبيعية أكثرها وأعظمها أهمية هي " حقه في الحرية " وحقه في الاستقلال ، وتعتمد الليبرالية علي الحكومة لتقوم علي حماية هذه الحقوق ولتحافظ علي النظام ، بينما ينبغي أن تتولى الأغلبية الحكم ، ألا أن الأقلية لها حقوق فطرية ، وقوي الحكومة محدودة فعليا وجوهريا ، وأن الحرية والمساواة متضادتان ومتناقضتان وأن أحد وظائف الحكومة هي الإبقاء علي التوازن المرغوب فيه بينهما بين الحرية والمساواة .

ومما سبق يتضح أن الثقافة السياسية الديمقراطية تُركز وتؤكد علي الحرية كقيمة أساسية وكقيمة عليا ، وتكون إطاعة أوامر السلطة في هذه الحالة مرجعها الإقناع وليس الخوف ، كما يتوافر إيمان عام بضرورة وأهمية المشاركة السياسية الإيجابية ، وكذلك يتوفر في إطار الحرية أن يكون لدى أغلب الأفراد إحساس بالقدرة على التأثير في

مجريات الحياة السياسية [١] . ولذلك ، فان الفرد غالبا ما يتمتع بدرجة عالية من روح المبادرة وبمعنى الاستعداد والتحمس للقيام بمشروعات ذات نفع عام على طريق العمل التعاوني المشترك دون اعتماد على الحاكمين .

فالحرية قيمه عليا أصيلة تتفرع عنها كافة القيم الأخرى في المجتمعات الرأسمالية الغربية .

ب ـ المساواة كقيمة عليا فى المجتمعات الشيوعية والاشتراكية :

قد تؤكد الثقافة السياسية للمجتمع إما على المساواة بين الأفراد أو على التفرقة التحكمية بينهم ، وفى هذه المساواة يتوقع أن تكون درجة المشاركة الجماهيرية في العملية السياسية أكبر منها في التفرقة . وتتبنى أغلب المجتمعات الحديثة قيمة المساواة في اعتبارها ، كإحدى القيم الأساسية التي تحكم العلاقات بين الأفراد ، في هذه المجتمعات يكاد يختفي التمييز التحكمى بين الأفراد في الحقوق والالتزامات ، أن التمييز الذي يرتد إلى عوامل طبقية أو إقليمية أو عرقية أو جنسية ، وتتم المفاضلة بينهم على أساس الكفاءة والإنجاز ، والعلاقات الإنسانية داخل المجتمعات التقليدية تنهض على مبدأ التدرج ، وفحوى ذلك أنه لا يتم التمييز بين الأفراد حسب الكفاءة والأداء ، بل حسب معايير تقليدية ، كالانتماء العائلي والقبلي والديني والسن والثروة والجنس .

والمساواة في مفهومها العام ، تعني تشابه المكانة الاجتماعية والحقوق والمسئوليات والفرص ، وهي مبدأ مثالي يتعارض مع نتائج مبدأي الحرية والمنافسة والتي من أهمها الاختيار الاجتماعي والتدرج واللامساواة ، والمساواة هي القيمة العليا السياسية التي نتربع علي قمة البناء الهرمي للمذهب الماركسي ، كما تمثْل محور الحركة القومية للدول التي تطبق هذا المبدأ أو ذاك المذهب ، وهذه القيمة هي خلاصة الفلسفة الماركسية من خلال التاريخ الذي توصلت إليها نظريتي التطور الديالكتيكي والتفسير المادي التاريخي [٢] .

---

(١) راجع كمال المنوفى ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - ١٩٧٨ ، ص ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) راجع . د. أحمد رسلان ، نظرية الصراع الدولي ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ ، وأيضاً د. نعيم عطية ، القانون والقيم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٦٧ .

والمساواة كقيمة عليا تعني في المقام الأول أن الحرية لا تتحقق إلا من خلال المساواة والتي تتفرع عنها أيضاً كافة القيم المجتمعية الأخرى ، كما أن النظام الديمقراطي - في هذه الدول - يقوم علي أساس هذه القيم التي لا تميز بين الأفراد بحسب لونهم أو جنسهم أو أموالهم ، ولا حتى بأعمالهم . وأن المشاركة السياسية الجماهيرية لدي أعضاء المجتمع في نظامهم السياسي وفي اتخاذ القرارات تتم وفقاً للمساواة . فالدول الشيوعية تنظر للحرية علي أساس أن الهدف الأول هو وقاية النظام الاجتماعي والفكر الشيوعي السائد ويضع الفرد في خدمة المجموع ويُحَدد الحقوق وهذه الحريات الفردية بما لا يتعارض مع تعاليمه الاشتراكية كما لا يسمح للأفراد بالخروج عن هذه التقاليد والنظم بحجة الحرية وخلافه[1] . فالمساواة كمبدأ ، وكقيمة عليا ، تشكل البناء القيمي والهرمي للمجتمع ، وعنها تتفرع كافة القيم الأخرى في هذه المجتمعات الشيوعية والاشتراكية .

ج - العدالة : كقيمة عليا فى الفكر الإسلامي :

العدالة في أبسط مفاهيمها تعني العدل في إصدار الأحكام وعدم المحاباة والتحيز لشيء معين . وكلمة عدالة اصطلاح ساد في الفقه السياسي في مختلف مراحله ، وهي بمعني وظيفي ومعني نظامي :

أولاً : فالعدالة النظامية تلك المجموعة من القواعد والنصوص التي تحكم النظام القضائي بحيث يكون أداة لتمكين مرفق العدالة .

ثانياً : العدالة الوظيفية : بمعني أن العدالة تصير إحدى الأهداف أو المهام التي تسعي الجماعة السياسية إلى تحقيقها ، وبحيث تمثل هدفاً ثابتاً للنظام السياسي . فالعدالة كوظيفة ، أو بمعني أدق كهدف وقيمة ، يجب أن يسعي إلي تحقيقها النظام السياسي ، تُلقي بنا في أعقد المتاهات للفلسفة السياسية ، وهي بهذا المعني تعتبر كقيمة وليست العدالة مجرد معني إجرائي نظامي .

وللعدالة عدة خصائص تمثل الجوانب المختلفة للعدالة كمبدأ سياسي فهي حقيقة حضارية ، لأنها تعبر عن حضارة معينة ، وقد تعبر عن ذاتية فردية ، كما أنها بحكم طبيعتها تفترض الحياد ، وهي في أبسط معانيها تعني إعطاء كل ذي حق حقه ، بهذا

(١) د. محمد عصور ، أزمة الحريات في المعسكرين الشرقي والغربي ، القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي : ط ١ - ١٩٦١ ، ص ٢٣ .

المعني قد توصف بأنها عدالة مساواة ، أي أن كل صاحب حق لا يختلف عن أي صاحب حق آخر في الحصول علي حقه ، وقد توصف بأنها عدالة توزيعية . ومبدأ العدالة هو ذلك التطبيق الواحد للحكم الواحد ، كما تعني أكثر من ذلك بعداً بمعني أن صياغة الحُكْم في ذاته يجب أن تعبر عن مفاهيم أكثر بُعداً من مبدأ المساواة ، فمبدأ العدالة لا يعني سوى السياسة التشريعية ، أما مبدأ المساواة فتعني السياسة الجزائية ، والسياسة التشريعية تدور حول الأهداف الباطنة التي منها تنبع مفاهيم الصياغة للقواعد ، أما السياسة الجزائية فلا تعني سوء الآثار المترتبة علي الإخلال بالقواعد . إذن فالعدالة في أبسط معانيها " إعطاء كل ذي حق حقه " أو كما يطلق عليها تعبير الإنصاف ، والمفهوم بهذا المعني يفترض تحديد معني الحق ، لأننا لا نستطيع أن نحدد ما يستحق الشخص قبل أن نحدد ما ينبغي أن نعطيه له ، علي أن الفقه ، في جانبه الأعم ، يري أن مفهوم العدالة يعبر عن افتراض ذو سمة مطلقة ، فالعدالة كمفهوم يقتضي وجودها توافر أركان ثلاثة هي : الحقيقة ، العمومية ، المساواة في المعاملة للحالات المتساوية .

ويرتفع مفهوم العدالة ليصل إلي مستوي قمة الهرم القيمي في الحضارة الإسلامية ، التي جعلت من مبدأ العدالة المحور الذي يسيطر علي جميع أبعاد الحركة ، والذي يتحكم في جميع أبعاد التطور . ولقد أصبح مبدأ العدالة في الإسلام هو الهدف الأسمى الذي تسعي الجماعة السياسية إلي تحقيقه ، كما يمُثل الهدف الثابت والقيمة العليا للنظام السياسي الإسلامي . فإذا ما تميزت كل حضارة بسمة ، كانت سمة الحضارة الإسلامية هي العدالة ، فالعدالة شعار الإسلام وخاصة هي الميزان المستقيم الذي يُحَدد العلاقات بين الناس في حالة السلم وحالة الحرب ، فهي القسطاس المستقيم الذي به يتم توزيع الحقوق وبه ينتظم الوجود الإنساني[1] .

(١) راجع . د. أحمد رسلان ، نظرية الصراع الدولي ، مرجع سابق ، ص ص ١٥١ - ١٥٢ ، وإذا رجعنا للنصوص القرآنية نجدها تعلي من شأن العدالة كمفهوم وكقيمة عليا في المجتمع ، ومن هذه النصوص القرآنية : قال تعالي ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء : ٥٨) . وقال سبحانه ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ (النحل : ٩٠) . وقال عز وجل : ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ﴾ (الشورى : ١٥) ، وقال عز وجل : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (الأنعام : ١٥٢) وقال تعالي : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ﴾ (المائدة : ٨) ، وهناك العديد من النصوص الأخرى .

ولقد اهتمت الفلسفة الإسلامية بمفهوم العدالة، فكان محور أحكام هذه الفلسفة، العدالة، كقيمة عليا في الإسلام، لها صفة الإطلاق من حيث الزمان والمكان والموضوع، فهي حق لأعداء الدولة الإسلامية كما هي حق لأوليائها مواطني الدولة الإسلامية، بل وينهي الإسلام أن تحمل العداوة علي الظلم، فإن العدل مع الأعداء أقرب للتقوى، كما أن العدالة معيار الحركة الإسلامية في وقت السلم، كما أنها أيضاً المعيار في وقت الحرب.

ومن جهة أُخري وفي دراسة لأحد الباحثين[١]: اتضح أن مفهوم الطفل عن العدل ينمي تفكيره الموضوعي، ويؤكد أن فكرة العدل نفسها فكرة حاسمة وقيمة أساسية يجب أن يُركز عليه الآباء والمعلمون لأنها عنصر أساسي في تنمية الطفل ولأنها قيمة أساسية لها أهمية كبري بل يجب أن تحتل الصدارة في التنشئة السياسية.. وهذا يؤكد ما للعدالة من قيمة سياسية أساسية في الثقافة المعاصرة. إذن فالعدالة هي إحدى القيم السياسية العليا في عالمنا المعاصر.

٩ - القيم الرئيسية فى كل المجتمعات:

هناك قيمة رئيسية في كل المجتمعات من شرقية وغربية ومتخلفة ونامية ومتقدمة، وكل الأنظمة السياسية من شيوعية إلي اشتراكية إلي رأسمالية، وهذه القيم الرئيسية قد تحتل قمة الهرم القيمي في المجتمع في مرحلة معينة من مراحل النمو القومي أو التنمية السياسية أو التطور المجتمعي داخل الدولة، وتحتل هذه القيم، مكانة رئيسية وخاصة في كل المجتمعات والأنظمة تقريباً، ومن هذه القيم الرئيسية:

أولاً: حب الوطن والانتماء له قيمة، تحاول كل المجتمعات، أياً كانت، تعميقها، وبثها في نفوس كافة الناس من أجل تدعيم قيم الانتماء والارتباط بين الإنسان والأرض، وبين الإنسان وأبناء الوطن ونظامه السياسي. فَحُب الوطن والاهتمام بخير الوطن أو بمصلحته ورفاهيته يؤدي إلي التضحية في سبيله ومن أجله والشعور بالانتماء والتلاقي مع أهدافه والشعور القومي نحو الوطن وحبه والاعتزاز به والدفاع عنه[٢].

---

(١) راجع: Roger Straughan, Can we teach children Be Good?, London: George Allen and Unwin, ١٩٨٢. ترجمة د. عبد المجيد شيحه، القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٨٧، سلسلة الألف كتاب الثاني، ص ١٠٥، ١٠٦، ١٢٣، ١٢٥.

(٢) راجع. آمال عبد العزيز، الآثار النفسية لما يقدم للطفل عن طريق وسائل الإعلام، القاهرة، هيئة الاستعلامات، بدون، ص ص ٤٨، ٤٩.

إن هذه القيمة هي أهم قيمة تبث في نفوس الأطفال في كافة المجتمعات ، لأن هذه القيمة هي التي تُحدد أُسس العلاقة الوطيدة بين الإنسان وبين تراب بلده والدفاع عنه وعن مقدساته وتراثه وعاداته وتقاليده ، وتعتبر من أهم القيم التي تهتم بها كافة الدول باختلاف اتجاهاته .

ثانياً : القيم الدينية : يشكل التدين ، إحدى قيم الثقافة السياسة التقليدية ، فحيث تسود هذه الثقافة يغلب أن يجعل المرء من العقيدة ، كما يفهمها ، كمُحدد رئيسي لسلوكه السياسي والاجتماعي ، كما تتمثل في التمسك والتعلق بالغيبيات التي تسيطر علي الأفراد نزعة قدرية ، ويجنح الفرد إلي الربط بين الدين والسياسة . وعلي العكس من ذلك تعتبر العلمانية واحدة من قيم الثقافة السياسية الحديثة ، التي في ظلها ، لا يتخذ الفرد من الدين محدداً لسلوكه في المجالين الاجتماعي والسياسي ، ويقبل الفرد الفصل بين العلاقات السياسية والعلاقات الدينية وخصوصاً في الدول الاشتراكية [1]، والإيمان يسود أغلب المجتمعات ، في مختلف أنحاء العالم ، تحت مسميات الأديان المختلفة ، فعن طريق الإيمان بالله يتشرب الإنسان الأخلاق الدينية ، وهى قبل كل شئ أخلاق اجتماعية تبغي كمال الفرد بدنيا ونفسيا واجتماعيا ، فينموا لديه الشعور بالعزة وبالقوة ، لأن الإيمان يفيض على نفسه أبعاد الأبدية وينمى لديه الوعي بالانتماء إلى الجماعة ، وينتزعه من التشاؤم والانعزال .

والتدين والقيم الدينية قيم أساسية ، فنادراً ما تجد مجتمعاً علمانياً ، حتى في المجتمعات العلمانية فإنها لا تقوم إلا بالفصل بين الدين والسياسة ، ولكن القيم الدينية تسود أعماق الأفراد ووجدانهم ويتاح لهم حرية ممارسة الشعائر الدينية ، دون وضع هذه القيم في الاعتبار عند وضع السلم الطبقي أو الفئوي أو الاجتماعي لتنظيم المجتمع .

ثالثا : تدعيم الثقة بالنظام السياسي :

يعتبر عنصر الثقة أو الشك في الحكومة واحدا من عناصر الثقافة السياسية لأي مجتمع ، ويتوقف مدى ثقة الأفراد أو شكهم في الحكومة على عاملين :

أ- هو طبيعة سلوكهم حيال هذه الحكومة ، فإذا اهتمت الحكومة برفاهيتهم وحل

---

(١) راجع . المنوفي ، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين ، رسالة دكتوراه . مرجع سابق ، ص ص ٢٧ ، ٢٨ .

مشكلاتهم فمن المتوقع أن يثقوا فيها وبالعكس .

ب- إذا ما كانت العلاقات بين الأفراد يحكمها الشك أم الثقة المتبادلة ، فانخفاض مستوى الثقة في العلاقات الاجتماعية من شأنه أن يعمق الشك في الحكومة والعكس صحيح . ومع ذلك ، فان الثقة المطلقة في النخبة الحاكمة تؤدى إلى خلق علاقات سياسية غير ديمقراطية يمكن أن تقود بدورها إلى قصور في أداء النظام السياسي ، وبالمثل فان الشك المطلق في الصفوة الحاكمة كفيل بعرقلة العمل الجماعي ، حيث يصعب في هذه الحالة بناء تنظيمات سياسية فعالة . ومن هنا لابد من وجود توازن مقبول بين الثقة والشك حتى يتحقق التسيير الفعال للعملية السياسية الديمقراطية التي تفترض تنافسا وتعاونا ، فحتى ينشأ التنافس لابد من وجود حد أدنى من الشك ، وحتى يتحقق التعاون لابد من توافر الثقة . فالثقة في النظام السياسي قيمة أساسية تهتم بها كافة الأنظمة السياسية في عالمنا المعاصر حتى لا يكون الصدام وحتى لا تنهار العلاقات الاجتماعية .

ومن طرق الربط بين المواطن ونظامه السياسي ، تدعيم ثقة المواطن بالزعامة : والزعامة تطلق عادة على كبار رجال الدين وكبار المصلحين الاجتماعيين والاقتصاديين، ومن الناحية السياسية ، فالزعيم هو رمز الأمة التي تعقد عليه أمالها وتطلعاتها ، والذي ترتبط به الجماهير برباط وثيق من الثقة والمحبة والاقتناع بقدرته على جمع شمل الكافة وقدرته على النهوض بالوطن والارتقاء به . وكما هو معروف فان الزعامة أنواع : منها الزعامة الدينية : وهى زعامة روحية ، ومهمتهم مخاطبة العقول، ومحاولة إقناعها بقبول المبادئ الروحية . ويمتازون بقوة المنطق والأخلاق الحميدة والبلاغة الشديدة والصفاء الذهني وسمو الروح والبعد عن المطامع الشخصية والأغراض الدنيوية . أما عن الزعامة الاجتماعية ، فنجد أنه يظهر في كثير من الأمم مصلحون فيبث الزعيم الاجتماعي في حالة الأزمات دعوته بين الجماهير ليهديهم إلى الطريق السليم للإصلاح الاجتماعي ، فالزعيم الاجتماعي رجل درس حالة بلاده ووقف على مواطن الضعف والقوة بها لمحاولة النهوض به . أما الزعماء السياسيون فهم الذين يقودون شعوبهم للتقدم والحضارة والترابط . وكما يقال أن التاريخ هو سيرة العظماء . ونجد في عالمنا المعاصر أن بعض التغييرات التاريخية الجذرية ترجع إلى رجل

واحد يعود إليه الفضل في نجاح هذه التغييرات بفضل مثابرته وعزيمته ونظرته النافذة. فالزعامة السياسية المجيدة تساهم بلا شك في تدعيم قيمة الثقة بين المواطن والدولة وبين المواطن وتراب أرضه ، فهي تدعم قيم الثقة والانتماء لتراب أرضه .

وهكذا يحتل مبدأ تدعيم الثقة بالنظام السياسي مكانه رئيسية في دنيا القيم في عالمنا المعاصر .

١٠ - القيم السياسية والتنشئة السياسية للأطفال :

إن الهدف الأساسي للتربية وللتنشئة منذ النشأة الأولي للمجتمع الإنساني هو بناء الإنسان الذي يستجيب للإرادة الاجتماعية ، ويواكب مسيرة الحياة بشكل إيجابي خلاق ، وقد تفرع عن هذا الهدف تيارات واتجاهات منها أنه يجب وضع الطفل في موقع المسئولية والوعى وتدريبه عليهما ، وهذا يؤدى إلى بناء شخصية مميزة متوافقة مع الواقع مع إبداء قدر متوازن ومتساو من الرعاية الوجدانية لاتجاهات الطفولة ونزعاتها .

ولذلك تتضح أهمية القيم في عملية النمو الإنساني للطفل ، ولم لا ؟ فالتربية تتصل بالبيئة الاجتماعية اتصالا وثيقا ، وهى بالدرجة الأولي إنسانية اجتماعية ، فمن خلال مؤثرات البيئة الاجتماعية يتشبع بالعادات والتقاليد والمعتقدات والمهارات والأماني والأهداف التي تحدد معالم ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه ، ومن منطلق مبدأ اجتماعية فلسفة التربية نجدها تتصل بالاتجاه المتزايد نحو القومية ، بل ، والتعصب الوطني في أغلب الأحيان .

إذن فالقيم ونظم السلوك ركن من أركان ثقافة الطفل التي تنتقل إليه من مجتمعه ، ومناقشة ثقافة الطفل التي يكتسبها من مجتمعه معتمدة على مداخل إنسانية ، تدور حول أساليب اتصاله بالآخرين من حيث سلوكه اللفظي والعملي والانفعالي[١] . ومن هنا ، فنتناول موضوع القيم السياسية وثقافة الطفل من خلال مناقشتنا لجوانب أهمية القيم بالنسبة للأطفال ، ثم ماهى وكيف تتم في عالمنا المعاصر ؟

---

(١) راجع : ألفت حقي ، ثقافة الطفل ، الكويت : عالم الفكر : المجلد العاشر : العدد ٣ - ١٩٧٩ ص ص ٦٧ - ٦٨ .

١- أهمية القيم بالنسبة للطفل :

تعد القيم أحد مرتكزات العمل التربوي ، بل هي من أهم أهدافه ، ووظائفه ، وهذه القيم هدف الآباء والمعلمين وكافة المؤسسات التربوية داخل المجتمع ، وكلهم يسعون لتأكيد النسق القيمى الإيجابي ، وحذف القيم السالبة التي تعوق حركة التنمية أو تقيد الطاقات ، وذلك لأن القائمين على أمور التربية يبغون صناعة الطفل القادر والمشارك والمؤثر في حركة التنمية داخل المجتمع . . فالطفل يبدأ بتقليد أفعال أكثر الناس قربا له ، أي الآباء ومن خلال الإيحاءات والرموز تنمو مشاعرهم وتكتمل اتجاهاتهم(١) . وإذا نظرنا للقيم ، نجدها أنها تأخذ طريقها إلى الطفل عبر مسارين مهمين لديه (٢) :

الأول : مجموعة القيم الاجتماعية والأخلاقية والوطنية التي تبثها العائلة ، والنظام ، وتطورها في المراحل الدراسية اللاحقة ، وهي مجموعة القيم المباشرة والصريحة .

الثاني : مجموعة القيم التي يستلمها الطفل من معايشته الذاتية واكتشافاته الخاصة سواء كان ذلك من قراءاته أو اتصالاته الذاتية أو من خلال الرموز الخاصة في المجتمع .

ويري البعض أن القيم في العملية التربوية تستمد أُصولها من مصادر موضوعية ولا تمثل أحكاماً ذاتية بأي حال من الأحوال وهم بذلك يرفضون المقولة بأن القيم شيء فردي خاص ويؤكدون علي وجود نظرية علمية للقيم تستمد منها القيم وجودها وبناءها بنفس الطريقة التي تعمل بها قوانين الطبيعة (٣) ، فالتربية تشكل نشاطاً شاملاً يتم من خلاله نقل القيم والمعارف والمهارات والمعتقدات إلي الأفراد ، وهو نشاط تحدده متغيرات الواقع الاجتماعي بما فيها طبيعة تركيب المؤسسات التربوية وأنساق القيم التي تحكمها . فالقيم قوة محركة لسلوك الفرد وعمله ، وهي توجه أداء الطفل وجهة دون أخري ، فالقيم التي يتشربها الفرد من الحياة الاجتماعية تبدو كما لو كانت

---

(١) د . حسن شحاته ، القيم التربوية في قصص الأطفال ، بحث غير منشور في الحلقة الدراسية : القيم التربوية للثقافة الطفل - ١٩٨٥ - هيئة الكتاب ص ص ١ ، ٢ .

(٢) فاروق سلوم ، الكتابة على صفحة بيضاء ، العراق : دار ثقافة الأطفال : ١٩٨٦ ، ص ص ١٣ - ١٤ .

(٣) فيليب إسكاروس وسمية حسين ، القيم الجمالية في الصور المصاحبة للقصص المتداولة لدي أطفال مصر. دراسة تربوية ميدانية ، القاهرة : المركز القومي للبحوث التربوية - ١٩٨٠ ص ٧ .

تشكل شخصيته وتصبح ملكاً للفرد نفسه ، فتكون القيم مرجعاً للفرد في الحكم علي كل شيء : الجمال - القبح - الخير - الشر .

وبث القيم للأطفال عملية تتضمن العديد من الخطوات تبدأ بالامتداح والتمسك بما تثمله القيمة ، وتأكيد القيمة بإعلامها للغير ، وأن يكون الاختيار للقيمة من بين البدائل المطروحة ، وأن يكون الاختيار بعد وضع الاحتمالات الناتجة عن هذا الاختيار في الاعتبار ، وأن يتم الاختيار في حُرية تامة ، وأن تُمارس القيمة عملياً وأن تتميز الممارسة العملية للقيمة بالثبات والاستمرار [1] ، فإذا نظرنا للقيم السياسية نجدها تؤثر علي استجابة الطفل لمختلف المنبهات السياسية من خلال عملية التنشئة السياسية ، فهي تُشَجع علي الاهتمام بقضايا المجتمع وممارسة النشاط السياسي كما أنها تجعل السلوك السياسي امتدادا للسلوك الاجتماعي ، وتساعد عملية التربية علي تزايد دوره باطراد وبالتدرج والحراك الاجتماعي ومن ذلك ثبت القيم السياسية في النفس قوة محركة نحو العمل والمشاركة السياسية .

ونجد أن هناك جملة أمور حاسمة في مواقف القيم وتصارعها للوصول إلي ذات الطفل :

أولاً : أن القيم لها أهداف مُحَددة تؤثر في ثقافة الطفل وتجعله يفكر بشكل نقدي في الأمور المنعقدة والمهمة بالنسبة له .

ثانياً : ليس من الضروري الإصرار علي تغيير موقف إدراكي للطفل في الحال . إنما الترشيد لاتجاه نحو المسار الصحيح في تقييم الأمور ، وهذا موقف مطلوب .

ثالثاً : التأكيد علي الطريق السليم في التفكير تحاشياً لوقوعهم في بند الإيمان الأعمى بأفكار أو أشخاص أو أفعال تتبلور فيها الصراع بين القيم داخل الطفل وخارجه .

ولذلك ، فإن القيم عموماً ، والقيم السياسية علي وجه الخصوص هامة جداً في ثقافة الطفل نظراً لأنها تُشكل شخصيته الاجتماعية وقدرته علي التعامل والتكيف مع

---

(١) محمد رفقي عيسي ، توضيح للقيم أم تصحيح للقيم ؟ ، القاهرة ، المجلة التربوية - عدد ٣ - ١٩٨٤ ، ص ٤٤ .

الناس والمجتمع والمشاركة الفعالة في أمور مجتمعة ، كما تنبع أهمية القيم بالنسبة للأطفال أيضاً من ضرورة التربية السياسية ، ويمكن القول بأن أي تربية ،أياً كان نوعها، تكون من أجل النمو المتكامل للفرد وتوجيهه وجهة اجتماعية، فالتربية تتضمن العمليات التي من شأنها أن تحول الأفراد إلي أفراد اجتماعيين، والمجتمع هو صاحب المصلحة الأولي من التربية، ولا يمكن لأي حاكم أو أي نظام للحكم أن يتجاهلها بل والدولة تعتمد علي التربية في إعداد الأجيال التي تُدَعم هذا الحكم وتسانده .

فالتربية السياسية المقصود منها وغرضها من أجل تنمية عاطفية المعايشة وروح الانتماء للوطن[1] ، فالتربية السياسية هامة جداً بالنسبة للأطفال وتعني تلك المجهودات الخاصة التي يقوم بها وينظمها المجتمع من أجل مساعدة أبنائه علي استيعاب الواقع استيعاباً موضوعياً ناقداً ، يتيح للأطفال وللشباب أن يتحركوا في مجتمعهم ومعه وبه في اتجاه صياغة جديدة للحياة وللجماهير وتحقيق واقع أفضل من واقعها الحالي . والتربية السياسية لا يمكن أن تغفل واقع المجتمع واتجاه حركته العامة وفلسفته وأهدافه ، لأن هذه التربية إذا لم تراع ذلك فسوف تؤدي إلي صدام في الواقع أو انقسام في حركة المجتمع ومساره ، وبالطبع ، تتحكم القيم في عملية التربية السياسية أو التنشئة السياسية ، والقيم هي التي تُعطي المثاليات والأفكار والأهداف للأطفال ليشبُوا مواطنين صالحين ليس بينهم وبين قيم المجتمع أي تعارض أو صدام .

وتحظى الطفولة باهتمام شديد من مختلف الأمم والشعوب سواء في تاريخها السحيق أو في حاضرها المعاصر ، وذلك ينبع من أهمية الطفولة وضرورة بث القيم في نفوسها . ويحصل الطفل علي القيم من خلال الأسرة ووسائل الإعلام والمدرسة ، فالأسرة مثلاً قد تعمد إلي أساليب الإثابة والعقاب في تأديب الطفل وذلك بإثباته علي حسن سلوكه بما يتمشى مع قيمها ، فهي تدعم السلوك الذي يتمشي مع القيم الأساسية التي تدين بها وتمنع السلوك الذي يتعارض معها . وهناك عامل القدوة ، وهو عامل هام له تأثيره البالغ في تنشئة الطفل سياسياً فالطفل لا يستطيع أن يتصرف بشكل يتوافق مع اتجاهات الغير وقيمهم إلا إذا تبني تلك القيم والاتجاهات كخطوة أولي ليجاري كبار الأسرة .

فالقيم لها دور هام في تنشئة الطفل سياسياً وبناء شخصيته الاجتماعية والإنسانية .

---

(١) راجع : د. عواطف أبو العلا ، التربية السياسية للشباب ودور التربية الرياضية ، القاهرة – نهضة مصر ـ ١٩٧٤ ، ص ص ٢٧ ـ ٣٤.

٢- نوعية القيم السياسية للأطفال :

إن غرس القيم السياسية والاجتماعية بأنواعها في نفوس أطفال المجتمع ضرورة قصوى لمواجهة متطلبات التنمية الشاملة ولمواجهة ظاهرة الازدواجية الثقافية في المجتمع ، ومن ثم فإنه أصبح من الضروري مواجهة ظاهرة التعرف علي القيم ونوعيتها الموجهة والمقدمة للأطفال تبعاً لظروف كل مجتمع لأن عوامل وجودها في المجتمعات الإنسانية لا تكون بالضرورة غير متماثلة . . ويجدر الإشارة في هذا الصدد إلي أن مواجهة ظاهرة الازدواجية الثقافية تتطلب تعاون كافة أجهزة التنشئة السياسية جميعاً في ضوء التخطيط العلمي ، ويتطلب ذلك بدوره وجود استراتيجية تكون أهدافها تكوين المواطن الصالح ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا عرفنا سمات هذا المواطن الذي تجعله في ضوء ظروف مجتمعه مواطناً صالحاً .

وسوف نستعرض هنا بعض مجموعات نوعية من القيم السياسية والاجتماعية التي يتعرض لها الطفل أو التي يمكن أن نوجهها له علي ضوء المتطلبات الوطنية والدينية والقومية والإنسانية ، وعلي ضوء ضروراته ومتطلباته النفسية الوطنية والدينية والقومية والإنسانية ، وعلي ضوء ضروراته ومتطلباته النفسية والفسيولوجية . وبالطبع ، فإن هذه القيم تتغير من جماعة إلي أخري ومن نظام سياسي إلي نظام آخر ، حسب نسق القيم السائد في المجتمع وحسب ترتيب أولوياته وأهدافه ، كما يتغير تبعاً لعمليات التحديث التي لا تُركز علي مجرد القيم التي تعمل عليم التعجيل والإسراع بالنمو الاقتصادي ، بل تمتد لتشمل أيضاً الاهتمام بالقيم التي ترفع من كفاءة القدرات التنظيمية والإدارية ومن ثم يعمل علي ظهور وتنظيمات حديثة أو عصرية وتُدعم الحقوق المدنية والسياسية .

ونجد أن أهم العوامل التي تبث القيم والأخلاقيات بنوعياتها المختلفة هي القدوة والمُثل الأعلى للطفل - سواء علي مستوي الأسرة - المدرسة - المجتمع - النظام السياسي ، لأنها توضح لهم بطريقة فعلية روح الخير ، وتمثل لهم معني الحياة السامية ، وذلك ينبع من أن التهذيب بواسطة المُثل الصالح يأتي عن طريق الخبرة وتُنقل القيم والأخلاقيات مجسمة في مجراها الفعلي ، فتدعو الأطفال إلى التقاطها واقتباسها بالمحاكاة [١] ، كما

---

(١) د. نعمان الهيتي، أدب الأطفال، القاهرة : م هيئة الكتاب، سلسلة الألف كتاب الثانية ١٩٨٦، ص ١٥٤ .

لابد من وضوح القيم والمعايير ونوعياتها المختلفة لأنها هي أساسيات لازمة لتوجيه السلوك لأن تكوين ثمة قيم ومعايير متعارضة بعضها مع البعض الآخر يؤدي ، بلا شك ، إلي البلبلة والارتباك ، وفي هذه الحالات يشعر الفرد بأنه مضطرب وهذا المناخ يُضْعفُ فيه القيم التي استقرت طويلاً ، وحتى لتمتلئ الحياة بالتناقضات وبخاصة تناقضَ أنساق القيم بين الأجيال المختلفة ، وتناقض الحياة اليومية مع نسق القيم والمعايير إلي الحد الذي تضطرب معايير الحياة علي أرضية المجتمع [1] ، كل ذلك يؤدي إلي تخلخل نظام القيم في المجتمع ومن أهم هذه القيم :

أولاً : بث قيم الوطنية :

" حب الوطن ، والشعور بالانتماء إليه والولاء له ، والوفاء بحقوقه " من أهم القيم الأولي التي تُبَث للأطفال وتقدم إليه منذ نعومة أظافره . وهو من أهم الأهداف والقيم الإيجابية التي يسعي إليها الوطن ، كما تتضمن هذه القيمة أيضاً " محبة الناس بعضهم بعضاً والاهتمام بدعاء الوالدين واحترام الكبير والسعي من أجل الرزق المشروع في المجتمع وهي قيم خُلقية مثل الدعوة إلي المبادرة وعدم اللامبالاة وعدم اليأس والاستسلام .

ومن أهم مقومات هذه القيمة التركيز علي نقاط الفخر والعزة والقوة في التاريخ القومي ، والتركيز علي الأبطال القوميين الذين ساهموا بقوة في صُنع أحداثه وصنع تاريخه الوطني ووضع لبنات نهضته وقوته .

والملاحظ أن ظاهرة الوطنية يمكن اعتبارها قيمة مركبة ذات أهداف إيجابية مترابطة متعددة ، أن هذه القيم الإيجابية ذات صور عديدة من القيم ، فهي لا تحتوي فقط علي حُب الوطن والشعور بالانتماء إليه والولاء له والوفاء بحقوقه ، بل هي أيضاً ، لكي يتحقق كل هذه القيم ، قيمة الإيمان وقيمة العطاء وقيمة البذل وقيمة التضحية ، فضلاً عن قيمة التعاون ، أي أن هذه القيم كلها ، وربما غيرها ، لابد أن تكون وراء تدعيم قيم الوطنية في النفس الصغيرة . وأيضاً هناك الاختلاف الواضح بين قيمه والانتماء المحلي داخل الوطن ، وقيمة الانتماء الجماعي للإقليم أو الوطن كله فتتعدد مستويات

---

(١) د. عزت حجازي ، الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد يونيو ١٩٧٨ ، ص ٨٥ .

العمل القيمي علي مستوي الدولة ، فقد تكون الدولة جزء من وطن كبير كما هو الحال في مصر والعالم العربي ، وبذلك تكون قيمة الانتماء تتوزع بين"الوطنية المصرية والقومية العربية "وكذلك قد تتوزع قيم الانتماء للجماعة أو للدولة فيحدث بعض الارتباك . ولكن يمكن التوفيق بين هذه القيم واحتوائها داخل نسق القيم الكلي والشامل إذا كان يتمتع بوضوح طبقاً لأولويات المجتمع ، وإذا كانت للقيمة الموجهة للأطفال جانب مشرق ، فإن التأكيد علي صيغة الانتماء القومي كقيمة متمثلة في حياتنا القومية ، ولكنها لم تستطع أن تحقق فيها وعياً كافياً في المناهج الدراسية القديمة . فهناك القيم التي تولد بفعل ردود الفعل للأطفال تنتج من معايشة للواقع مع احتضان المجتمع له وتوفير احتياجاته وأبرزها قيمة الانتماء للوطن وترابه والموت في سبيله .

فالولاء يُعَد من أهم مؤشرات التكامل بالنسبة للمجتمع السياسي ، فالمجتمع الذي يتمتع بدرجة عالية من التكامل يتوفر لدي كل أو أغلب أفراده الإيمان بالولاء القومي ، أما المجتمع الذي يعاني من أزمة تكامل فغالباً ما تكون ولاءات أفراده من طبيعية محلية ضيقة . وفي المجتمعات التي تسودها ثقافة سياسية جديدة يتجه الأفراد بولائهم نحو الدولة ككل ، بما يتمن ذلك من شعور بالمسئولية العامة وإعلاء المصلحة العامة علي المصلحة الخاصة ووعي واهتمام بالمشاكل القومية ، أما في المجتمعات التي تسود فيها ثقافة سياسية تقليدية يغلب أن يتجه ولاء الفرد محلياً ، إلي أسرته ثم قبيلته أو جماعته الدينية أو اللغوية أو مجتمعه المحلي ، وعادة ما يصاحب ذلك غياب الشعور بالمسئولية العامة واهتمام بالمصلحة الخاصة فحسب وانغلاق علي المشاكل الذاتية والمحلية . ولذا ، فإن قضية الانتماء وغرسها في الأطفال قضية هامة وأساسية ، فتبدأ منذ الصغر لتصبح سلوكاً هاماً وجزءاً من السلوك العام ويوافق الطفل منذ بدايته وحتى الكبر(١) .

ثانياً : قيم الحرية والتسلط :

القيم الأبوية تؤثر في الطفل تأثيراً شديداً ، ومن أهم القيم التي تسود في أغلب المجتمعات ، القيم الأبوية الاستبدادية ، حيث تقوم الأسرة عادة علي تقديس تسلط الأب أو ولي الأمر الذي يتصف بالسلطة والتسلط والقسوة تجاه الأطفال حيث يتم

---

(١) محمد رفيق مرسي ، توزيع وتسويق كتب الأطفال ، الحلقة الدراسية الإقليمية ١٩٨٤ ، هيئة الكتاب ١٩٨٥ ، ص ٢٦٢ .

صهرهم داخل قوالب جامدة تُلزم الأبناء بأن يكونوا صورة من الآباء ، ولذلك تتجه التربية الأسرية إلي أساليب تأديبية كثيرة من أجل إخضاع الطفل وسلبيته ، وهذه القيم الاستبدادية تؤثر علي ثقة الطفل بنفسه وعلي استقلاليته ، وتحويله إلي ببغاء يُرَدد ما يسمع ولا يناقش ، وتتعطل طاقاته الإبداعية . فتؤدي هذه القيمة إلي الحد من طموحات الطفل وتضعف ثقته بنفسه وتقلل من استقلاليته وتدفعه إلي الاعتماد علي غيره وإذعانه للسلطة وإحساسه بالإتكالية والنفاق كمسالك تعويضية يتبناها الفرد لتأكيد ذاته ولذا فإن سلطة الأب والكبار المتسلطة تؤثر على حرية الأطفال في تقرير مصيرهم وفى تكوين آراء مستقلة ، وبالتالي تضعف من شخصيتهم وتؤثر في اتجاهاتهم نحو الحرية والاستقلال .

ومن الدراسات التي تمت حول هذه النقطة ، اتضح أن الأبناء يميلون إلى أن يكونوا أكثر تحررا واستعدادا للتغير في اتجاه مسايرة منطق العصر عما كانت عليه الأجيال السابقة ، فيطالبون دائما بحرية في اختيار أصدقائهم وما يُرَوحون به عن أنفسهم وفى التصرف في شئونهم الخاصة اكثر مما يسمح لهم به آباؤهم . كما أكدت الدراسات أن الأبناء أكثر نقدا للنظام الأسرى والمدرسي فهم يطالبون بأن يكون لهم صوت في اتخاذ قراراته ويميلون إلى رفض فكرة إطاعة ما تصدره هذه النظم من تعليمات دون مناقشة ، ويطالبون بتطبيق شعارات الديمقراطية التي ترفعها العديد من الجهات المسئولة . بمعنى آخر ، الأبناء أكثر ليبرالية من آبائهم والأجيال السابقة عليهم ، وتختلف شدة هذا الاتجاه من حالة إلى أخرى [1] .

وهناك دراسات أخرى حاول الباحثون التعرف على مدى ما يتمتع به الأطفال بالمناخ الديمقراطي داخل الأسرة ، وهل تتيح لهم الأسرة حق التعبير عن الرأي في الأمور التي تَخُصهم ، أم ينفرد الوالدان بتصريف أمور الصغار مما ينمى عندهم التبعية والخضوع لكل ما يلقى إليهم ولو كان فيها يتعلق بمشاكلهم وإلقاء المسئولية حل مشاكلهم علي الغير ، ويكون عندهم عقدة الخوف من إبداء الرأي ، فأكدت الدراسة علي تقدير الطفل لمفاهيم المشاركة السياسية والاجتماعية ومدلولاتها الاجتماعية علي

---

(١) راجع : د. عماد الدين سلطان ، الصراع القيمى بين الأبناء وعلاقته بتوافق الأبناء النفسي ، القاهرة - المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٧٣ - ص ١٢٩ .

مظاهر السلوك ، والتي تؤكد أو تشجب هذه المفاهيم أثناء تفاعله مع والديه ، ولقد بدأت بعض المفاهيم التي تؤكد المشاركة وتدوين التسلط تسود بيننا ، بل ساد الاعتقاد بأن المشاركة أساس الرفاهية والطمأنينة ، بيد أن المشاركة لا تطبق في المجتمع الكبير وحده ، بل هي قيمة عُليا في داخل الأسرة . ولذلك فإن إدراك الطفل بالممارسة معناها تغير انسجامه مع الأمر الواقع الذي يعيش وبهذا تتكامل أفكاره واتجاهاته وسارت عنصراً أساسياً من عناصر شخصيته ، أما من حرم منها في طفولته عاش طوال حياته محروماً منها فلن يستطيع أن يتقبل مشاركة الغير أو أن يتقبل آراء الآخرين ويحترمها ما دام قد حرم من المشاركة في طفولته [1] .

نخلص من ذلك أن الحرية من أهم نوعيات القيم التي يجب غرسها منذ المهد لأنها عامل أساسي في تشكيل شخصية الطفل نحو نفسه وأسرته ومجتمعه . وينبع ذلك من أن مبدأ الحرية يرجع إلي حماية مجالات النشاط من التأثير الخارجي وحماية الخصوصية ، وينظر لهذا أحياناً علي أنه المفهوم السلبي للحرية والمرتبط بالحدود العادية للسلطة الحكومية ولكنها أكبر من قيود العمل الحكومي ، وذلك لأن المخالفات للحرية والخصوصية تقوم بها بعض الأفراد والجماعات والمؤسسات . وكمبدأ أساسي ، فإن الحرية ليست فقط التدخل الحكومي ، ولكن تدخل الأحزاب والأشخاص في أعمال الغير جزء من انعدام الحرية ، وكذلك فإن إنكار الحق في الإقامة أو التدخل في ممارسة الحقوق السياسية وغيرها يشكل اعتداء علي حرية جماعة من المواطنين من جماعات أخري .

وبالرغم من أهن هناك ارتباط وثيق للعلاقة بين الحرية والأمن فإنه ليس هناك فواصل منطقية بين الحرية والأمن ، وليس هناك إجابة أخلاقية جاهزة تُمثل التوازن بينهما . ففي نقطة معينة يُهَدد حرية البعض أمن الآخرين ، وجزء من مشكلة الحرية تتعلق باستخدام المواطنين المستتر لها وما يتعلق بما يقف في طريقها . . إلا أن عنصر الأمن له خصائص نفسية وسيكولوجية وقومية تختلف عن الحرية . . فالحرية السياسية كقيمة لابد أن تبث في نفوس الأطفال ، فهناك من يعتقد أن الأطفال ينمون خلقياً عن

(١) د. محمد سعيد فرح ، دراسات في المجتمع المصري ، القاهرة – هيئة الكتاب – ٧٦ ، ص ص ١٣٨ – ١٣٩ .

طريق ممارسة حريتهم فقط ، دون محاولة فرض القيم والافتراضات الخلقية للراشدين عليهم ، فالحرية ضرورية للطفل ، اعتقادا وممارسة[1] ، فممارسة درجة معينة من حرية الاختيار والحكم المستقل ضرورية لتكوين شخصية الطفل ليكون إنساناً كاملاً .

والحرية قيمة ضرورية ، ضرورية لبناء شخصية الطفل ، وبناء مستقبله وبالتالي بناء مستقبل الأمة ، فالحرية تُعطي للطفل كيانه الذاتي ومنطلقاته الخاصة وأفكاره ، بما يساعد علي تكوين نظرة ورؤية موضوعية لكل شئ حوله فإذا ما نما الطفل علي الحرية وتعود عليها كان ذلك له أكبر الأثر في النمو الطبيعي والموضوعي والسليم للطفل الذي تتكامل شخصيته بذلك .

ثالثاً : القيم الدينية :

القيم الدينية قيم تتصدر قائمة القيم الإيجابية علي الرغم مما يثيره البعض من أن هذه القيم هي سبب تخلفنا ، ولكن التحليل العميق للقيم الدينية يُنَافي هذا الزعم ، ففي هذه القيم مبادئ وأحكام أخلاقية بالغة الأثر في تفادي كثير من القيم السلبية التي تؤثر في بنيان المجتمع وتطوره ونموه وتقدمه ، فلو تعمقنا مثلاً في النسق القيمي للدين الإسلامي ، وحللنا أخلاقياته لوجدنا أنه يتضمن معاني وقيماً تعتبر لب عملية التنمية ، فاحترام العمل وإتقانه محور رئيسي من ركائز الفكر الإسلامي ، كما أن الملكية في الإسلام ليست للفرد أو الجماعة أو الدولة وإنما هي فعل اجتماعي . كما أن للإسلام مواقف فيما يتصل بالمساواة بين الناس والتضامن الاجتماعي والتكافل الأخلاقي في المجتمع ، وكل هذه الأمور إذا ما تم تجليتها وتوضيحها بحيث تتحول إلي قيم يتمسك بها الناس وتحكم سلوكهم وتتمثل فيه ، كل القيم الحياتية والسياسية والاجتماعية التي تؤثر في الإنسان وتحوله إلي إنسان ناضج وإنسان اجتماعي .

والقيم الدينية بما تتضمنه من قيم سياسية كالمساواة والعدالة والحرية والانتماء الديني والوطني ومن قيم خُلقية كالأمانة والإخلاص والاستقامة والقوة والعلم والتمسك به والعمل الجاد المنتج . . الخ . كلها من القيم الدينية التي تغرس في الفرد شعوراً بقوته الإنسانية وقوته الروحية وقوته السياسية وتدفعه إلي العمل الجاد من أجل تحقيق ذاته

---

(١) روجر ستروجان : هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟ ترجمة د. عبد المجيد شيحه ، القاهرة – هيئة الكتاب – سلسلة الألف كتاب ٣٧ ، ص ص ٦٣ ، ٨٠ .

وحماية جماعته وتدعيم وطنيته وتقوية عقيدته . فالقيم الروحية تساعد الإنسان علي التخلص من التيارات المعاصرة التي تعصف بالفكر الإنساني وتجعله يضطرب كما يضطرب الإنسان والمجتمع من داخله ، كما أن للقيم الدينية دوراً هاماً في تدعيم التماسك بين أفراد المجتمع وبالتالي تدعم الوحدة الوطنية له .

رابعاً : قيمة المساواة :

المساواة قيمة تتطلب عدم التفرقة بين الإنسان وأخيه الإنسان بسبب الجنس أو اللون أو الطبقة أو حتى الوظيفة والسن ، وإن كان هناك تفرقة طبيعية بين الإنسان بين السن أو الجنس فلا يمكن مثلاً أن تتساوى ، طبيعياً وفسيولوجياً واجتماعياً ، الرجل بالمرأة أو الجاهل بالعالم ، الغني بالفقير . . الخ وهناك دراسات[1] ، حاول فيها الباحث معرفة مدي تقبل الوالدان لمبدأ المساواة لإدماج هذه القيمة في شخصية الأولاد ؟ ووجد الطفل مع قيمة المساواة يدفعه إلي الإيمان بالمشاركة في المسئوليات والالتزامات في الأعمال التي يقوم بها وإدراك أن الأدوار المهنية لا يُحَددها الجنس وحده ، ورفض التعصب نحو الآخرين الذين يختلفون معه في الجنس أو الوضع الطبيعي ، وتبدأ معرفة الطفل لأول مفهوم للمساواة عندما يتفاعل مع أبويه عن طريق (مدي تطبيق المساواة بين الابنة والابن أو التمييز بينهما في مجالات التعليم والعمل ، وأيضاً المساواة بينهما في المصروف اليومي والتفرقة بينهما في ذلك ، وأيضاً لموقف الأسرة من اختيار الأصدقاء ، وهل تقبل اختيار أولادها لأصدقائهم من أبناء طبقة أخري ، هذا الموقف الذي يؤثر علي وعي الطفل لمعني المساواة بين الناس أو التمييز بينهم . واتضح أيضاً أن الأسرة المصرية تتفق علي تحقيق المساواة بين الولد والبنت في التعليم ، وفي مجالات العمل ، وأيضاً تساوي بينهما في مصروف الجيب ، وتتفق الأغلبية علي أن الابنة مثل الابن في محيط الأسرة لا تفرق بين الكبير والصغير ، والغني والفقير ، هذه الرغبة في تأكيد المساواة بين الجميع تؤمن بها أغلب الأسرة ، وهنا تبرز بعض القضايا الخاصة بالمساواة في تنشئة الطفل ، مثل إبراز بعض الحقوق كالتعليم والاختلاط بين الجنسين والعمل والأجر وغيرها ، كل هذه الحقوق يبدو الأبناء إزائها أكثر مطالبة بها وإصراراً عليها من

---

(١) راجع : د. عباس محجوب ، مشكلات الشباب ، الحلول المطروحة والحل الإسلامي ، قطر: كتاب الأمة: العدد ١١ - ١٤٠٦هـ : ١٩٨٦ ص ص ٣٠ - ٣٤ ، ص ص ١٥٣ - ١٦٨ .

آبائهم .

فقيمة المساواة قيمة أساسية في تنشئة الطفل ، تعطيه القوة والحيوية من أجل تحقيق إنسانية كاملة لهذا الطفل وتُعطيه قيماً سياسياً عزيزة ، فالمساواة قيمة تبثها الدولة في نفوس الأطفال وترجو سيادتها من أجل تنشئة الأطفال بلا تفرقة أو تمييز أو فصل عنصري أو طائفي أو طبقي وإلا انهار المجتمع وتقوض بنيانه .

وفي دراسة أخري أكدت أن المساواة تشكل إحدى القيم السياسية السائدة في المجتمع تنهض المفاضلة بين أفراده في الغالب علي أساس من الكفاءة والإنجاز ولكن حيث يكون التدرج عنصراً محورياً في ثقافة المجتمع ، يصبح التمييز التحكمى قاعدة عامة تحدد مراتبهم ونظرة كل منهم للآخر وطبيعة ومضمون علاقاتهم المتبادلة [١] . وإذا كان مجتمعنا متدين بطبعه ، فإن قيم المساواة تسود فيه بطابع إسلامي بحث ، فلقد أكد الإسلام مبدأ المساواة بين المسلمين في الحقوق والواجبات داخل المجتمع الإسلامي دون اعتبار لعوامل السن أو النسب أو الجنس أو المهنة أو الثروة ، فهم متساوون في الحقوق الشخصية كحق التعاقد وحرية التنقل وحق الأمن وحرمة المسكن وفي الحقوق الفكرية مثل حق إبداء الرأي وحق التعليم وحرية العقيدة ومزاولة الشعائر المرتبطة بها وفي الحقوق الاقتصادية كحق العمل وحق الملكية مع استعمالها وفق ما تمثله مصلحة المجتمع وهم جميعاً متساوون أمام القانون والقضاء وفي شئون المسئولية والجزاء ، فالإسلام يقرر مساواة المسلمين كافة في نظر الخالق الذي يُفَاضل بينهما لا علي أساس أوضاعهم الاجتماعية ، بل علي أساس الإيمان والتقوى والعمل الصالح . ويؤكد الدكتور كمال المنوفي في دراسته أن عوامل التنشئة العائلية التي تحرص علي قيمة احترام كبار السن وسلطة العائلية الهيراركية التي تنشأ علي أساس الذكورة والسن وعملية التنشئة الاجتماعية أثبتت أن العلاقات الإنسانية لا تنهض علي المساواة بقدر ما تنهض علي التدرج والتصاعد في الريف المصري .

خامساً : قيمة الأمن :

أهم الدوافع عند الطفل هو محاولته إشباع رغبته في تجنب الأخطار والتحكم فيما يري فيه خطراً عليه ، ولذلك فإنه يجب مساعدة الطفل علي التغلب من مخاوفه

(١) د. كمال المنوفي ، الفلاح المصري ومبدأ المساواة ، القاهرة : هيئة الكتاب ٧٨ - سلسلة دراسات في الاشتراكية الديمقراطية رقم ٢٧ ، ص ١١ .

ومشاغله . ولذلك فالطفل لابد أن ينشأ علي الطباع الودودة بين أفراد الأسرة ، ويجب أن يُعامل بحنان حتى يأمن في نفسه وتأمن ذاته ويستقر وجدانه وينشأ تنشئة اجتماعية سليمة مريحة . فالأمن دافع نفسي يسعى الإنسان إلي تحقيقه حتى ينشأ قوياً[1] .

والأمن قضية متكاملة ، فالأمن الشخصي والارتياح النفسي أبسطها وتليها تحقيق مسئوليات الأمن الاقتصادي والسياسي وصولاً إلي الأمن القومي للمجتمع وكلها للأمن بصفته قيمة موجودة ولابد أن تُبَث في نفوس الأطفال . إن الأمن كدليل للسياسة الداخلية يتكون من عنصرين هما : إما أن الفرد والممتلكات ضد الجريمة وتهديد الأمن، فكما أن الرفاهية هي نتاج الحكومة والاقتصاد ، فإن الأمن هو نتاج العمليات السياسية والاجتماعية ، فإذا ما فشلت الأسرة ودور العبادة والمجتمع والمدرسة وكل ما شابه ذلك في غرس الدوافع الطبيعية لتقبل القانون ، فإن تطبيقه في المجتمع يصبح عبئاً ثقيلاً. فمثلا خرق النظام العام في المظاهرات والشغب وأعمال الإرهاب وحرب العصابات تكون مصحوبة أحياناً بصراع عرقي وديني واجتماعي بالإضافة إلي سياسات عامة غير جماهيرية أو بفشل السياسة العامة في التعامل مع المظالم الحادة ، كل ذلك يخلق رأي عام تجاه الأمن الشخصي . ولذا فإن عدم الأمان للأفراد أو الممتلكات سوف يتمثل بشكل سلبي لأي نظام سياسي بغض النظر عن حالة الرفاهية لهذا النظام . ولذا فالأمن قيمة سياسية هامة .

سادساً : قيمة العدالة :

العدالة قيمة رئيسية في عالم اليوم وفي الفكر المعاصر ، كما أنها قيمة عليا في الفكر الإسلامي ، وينبع مفهوم العدالة من مبدأ إعطاء كل ذي حق حقه ويترسخ المفهوم في الوجدان من احترام القانون المجتمعي وتقديسه وإعلائه لأن العدالة تعني أن الكل أمام القانون سواء ، وأن الإنسان يستوي أمام الإنسان إذا وقف أمام القاضي دون النظر إلي طبقته أو وظيفته أو عمله أو مكانته .

ومفهوم العدالة ، يتأكد في نفس الطفل منذ صغره ، ويرتبط إلي حد كبير بمفهومي المساواة وعدم الظلم نقيض العدل والظلم مهلكة للبشر لأنه يؤدي إلي ترسيبات في

---

(١) رالف أوجيمان ، تكيف شخصية الطفل ، ترجمة عثمان لبيب فرج (دكتور) القاهرة – هيئة الكتاب- ٧٥ – سلسلة بحوث تربوية في خدمة المعلم ، ص ص ٣٤ ، ٣٥ .

نفوس المظلومين وتحفزهم وتجعلهم يستعدون للأخذ بالثأر . . ولذلك فإن الظلم لا يؤدي إلا إلي تخلخل المجتمع وجنوحه نحو الفوضى .

وقيمة العدالة ، يجب التأكيد عليها دوما في نفس الطفل لأنها مرتبطة بحريته وبمساواته مع الآخرين ، فكلما اتسع نطاق العدل عمَّ الخير ، وكلما انتشرت العدالة أحس الناس بالأمن ، وكلما أحس الناس بالعدل التام زاد انتماؤهم الوطني وحبهم له وإخلاصهم وتفانيهم في سبيله والتضحية بالروح والجسد من أجله .

فالعدالة قيمة عليا وقيمة أساسية في المجتمعات يجب أن ينشأ الطفل علي معايشتها وقراءة أخبارها في كل مكان والإحساس بها والعمل بها .

٣- اتجاهات قيم الأطفال فى العالم العربي :

عرفنا من النقطة السابقة بعض القيم السياسية ونوعيتها الموجهة للأطفال والتي تناسب ميولهم واتجاهاتهم وتكوينهم . وتعود هذه النوعية من القيم إلي القيم الثقافية السائدة في المجتمع التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتحديث الإنمائي للمجتمع . ونتيجة لتفتح الأذهان ، عرف المفكرون قيمة مرحلة الطفولة ، وأنها المرحلة الأساسية والطور الضروري لتكوين الأخلاق والقيم والمبادئ ، وأن التعليم والمحاضرات والندوات في الكبر لا تأتي بفائدتها المرجوة ما لم تَقُمْ علي أساس سليم من التربية والتعليم والتكوين السليم للشخصية . ويؤثر علي الاتجاهات بشدة النماذج التاريخية والزعماء ، ففي دراسة ميدانية أجريت للتعرف علي مصادر المُثل العليا للأطفال في ثلاث مدن أمريكية علي عينه من ٦٠٠ طفل ، سن ٦ – ٢٠ سنة ، أثبتت أن نسبة كبيرة من الأطفال كانت مصادر القيم والمثل العليا لديهم أشخاص تاريخية وزعماء [١] كما أن الاتحاد السوفيتي يهتم بالطفولة إلي درجة أنهم في الاتحاد السوفيتي يرددون دائماً أنه إذا ما كانت هناك ما زالت طبقة مميزة في بلادهم ، فتلك هي الطفولة ، فالعناية بها تفوق الخيال ، خاصة في المجال الثقافي ، والمنافسة علي أشدها بينهم وبين الآخرين في مجال " تنمية الأطفال " حتى لا يفقدوا الصدارة مستقبلاً ، فهم يروون أنهم يعمقون في أبنائهم أفضل القيم الإنسانية ، الوطنية وحب مواطنيهم والشجاعة والإخلاص والأمانة ، وقبل كل ذلك

---

(١) د. عفاف أحمد عويس ، دور القصة في النمو الأخلاقي للطفل ، بحث في ندوة القيم التربوية في ثقافة الطفل ، القاهرة ، هيئة الكتاب – نوفمبر ١٩٨٥ ، ص ٦ .

الأفكار والمبادئ السائدة في بلادهم ، ولا يغفلون آلاف السنين من الثقافات والحضارات والمكتشفات ، فتضمنت الأعمال الجديدة في الاتحاد السوفيتي الكثير من نماذج البطولات ، بُنيت علي الأفكار التي تبنتها الثورة ، وحاولت عن طريقها أن تجتذب الأطفال إلي مجال البناء ، والصراع من أجل الحرية والعدالة الاجتماعية في مفهومها لديهم ، بل وكانت مشكلة إيجاد أدب جديد للأطفال أهم مشكلات الثورة[1] .

ولذلك ، فإن أدب الأطفال المتضمن للقيم السياسية المرغوبة ، يعتبر أكثر أهمية في مرحلة النمو والتحديث القيمي والاجتماعي في دول العالم الثالث ، ففي هذه الدول لابد أن يحتل أدب الأطفال ، وأن تحتل القيم المرغوبة ، مكانة متميزة لضمان أحداث التغيير المطلوب في أسرع وقت ممكن . وعالمنا العربي جزء رئيسي من العالم النامي ، ولكنه جزء يتميز بخصائص معينة . ولذلك فلابد من رؤية اتجاهات قيم الأطفال داخل عالمنا العربي حتى تتواكب مع النمو والتحديث الذي يشهده العالم العربي ، ومن الاتجاهات القيمية :

أ-أن للإسلام علاقة قوية بالتحديث القيمي المطلوب ، والذي يتطلبه التقدم العربي ، فالتحديث هو تجديد متواصل للفكر والحياة ، والمشكلة القيمية للجماهير العربية المؤمنة بالإسلام هي مشكلة التوفيق بين التجديد الفكري والحياتي ، أي التجديد القيمي الإنمائي ، وبين التدويم القيمي الذي تنطوي عليه طبيعة الإسلام ، أي طبيعة أي دين يعتبر أنه ولي الحقيقة . فالقيم الثقافية مرتبطة أيضاً بتقاليدنا الدينية ، كما أن الثقافة والدين متداخلان في كل الدول .

ب- أن البنية الأساسية أو التركيب الاجتماعي لمعظم الدول العربية بها قيم غير مواتية ، والتي تتميز بزيادة سكانية لا تواكبها زيادة مماثلة في الخدمات ، مما يؤدي إلي تدهور بعض فرص الحياة ونسبة الأمية العالية ، والاحتفاظ بقيم تقليدية غير مواتية لعملية التنمية وتسلط بعض العناصر الطفيلية أو ناقصة الكفاءة والوعي السياسي ، لا تساعد في تحقيق التنمية الاجتماعية أو النمو الاقتصادية ، ولهذا لا تتردد مجتمعاتنا كثيراً في استيراد آخر صيحة في مجال التكنولوجيا ، فمصانعنا ، وأجهزة الخدمات

---

(١) عبد التواب يوسف ، الطفل والكتاب ، كتب الأطفال في الدول المتقدمة القاهرة ، الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ٨٤ : هيئة الكتاب ١٩٨٥ ، ص ص ٦٢ ، ٦٣ .

عندما تستفيد من التقدم التكنولوجي ، وتحاول ألا تتخلف عنه ، ولكن حين يأتي الأمر إلي قيم الحرية الشخصية والحريات العامة ، وبعض الأنساق الحضارية نُغلق أعيننا ونصم آذاننا عن تجارب المجتمعات الأخرى بحجة المحافظة علي تراثنا الحضاري وصيانته من الضياع .

ج- وحالات القصور في رعاية الأطفال عديدة في عالمنا العربي ، فرغم كثرة ما يقدم للطفل في الوطن العربي ، فما زال معظم ما يقدم بعيداً كل للبعد عن المستوي المطلوب من حيث المحتوي والاقتراب من الواقع المعايش للطفل وللناس من حوله ، فضلاً عن أنها لا تَعدَ الطفل الذي سيكون مواطناً صالحاً في مجتمعه . فالأدب الذي يكتب للطفل في معظمَ الأقطار العربية هو في غالبيته أدب تسلية وترفيه ، وأكثر منه أدب توجيه وتثقيف ومعرفة ، وبناء للطفل الذي سيحمل علي عاتقه في السنوات القادمة ، مهمة التطور والدفاع عن الأرض والشرف القومي والإنساني(١) .

فالقصور في رعاية الأطفال في العالم العربي تبعث في النفوس قلق لا حدود له ، وأن القصور في رعاية الأطفال هو جناية علي الغد بكل المقاييس ، وأن الوضع المأساوي الذي يعيشه أطفال العرب في الأراضي المحتلة مثلاً تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي يشير إلي أن العدو الإسرائيلي يعمل جاهداً علي نزع الهوية العربية والانتماء القومي للأطفال العرب في الأراضي المحتلة .

د- أن الطفل العربي محتاج إلي قيم سياسية تجسد معني الديمقراطية والحرية والعدالة والمساواة ، يحتاج إلي قيم سياسية تُجسد روح العصر الذي يعيش فيه ، تتوافق مع النظام العالمي المفتوح علي مصراعيه من خلال تكنولوجيا الإعلام والاتصال ، فالأطفال هم أمل البشرية للتخلص من مرض خطير وصولاً لحياة سعيدة ، تختفي فيها أصوات الحروب ، ويتجسد آمال البشرية في الطفل ، لأن المهام الوطنية والقومية التي فشل في تحقيقها الكبار ، ظلت في نظر الشعراء مهاماً مؤجلة سوف يبث فيها الأطفال حين يكبرون ، فالقيم السياسية تُساعد علي تكوين شخصية الطفل ليكون إنساناً مجتمعياً سوياً يساعد علي تحقيق آمال المجتمع وتطلعاته ، والمجتمع العربي بحاجة إلي

---

(١) حسن الغزالي ، الطفولة أمل الإنسانية ، الكويت - الرأي العام - العدد ١٣٦١ - في ١٩٨٧/٣/٩) ، ص ١٥ .

هذه القيم لتصنع الإنسان العربي في غده .

وهكذا ، فإن اتجاهات قيم الأطفال في العالم العربي تشير إلي تطور ورغبة في الوصول بالطفل العربي إلي الغايات المثالية والتمتع بالشخصية التي تقود حركة التحديث والتطور والنمو في المجتمع العربي ، ولذلك ، فقد اهتمت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والشعوب العربية كلها بمجال الطفولة وبرز ذلك علي المستويين التنظيمي والغير رسمي ، ففي المجال التنظيمي ، عقدت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، " الندوة العربية حول الآثار الاجتماعية والثقافية التي تخلفها الحروب والكوارث علي أوضاع الطفل في العالم العربي " وصدر عنه " الإعلان العربي حول حماية الطفولة من آثار الكوارث والحروب ، ويدور هذا الإعلان حول وضع سياسة قومية تنموية شاملة ، تتضمن إشباع الحاجات الأساسية للمجتمع العربي ، وتُوَفر الأمن الغذائي والصحة الأساسية لجميع المواطنين وتُمكن من محو الأمية الأبجدية والحضارية وتُؤَمن تنشئة الأجيال الجديدة علي الثقة بالنفس والانتماء القومي والعقيدة الإسلامية .

- تعزيز دور الأسرة في التنمية الاجتماعية والتربوية للطفل ، لتكون أداة للتماسك المجتمعي ، ولغرس القيم الإيثارية ومبادئ التكافل في ظروف الكوارث والشدائد والمسلمات .

- توفير الشروط الضرورية للاستجابات للاحتياجات الأساسية للطفل العربي من خلال سَنْ التشريعات والقوانين وإنشاء الهياكل والمؤسسات وتكثيف الخدمات التربوية والصحية والثقافية والترفيهية الضرورية لتنشئة سوية ومتنوعة للطفل العربي .

- العمل علي نشر وطباعة وتوزيع أدبيات الأطفال التي تُعَزز القيم العربية الإيجابية لدي الأطفال وتوفر العاملين في مؤسسات التربية وخاصة ما قبل المدرسة ، المناهج والمقررات الضرورية للتنشئة الاجتماعية والسياسية المناسبة لهم والتي تعرفهم بتاريخ أمتهم .

- وهكذا فإن جميع مقررات الندوات تؤكد علي أهمية بناء شخصية الطفل علي القيم السياسية العربية الأصيلة .

هـ- تأسيس " المجلس العربي للطفولة والتنمية " كمجلس غير رسمي للعمل علي

ربط النمو الكامل للأطفال العرب بخطط التنمية الشاملة التي تشهدها المنطقة العربية .

وهذا المجلس هو جهد غير رسمي - مدعم بجهود رسمية - من أجل التخطيط السليم لمستقبل الأمة كلها متمثلة في مستقبل الأطفال عن طريق تنشئة سليمة مليئة بكافة القيم السياسية والاجتماعية الإيجابية .

و- النظر إلي موضوع الطفل العربي والمنهج الصحيح لمعالجته ، ينطلق من النظر إلي الأسرة كوحدة جماعية ، فالطفولة طور من أطوار الإنسان ، وأن واقع الطفل العربي الحالي جزء من واقع الأسرة ، وفي هذا الواقع إيجابيات فأمتنا في طور انبعاث حضاري لا طور تخلف وأن لم يبلغ هذا الانبعاث مداه، ومن هذه الإيجابيات التكافل الأسري الذي يحكم نظرتنا إلي علاقات نواة الأسرة الأولي ، ولكن هذا الواقع يعاني أيضاً من سلبيات كثيرة هي سلبيات الواقع العربي التي تنتج من تفشي الجهل في قطاعات واسعة والمعاناة من المرض وبخاصة في طور الطفولة[1] .

فمثلاً ، حين تفتقد الشورى ، وينعدم الحوار علي صعيد المجتمع ، ينعكس ذلك علي الإنسان كزوج وأب وأم ، ويؤثر ذلك علي الأبناء والأطفال ، ولا بديل لنا في التربية الأسرية علي توفير حرية الحوار إلي آخر مدي ، لأن الطفل في غياب هذه الحرية لا ينمو علي الصعيد العقلي والنمو الصحيح ، ذلك أن من أبرز صفات وسمات الطفل ، أنه طاقة دائب السؤال والاستفسار والحركة ، ومن حقه أن يسمع الأجوبة ، ومن حقه أن يَصْبر ذووه علي أسئلته والأمر نفسه بالنسبة للمدرسة التي يعاني فيها المدرس من عدم الصبر علي الحوار حتى يكون الطفل مقموعاً في مجتمعه الخارجي . فالتغيير في المجتمع يبدأ في تنشئة جيل جديد في نطاق الأسرة والمدرسة من خلال الحوار وزرع قيمة الشورى ومنطق العمل .

فالطفل العربي يحتاج للقيم السياسية التي تتواكب مع التحديث وتتفق في نفس الوقت مع التركيب الاجتماعي والتنظيمي في المجتمع العربي .

---

(١) راجع : حديث مع د. أحمد صدقي الدجاني : أجراه جمال بالحاج طاهر الكويت : جريدة الأنباء : عدد ١٩٨٦/١٢/٦ ، ص ٢٤ .



الفصل الثانى

العدالة : القيمة السياسية العليا فى الإسلام

هناك العديد من القيم التي يبنى عليها الإسلام السياسي ، وهي قيم من واقع الشريعة الإسلامية التي جاءت بالدين القيم ، ومن واقع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن واقع أفعال الخلفاء الراشدين والخلفاء والعلماء والحياة الإسلامية بصفة عامة منذ نشأة الإسلام ، فالقيم الإسلامية لابد ، مثل كل القيم ، أن تتأصل في النفوس ، وهي قد يُسميها البعض مبادئ أو قواعد أو أُسس. فالمبادئ السياسية في الإسلام هي تلك القواعد والقيم التي تُبنى عليها دولة الإسلام ويستلهم منها النهج السياسي للحكم ٠

فمبدأ كل شيء أي أدلته ومادته التي يتكون منها ، والمبادئ هي القواعد الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها ومن أهمها القيم ، فالمبدأ هو الفكر الأساسي الذي تُبنى عليه الأفكار والحياة ٠

ولم يتفق الجميع على المبادئ والقيم السياسية التي تقوم عليها دولة الإسلام والتي منها العدالة التي هي قيمة القيم أو القيمة العليا الأولى التي تنبثق من خلالها وتتشكل بها بقية القيم السياسية ، وهي كذلك في رأي كثير من المفكرين والفقهاء من أمثال الشيخ محمد أبو زهرة وأبو الأعلى المودودي وسيد قطب والشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور حامد ربيع (على سبيل المثال) ، بينما يُعلي البعض القليل قيمة الحرية ويقدمها على العدالة ، أما قيمة الشورى فيجعلها البعض أساس الحياة السياسية للمسلمين ، ولذلك لم يكن هناك إجماع على القيمة العليا ، وإن كان هناك إجماع على تشكيل القيم العليا من هذه القيم : العدالة - لا حكم إلا لله - الحرية - الشورى - المساواة - الوحدة الإسلامية - الطاعة - الانتماء للأمة الإسلامية - الأخوة الإسلامية والتعاون وغيرها [1]٠

---

(١)راجع : د٠ فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، الإسكندرية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، بدون تاريخ ، ص ص ٣٣ - ٣٤ ٠

وهناك من يعلن أن القيم السياسية الإسلامية ما هي إلا تعبير أو إظهار للديمقراطية في الإسلام ، والتي تقوم على أربعة أسس هي محور كل الديمقراطيات وهي : المسؤولية الفردية ، وعموم الحقوق وتساويها بين الناس ، ووجوب الشورى على ولاة الأمور ، والتضامن بين الرعية على اختلاف الطوائف والطبقات ، فالمسئولية الفردية هي الحرية بأوسع نعانيها ، فلا يحاسب إنسان بذنب إنسان ، كما لا يحاسب بغير عمله ولا يحاسب الإنسان بذنب آبائه وأجداده أو بذنب وقع قبل ميلاده ، أما عموم الحقوق فتجسد مبدأ العدالة المطلقة بين الناس ، بل وتجسد الحقوق الإنسانية والمساواة من خلال العدالة ، أما الحكم بالشورى فهو أساس الممارسة السياسية ، ثم تكافل وتضامن الأمة في المسئولية العامة تعنى الأخوة والمساواة والتكافل الاجتماعي والأمن السياسي والاجتماعي والتعاون

ويعلن البعض - بداية - أن روح الإسلام السياسية تتمثل في العدل والشورى والحرية ، فالعدل أساس الجزاء في العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، والشورى سياج العدالة في الجماعة السياسية وضمان العمل لصالح الجماعة وهي أساس الديمقراطية في المصطلح السياسي والحرية هي حرية الرأي وحرية العقيدة وحرية الضمير وتحرر العقل من الوهم والخرافة [1].

ومن هنا سنتعرف على القيم السياسية العليا في الإسلام ونتعرف كيف أعلى الإسلام في النظرية والتطبيق من شأن هذه القيم ، وخصوصا القيمة العليا أو قيمة القيم وهي العدالة ، ثم الشورى ، ثم الحرية والانتماء لأمة الإسلام ، وأخيرا قيمة المساواة .

١-العدالة . . . قيمة القيم فى الإسلام . . .

العدالة . . .العدل . . .القسط . . .كلها مصطلحات لغوية تعبر عن العدل بأوسع معانيه ، والعدل أمر رئيسى وأساسى فى الاسلام . . .فالعدل ركن في الإسلام عليه تربى الأمة وتؤسس الدولة ، والعدل أمر من الله تعالى للمؤمنين في كل حال لأن العدل أكبر من الجميع وفوق كل شيء . كما أن الإسلام يعتبر العدل واجباً على كل فرد وفي كل شيء وأبرز صفة يتحلى بها الحاكم هي العدالة ، والعدل ليس مجرد القضاء

(١) راجع : د. حسين فوزي النجار ، الإسلام والسياسة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥م ، ص ٩٨ .

وأحكام القضاة ، بل يؤخذ بمعناه الواسع كما قال أحد المفكرين [١] " فالعدل يعنى العدالة فى تطبيق القوانين والعدالة فى الخصومات بين الناس وعدالة التوزيع فى المنتج الاجتماعي والعدالة الضريبية وغيرها من أوجه العدل بين الناس " .

وإذا بحثنا عن المعاني في المعاجم نجد مرادفات العدل على النحو التالي [٢] : اقتسطوا بمعنى اقتسموا ، تقسطوا أي تقسموه بالعدل والسواء ، القسط أي العدل ، قسط أي الشيء جعله أجزاء ، أقسط أي عدل ، وأقسط في حكمه أي عدل ، والقسطاس أي أضبط الموازين ، والقسوط أي الجور والعدول عن الحق ، والقسط بالكسر أي العدل ، أقسط الرجل فهو مقسط ، والقسط بالكسر أيضا هو مكيال وهو نصف صاع ، والقسط الحصة والنصيب .

والعدل بين الناس هو الغاية المقصودة من الشريعة الإسلامية ، ولهذا أمر الله المسلمين أن يقوموا بالقسط ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين ، وأمر بالعدل ولو مع العدو ، وجعل العدل في الحكم وفي القول مفروضاً في كتاب الله ، ولقد أفتى بعض العلماء المسلمين بأن الكافر العادل أوصل من المسلم الجائر لأن الأول لنا عدله وعليه كفره والثاني له إسلامه وعلينا جوره ، وقالوا : إن الله يقيم الدولة بالعدل ولو على كفر ولا يقيمها بالظلم ولو على إسلام .

ومن المبادئ التشريعية التي تمت بسبب صحيح إلى تحقيق مصالح الناس وإقامة العدالة بينهم : رفع الضرر ورفع الحرج وسد الذرائع والبراءة الأصلية [٣] .

والعدل في الإسلام له معاني عديدة لأنه روح الأمة وسر سعادتها وسبب ازدهارها وتقدمها ، وبدونه لا تكون للدولة معنى ولا للحياة في ظلها أي مبرر ، فالعدل دائما يرشد إلى النهج القويم والصراط المستقيم ، وجعل الله الغاية التي أرسل الرسل لتحقيقها هي العدل ، ولقد أعلى الإسلام من قيمة العدل علوا كبيراً فجعلها الهدف

---

(١) د. محمد على أبو ريان : الإسلام السياسي في الميزان ، الإسكندرية - دار المعرفة الجامعية ، بدون تاريخ ، ص ٥١ .

(٢) راجع : إسماعيل الجوهري ، الصحاح تاج اللغة ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، طبعة ثالثة عام ١٩٨٢م على نفقة أحمد عباس الشربتلى ، ص ١١٥٢ ، وأيضا إبراهيم أنيس وآخرين ، المعجم الوسيط ، القاهرة دار إحياء التراث العربي ط٢ ، ج٢ ص ٧٣٤

(٣) راجع : د. محمد فتحي عثمان ، من أصول الفكر السياسي الإسلامي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م ، ص ٦١ .

والغاية والوسيلة والطريق نحو بناء المجتمع المسلم والإنساني ، فلقد أكد القرآن الكريم ، كما سنرى ، أن من صفات الله جل جلاله العدل ، ولذلك فقد أمر به في كل شأن من شؤون الحياة ، ثم أمر بالعدل في القول وشدد على أهمية هذا النوع من العدل ليسير المجتمع نحو المثالية ، وأكد على أن العدل بالقول يقترن بالعدل في البيع والشراء والمعاملات وفي العهود والوفاء بها ، كما أمرنا القرآن بالعدل في أمور اليتامى ، وأمرنا الله بالعدل مع العدو ، نعم أمر الله بالعدل التام مع الأعداء ، كما أمر بالعدل في الحكم حيث قال بعض الفقهاء في آية ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (النساء : ٥٨)، أن الله أنزلها في الأمراء والحكم بين الناس ، ونزلت في ولاة الأمور كما قال بعض العلماء ، بل وأعلن البعض أن كل موظف بالدولة مهما صغر شأنه مكلف بالعدل بين من يلجأ إليه من ذوي الحاجات والمعاملات ، وكما يقول ابن تيميه " العدل بين الناس وفعله بحسب الإمكان هو من أفضل عمل ولاة الأمور ، بل من أوجبها عليهم ، فإن الله يأمر بالعدل والإحسان ، والعدل واجب على كل أحد في كل شيء " (١)

ولقد اعتمد الإسلام على وسيلتين كأساس لسياسة الحكم : التشريع والتوجيه في تحقيق العدالة الكبرى في كل حقل من حقول الحياة ، فسياسة الحكم هي المنوط بها في النهاية تنفيذ التشريع وتعهد المجتمع من كل جوانبه وتحقيق العدالة والتوازن وتوزيع المال حسب القواعد التي رسمها الإسلام ، فمن أسس العدالة أن الإسلام دين عالمي وهو نظام العالم العام ، ورغم ذلك فإنه لا يقسر الآخرين على اعتناقه ولا الإكراه في دخوله ، فيفرض على المسلمين وحدهم الزكاة والجهاد ويأخذ في مقابلها من أهل الذمة الجزية إذ هم شركاء في حماية الدولة الإسلامية وعليهم جميعاً نفقاتها ، ولكنه لا يجعلها على أهل الذمة زكاة ، كما أنه لا يفرض عليهم الجهاد إلا إذا هم ارتضوا وقبلوا ٠ ٠

٢ - جوهر قيمة العدالة السياسية فى الإسلام :

ولذلك تقوم سياسة الحكم في الإسلام بعد التسليم بقاعدة الألوهية الواحدة

(١) راجع : سعدي أبو حبيب ، الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام ، جده ، كتاب النادي الأدبي والثقافي ، رقم ٦ ، ١٩٨٢م ، ص ص ١٠١ ـ ١٠٤ ٠

والحاكمية الواحدة على أساس من العدل من الحكام والطاعة من المحكومين والشورى بين الحاكم والمحكوم ، ولذلك نجد قول الحبيب المصطفي (إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر)[1] ، فالعدل في الإسلام قيمة عليا في المجتمع لأنه عدل مطلق لا يميل ميزانه بفعل الحب والبغض ولا تغير قواعده المودة ، ولا يتأثر بالقرابة بين الأفراد ولا بالتباغض بين الأقوام [2] ..

فإقامة العدل بين الناس وتحديد ما هو العدل وما هو الظلم والجو هو من شأن خالق الإنسان وربه لا حق لمن سواه في أن يصنع للناس مقياساً للظلم والعدل ، وهدف الإسلام هو العدل ، وما جاء الإسلام إلا لإقامة العدل في الدنيا .

ونستطيع أن نؤكد أن العدالة هي القيمة العليا فى الفكر الاسلامى ، والتى ينبثق عنها ويتشكل منها كافة القيم الأخرى مثل المساواة والحرية ...

العدالة فى كل شيء :

والعدالة لا تقتصر على السياسة والحكم فقط بل تتعداها إلى كل مافي حياتنا ، فلقد أوجب الإسلام العدل بين أبناء الأسرة جميعا ، كما جاء في الحديث : عن النعمان بن بشير أنه قال : نحلني أبي نحلا (أي وهبني) فقالت أُمي : لا أرضى حتى تُشهد عليه رسول الله ﷺ ، فجاءه ليشهده على ذلك ، فقال الرسول : أكل ولدك نحلت مثله ؟ ، فقال : لا ! ، فقال الرسول : اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، وقال : إني لا أشهد على جور ، قال : فرجع أبي فردّ تلك الصدقة) [3]

والقائد لابد أن يكون عادلاً ، فلقد روي عن النبي ﷺ أنه قال (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمّروا عليهم واحداً) [4] ، فأوجب النبي ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر ، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماعات ، ثم أمر الله بالعدل في كل حكم كما جاء ذلك في الآية ٥٨ ، ٥٩ من سورة النساء ، التي

---

(١) أخرجه الشيخان والترمذي

(٢) راجع : سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٧٤م ، ص ص ٩٢-٩٣ ، ص ص ٩٩-١٠١ .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه الإمام أحمد

أوجبت الحكم بالعدل ، مما يحقق السياسة العادلة والسياسة الصالحة لكل المسلمين ولكل البشر في كافة أنحاء الأرض [1].

ولقد بشّر الرسول عليه الصلاة والسلام بالعدل ودعا إليه وطبقه طول حياته ، وانتشر مفهوم العدل بين الناس ، وأصبحوا لا يرون حرجاً في المطالبة به خطأ أم صواب ، حتى تجرأ رجلاً اسمه ذو الخويصره التميمي ، يوم حنين ، فوقف على الرسول ﷺ وهو يعطي الناس فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال الرسول : أجل فكيف رأيت ، فقال : لم أرك عدلت !! فقال : فغضب رسول الله ﷺ ثم قال : ويحك ، إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟) رواه ابن هشام

فالعدل أصل وقيمة عليا للحكم الإسلامي ، وإن الناس لم يتحرجوا في عصر الرسول عن مطالبة الرسول بتطبيقه وقصة الأنصار يوم حنين خير مثال على ذلك. [2]

فالعدالة هي القيمة الرئيسية أو قيمة القيم فى الفكر الاسلامى ، وفى النصوص الإسلامية وفى الممارسة الإسلامية الصحيحة ، فهي القيمة السياسية العليا التى تتشكل من خلالها كافة القيم السياسية الأخرى .

٣- العدالة فى القرآن الكريم :

مفهوم العدل في القرآن الكريم مفهوم شامل وواسع حيث أن العدالة فى القرآن مفهوم انسانى رفيع حيث جاء الاسلام ليحقق العدل بين الناس .

ونظرا لأهمية العدالة التى تُشكل النظام السياسي في الإسلام وتتشكل من خلالها كافة القيم السياسية الأخرى ، فلقد تكررت كلمة العدل فعلاً ومصدراً في القرآن الكريم في ثمان وعشرين موضعاً ، ثم جاءت العدالة بألفاظ أخرى مرادفة مثل القسط في خمساً وعشرين مرة ، ولذلك فيؤكد القرآن الكريم فى النصوص القرآنية على دعوة الحكام والأفراد للحكم على أساس العدل :

وسوف نرى هنا اهتمام القرآن الكريم بإعلاء قيمة العدل فى النصوص القرآنية :

---

(١) راجع : د. محمد فتحي عثمان ، من أصول الفكر السياسي الإسلامي ، مرجع سابق ، ١٩٨٤م ، ص ص ٥٦-٥٧ .

(٢) راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، بيروت ، دار النفائس ، ١٩٨٥م ط ٥ ، ص ص ٩٦-٩٧ .

أ ـ كلمة عدل :

وردت ثلاث عشرة مرة فى القرآن الكريم بدعوة النفس البشرية إلى البعد عن الشفاعة التى تجُبّ العدل ، والتمسك بالعدالة كسلوك مستقيم يؤدى إلى الفلاح للنفس البشرية .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ٤٨). وقال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ البقرة: ١٢٣). ويقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ . . . ﴾ (البقرة: ٢٨٢). ويقول عز وجل: ﴿ . . . . . .فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ . . . . ﴾ (البقرة: ٢٨٢) . ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً . . ﴾ (المائدة : ٩٥).

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ . . ﴾ (النساء: ٥٨).

ويقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ . . ﴾(المائدة : ١٠٦) ويقول عز وجل: ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (الأنعام : ٧٠). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿. . هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: ٧٦) . ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل : ٩٠) . ويقول الله عز وجل: ﴿ •• فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات: ٩) . ويقول سبحانه عز وجل: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ ﴾ (الطلاق : ٢) ويقول عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ (الأنعام : ١٥١). .

ب - ألفاظ قرآنية من العدل :

وقد ورد العدل عن طريق مرادفات مصطلح العدل مثل :

- لأعدل : قال تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُم ﴾ (الشورى : ١٥) .

- تعدل : قال تعالى : ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ (الأنعام : ٢٨). .

- تعدلوا : قال تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (النساء: ٣) . وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ (النساء: ١٢٩). وقال عز وجل : ﴿فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا ﴾ (النساء: ١٣٥) وقال سبحانه : ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (المائدة: ٨) .

- يعدلون : قال عز وجل : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام : ١). وقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام : ١٥٠). وقال تعالى : ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٥٩) . وقال عز وجل : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾(الأعراف : ١٨١). وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾(النمل : ٦٠) .

- اعدلوا : وقال تعالى : ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (المائدة: ٨) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾(الأنعام: ١٥٢) .

ج -ألفاظ قرآنية بمعنى العدل :

مثل القسط والمقسطين والميزان والقسطاس المستقيم وهي عديدة متعددة مثل :

قال تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء : ٢) . وقال عز من قائل : ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة: ٨) . وقال سبحانه : ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾(الحجرات: ٩) . وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾(الجن: ١٤) . وقال عز وجل : ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا ﴾(البقرة: ٢٨٢) . وقال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ (الأحزاب: ٩) . وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم

بالْقسْط إنَّ اللهَ يُحبُّ الْمُقْسطينَ﴾ (المائدة: ٤٢) . وقال المولى عز وجل: ﴿ فَأَصْلحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسطُوا إنَّ الله يُحبُّ الْمُقْسطينَ ﴾ (الحجرات: ٩). وقال تعالى: ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسطُوا إلَيْهِمْ إنَّ اللهَ يُحبُّ الْمُقْسطينَ ﴾ (الممتحنة: ٨) . وقال سبحانه: ﴿ شَهدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ وَالْمَلائكَةُ وَأُوْلُوا العلْم قَائماً بالْقسْط ﴾ (آل عمران: ١٨). وقال الله: ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذينَ يَأْمُرُونَ بالْقسْط منَ النَّاس فَبَشِّرْهُم بعَذَاب أَليم ﴾(آل عمران: ٢١). وقال عز وجل: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفينَ منَ الولْدَان وَأَن تَقُومُوا للْيَتَامَى بالْقسْط ﴾ (النساء: ١٢٧). وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامينَ بالْقسْط شُهَدَاءَ لله ﴾ (النساء: ١٣٥). قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالْميزَانَ بالْقسْط ﴾(الأنعام: ١٥٢) . وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بالْقسْط ﴾ (الأعراف: ٢٩). وقال عز وجل: ﴿ ليَجْزيَ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات بالْقسْط﴾ (يونس: ٤) . وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضيَ بَيْنَهُم بالْقسْط وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾(يونس: ٤٧) ، وقال المولي عز وجل: ﴿وَقُضيَ بَيْنَهُم بالْقسْط وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾(يونس: ٥٤) . وقال عز من قائل: ﴿وَيَا قَوْم أَوْفُوا المكْيَالَ وَالْميزَانَ بالْقسْط ﴾ (هود: ٨٥). وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقيمُوا الوَزْنَ بالْقسْط وَلاَ تُخْسرُوا الميزَانَ ﴾ (الرحمن: ٩) . وقال المولي عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكتَابَ وَالْميزَانَ ليَقُومَ النَّاسُ بالْقسْط﴾(الحديد: ٢٥) . وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا الكَيْلَ إذَا كلْتُمْ وَزنُوا بالْقسْطَاس الْمُسْتَقيم ﴾ (الإسراء: ٣٥) . وقال الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُوا منَ الْمُخْسرينَ * وَزنُوا بالْقسْطَاس ﴾(الشعراء: ١٨١-١٨٢). وقال سبحانه ﴿وَنَضَعُ المَوَازينَ القسْطَ ليَوْم القيَامَة﴾ (الأنبياء: ٤٧).

د-الوفاء بالعهود والأمانة جزء من العدالة:

وكانت دعوة القرآن الكريم إلي الأمانة والوفاء بالعهود دعوة صريحة من أجل تحقيق العدالة بمفهومها الشامل والكامل بإيتاء كل ذي حق حقه ووضع ذلك من نصوص القرآن الكريم . قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتيه أَجْراً عَظيماً﴾(الفتح: ١٠) . وقال تعالى ﴿ فَمَنْ عُفيَ لَهُ منْ أَخيه شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بالْمَعْرُوف وَأَدَاءٌ إلَيْه بإحْسَان﴾ (البقرة: ١٧٨) . وقال سبحانه: ﴿ فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته ﴾(البقرة: ٢٨٣) . وقال عز وجل: ﴿إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَات وَالأَرْض وَالْجبَال فَأَبَيْنَ أَن يَحْملْنَهَا وَأَشْفَقْنَ منْهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾

(الأحزاب: ٧٢). وقال عز وجل ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨). والأمانة هنا أمر واجب التنفيذ، فكيف يعصي المؤمن أمر ربه بالأمانة، فالأمانة حين تؤدي كما أمر الله ورسوله تعزز الثقة بين أفراد المجتمع الإسلامي وتكرس قيم الوفاء والنبل، إنها الامتثال للطاعة والعبادة له وحده، كما أنها تساعد على انتشار الأمان والاستقرار. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ (الأنفال: ٢٧) وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨)، وقال الله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ (آل عمران: ٧٥). وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة ١٨٧) وقال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ ﴾(البقرة ٤٠)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (المائدة: ١)، ﴿ وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ (الأنعام: ١٥٢)، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّم﴾ (النحل: ٩١)، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٤)، ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنقُضُونَ المِيثَاقَ ﴾ (الرعد: ٢٠).

٤- العدالة أساس الحكم في الإسلام:

العدل أساس الحكم في دولة الإسلام، لأن الحاكم ينفذ أمر الله، وهو سبحانه أعدل العادلين، وهو القائل: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ (النحل: ٩٠)

والعدل من الأسس التي قام عليه عمارة الكون وصلاح العباد، ولهذا تجد من أسماء الله الحسنى(الحكم العدل)، فهو الحكم الذي لا يحكم إلا بالحق، ولا يقول إلا الحق، لذلك سُميّ عدلاً لأنه سبحانه هو القائل: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦)، لهذا إذا حكمنا بما أنزل الله فإننا نحكم بالعدل لأنه ليس هناك حكم أفضل من حكم الله وهو الحكيم، لذلك حكم فعدل وحدّ الحدود ليكون في ذلك درع لكل من تسول نفسه أن يهزّ الكيان الاجتماعي أو يُروع الآمنين، كما جاء بالحديث القدسي: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا"»[1].

---

(١) رواه مسلم.

والعدل في المفهوم الإسلامي واجب في الحكم على الأصدقاء والأعداء ، لأن المسلمين هم حملة المنهج الرباني الذي أنزله الله على سيدنا محمد ليقيم العدل والقسط بين الناس جميعاً ، وفي الحديث الشريف الصحيح عن رسول الله ﷺ قال« إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم مجلساً إمامٌ عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمامٌ جائر »(١) .

والعدل هو إقامة الحق ، وهو من القيم الإسلامية العالمية التي تُشيع الطمأنينة في النفوس وتنشر الأمن بين العباد وتُقوي علاقات الأفراد بينهم وبين بعض كما أنها تقوي الثقة بين المحكوم والحاكم ، وفي ظل العدل يزيد الرخاء وتُنمى الثروة ، فلا نتعرض لخلخلة أو اضطراب ، وبه يستقر نظام الحكم لأن المحكوم يمضي إلى غايته في العمل والإنتاج وخدمة الدولة ، وهذه هي وظيفة الأنبياء وأتباعهم ، لهذا نهى الإسلام الحاكم عن أن يقبل هدية ، كذلك القاضي لا يقبلها من أحد لأنه ربما يقف يوما أمامه في قضية فلا يحكم بالحق ويميل إلى الهوى ، لهذا قال النبي ﷺ " من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذه بعد ذلك فهو غلول » (٢) ، ولقد قال الحق سبحانه وتعالى في ذلك ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل عمران : ١٦١) .

٥ - مجالات العدالة في الإسلام :

والعدالة في الإسلام مفهومها واسع كبير يشمل كل المواطنين بلا استثناء وبلا تفرقة بين المسلم وغير المسلم ، فإذا رضي أهل الكتاب وأهل الذمة الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي أن يتحاكموا إلى قضاة المسلمين فلا مانع من ذلك بشرط أن يكون الحكم والتقاضي بما يحكم به للمسلمين لقول الله تعالى : ﴿ فَاحْكُم بينَ النَّاس بالحقِّ﴾ (سورة: ص:٦) ، وقوله عز وجل : ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المائدة : ٤٢).

والدولة الإسلامية دولة دينية لأن الدين سبب لنشأتها وبه قامت وصار هدفها وغايتها تسعى لنشره وتبليغه ، وقد أخبر الحق سبحانه وتعالى أن من تحاكم أو حكم بغير ما أنزل الله فقد تحاكم إلى الطاغوت وهذا كُفر والعياذ بالله ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه أبو داود .

إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾(النساء: ٦٠). كما أن الإعراض عن شرع الله إتباعاً للهوى أو إتباعاً للأحبار والرهبان عبادة لغير الله ، فلقد دخل عدي بن حاتم رضي الله عنه على رسول الله ﷺ (وهو يقرأ الآية السابقة) وقال " يا رسول الله إنّا لم نتخذهم أرباباً " قال " بلى ، أليس يُحلّون لكم ما حرّم الله فتحلونه ويحرمون عليكم ما أحلّ الله فتحرمونه ؟" قال بلى ، قال " فتلك عبادتهم .

ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه الحسبة (أن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة ، ولهذا يروى : الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة) وقال أيضاً (العدل نظام كل شيء ، فإذا أُقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ، وحتى لم تقم بعدل لم تقم ، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يخزى به في الآخرة)[1] .

ولذا ، فإن العدل من القواعد الأصلية والقيم الرئيسية التي أقامها الإسلام ، لا في نظام الحكم فقط ، وإنما في علاقة الفرد مع نفسه وفي علاقة الفرد مع الناس وفي علاقة الحاكمين والمحكومين مع بعضهم ، فعلى الحاكم أن يعدل وعلى المحكوم أن يعدل ، ولذا جاء الخطاب (إن الله يأمر بالعدل) للناس كافة وبلفظ الأمر لا على سبيل الاستحسان .

كما أن الرسول ﷺ كان من مهامه الأصلية العدل بين الناس بنص القرآن الكريم ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ ﴾ (الشورى: ١٥)، وذلك لتعليم الناس ما يترتب عليهم في سلوكهم .

كما أكدت الآيات القرآنية على أن النفس تميل مع الهوى ، وقد يكون الحب والبغض من عوامل إيثار الباطل على الحق والظلم على العدل ، كما أمر الله بالعدل بين الزوجات فيما إذا كُنّ أكثر من واحدة ، حتى في الخلافات الداخلية التي تقع بين المؤمنين فإن الصُلح العادل هو الأصل مثلما جاء في (الحجرات الآية ٩) .

وإذا كان الله تعالى قد أمر بالعدل ، فنه سبحانه نهى عن الظلم نهياً شديداً وتوعد الظالمين بالعذاب الغليظ في آيات كثيرة مثل قوله تعالى : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾

(١) راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ط ٥ ، ص ٩٩.

(البقرة: ١٢٤)، وقوله عز وجل: ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾(آل عمران: ١٥١) ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(إبراهيم: ٢٢) ، وقول الحق في الحديث القدسي «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا »[١]

أي لا يظلم بعضكم بعضاً بأي شكل وبأي صورة كانت ، حتى لو كان هذا الظلم مع ير المسلمين أو مع غير البشر ، فالظلم (نقيض العدل مرفوض تماماً في المنظور الإسلامي • كما دعا الإسلام جميع الرعية للعدل والبعد عن الظلم ، سواء أكانوا حكاماً أم محكومين ، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ••• ومنهم إمام عادل ••• »[٢] ، وعن عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال " إن المقسطين عند الله على منابر من نور : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا »[٣]، وكذلك قال ﷺ " أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال » [٤] ، فحكم العدل والعادل في الإسلام هو حكم الفوز بالدنيا والآخرة وجزاء العدل جزاء عظيم •

فالعدل أساس النظام والحكم والعمل في الإسلام ، ولم لا ؟! فهو من الأسس التي قام عليها إعمار الكون وصلاح العباد واستقرار المجتمع وثبات الحكم واستقرار الأمور ، لأن العدل أساس الحكم ، والعدل في المفهوم الإسلامي واجب على الصديق والعدو ، فعندما استشهد عمَ النبي ﷺ حمزة بن عبد المطلب في غزوة أُحد ومثّلَ المشركون بجثته أقسم النبيلأ أن يمُثل بسبعين جثة منهم ، فأنزل الله تعالى﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُم لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾(النحل: ١٢٦-١٢٧) وهذا خير مثال للعدل مع الأعداء •

وميزانَ الله تعالى لا يحيف ولا يزيغ فلا يظلم عرقاً وفئة وطبقة ولا حزبا وأن رب الناس ملك الناس إله الناس هو الذي يقرر الحقوق بحكمته وعدالته للناس جميعا ، فاختلاف الألسنة والألوان من آيات الله في البشر ، فلا مبرر للاستعلاء والعصبية ، كما أن الإسلام يوجب محاربة البغي والتعسف والطغيان حتى يعود العدل والإحسان •

وعدالة الإسلام إذ تبطل العصبية للعرق وافتئات الطبقات وبغي أية فئة بوجه عام ،

(١) رواه البخاري • (٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم . (٤) رواه مسلم.

فإنها لا تقيم تسلطاً جائراً لمعتنقي الإسلام على غيرهم من أتباع سائر الأديان ، فإن القرآن الكريم قد خاطب رسول الله نفسه بما هو حجة ماضية إلى يوم الدين ، فقال سبحانه ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية : ٢) ، وأيضاً ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ (سورة ق : ٤٥)، وقوله سبحانه ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاغُ المُبِينُ﴾ (المائدة : ٩٩)، فالإسلام يقرر حرية الاقتناع والاعتناق ولا يعارض وجود الديانات الأخرى وإنما يدفع العدوان من جانب الأديان الأخرى ، وحتى بالنسبة لليهود نجد القرآن لا يعمم حكمه عليهم على عدالة الأفراد ، فالعدالة في الإسلام شاملة كاملة [١] .

ويذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية أن جعده بن هبيرة جاء إلى الإمام علي رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك فتقضى لهذا على ذاك . . فقل علّى . . إن هذا شئ لو كان فعلت ولكن إنما ذا شئ لله . . والعدالة التي أمر بها الإسلام تعم العدالة الاجتماعية وهى التي تنظم التكافل الاجتماعي بين الناس .

العدالة الاقتصادية :

من أهم مبادئ الاقتصاد الإسلامي أن هذا النظام لا يدعو إلى توزيع الثروة على مبدأ المساواة Equal بل يدعو إلى توزيع الثروة على مبدأ العدل Equitable والذي يقرأ القرآن الكريم يتضح له وضوح الشمس في وسط النهار أن هذا الكون الشاسع لا أثر فيه للتوزيع المتساوي في أية ناحية من نواحيه ، والتوزيع المتساوي إنما هو شيء تأباه الفطرة نفسها ، ولذلك ، فالإسلام لا يقول بوجوب توزيع أدوات الإنتاج والمنتجات على قدم المساواة ، بل هو يقول بوجوب التوزيع على أساس العدل ، لتحقيق التوزيع العادل ، وهو يضع طائفة من القواعد والالتزامات [٢] .

والعدالة الاقتصادية التي تُمكن كل قادر على العمل أن يعمل وأن يكون تكافؤ الفرص أمر مُتاح للجميع ولذلك امتنع عمر عن تمليك أرض السواد للفاتحين حتى لا يكون هناك الغنى القادر والفقير المحروم . . والإمام (مالك) يقرر أن الركاز ـ المعادن

(١) راجع : د. محمد فتحي عثمان ، من أصول الفكر السياسي الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص ١٥٢ـ١٥٨ .

(٢) راجع : أبو الأعلى المودودي ، مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٧٧م، ص ١١٢ .

والبترول وكل ما يستخرج من الأرض كالذهب وغيره ـ يكون ذلك ملكا للدولة وليس لأحد من الناس . . . والإنسان المسلم يقول العدل ولو على نفسه ويقيمه على أحب الناس إليه ، ويذكر أن عبد الله بن رواحه بعثه النبي ﷺ يحص على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم / أي يحسب نتاج زراعتهم ليأخذ حق الله في الزكاة / فأراد أهل خيبر أن يرشوه ليرفق بهم / أي ليحسب العشرة خمسة / فقال لهم : والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليّ ولأنتم أبغض إلي من أعداءكم من القردة والخنازير وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم . . فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض) تفسير ابن كثير .

قال يحيى الغساني : لما ولانى عمر بن عبد العزيز بلاد الموصل قدمت فوجدتها من أكثر البلاد سرقه ونهبا فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلاد وأسأله أأخذ الناس بالظنة وأضربهم على التهمة أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة ؟ فكتب عمر إلي يحي . أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله . قال يحيي . . ففعلت ذلك . . فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقة ونهبا) السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء . . .

وخلاصة ما تقدم أن العدل ركن أساسي من أساس قيام الدولة وبقائها والعدالة الشاملة بجميع أنواعها حتى بين الأولاد من الأب والأم ولهذا يقول ابن مسعود (أمرنا رسول الله ﷺ أن نعدل بين أولادنا حتى في الغيل) وعلى الحاكم العام أن يكون عادلا خاصة عندما يختار معاونيه فلا يؤثر قريبا لقرابته أو لقربه ولا يقدم أحدا لهوي وأن يختار الولاة (الوزراء والمحافظون) من الشخصيات التي تتسم بالصلاح والتقوى والرفق وسعه الأفق ففي حديث عن رسول الله ﷺ (من ولى من أمر أمتي شيئا فأمر أحدا / أي ولي رجلا/ وهو يجد من هو أصلح منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) [١] ، ويقول الرسول ﷺ (المقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، هم الذين يعدلون في الأحكام وأهلهم وما غلوا) [٢] ، ويوضح النبي ﷺ في حديثه أكثر من ذلك فيقول (من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به)[٣] .

---

(١) رواه الحاكم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .

العدالة الاجتماعية :

لقد نادى الإسلام بعدالة اجتماعية واسعة المفهوم متعددة الأوجه لحفظ كرامة المسلم، فالعدالة في الإسلام وقبل كل شيء عدالة إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية ومقوماتها، وليست مجرد عدالة اقتصادية محدودة، وهي إذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، كما تتناول الشعور والسلوك والضمائر والوجدانيات والقيم التي تتناولها هذه العدالة : فليست القيم الاقتصادية وحدها وليست القيم المادية على وجه العموم، وإنما هي ممتزجة بها القيم المعنوية والروحية، فالخطين الكبيرين اللذان يسير فيهما الإسلام في تحقيق العدالة الاجتماعية هي الوحدة المطلقة المتعادلة والمتناسقة والتكامل العام بين الأفراد والجماعات ، وإذا كان من الظلم الاجتماعي أن تطغى مطامح الفرد ومطامعه على الجماعة فإنه من الظلم كذلك أن تطغى الجماعة على فطرة الفرد وطاقته، فلا ينبغي أن يغفل حق الفرد في انطلاق نشاطه في الحدود التي لا تضار بها الجماعة ولا يضار بها هذا الفرد ذاته، ولا تصطدم بأهداف الحياة أيضاً ، فالحياة تعاون وتكامل في نظر الإسلام : لا حرب ولا تنازع وخصام ، كما أنها انطلاق للطاقات الفردية والعامة وليست كبتاً وحرماناً وسجناً وكل ما ليس حراماً فهو مُباح .(١)

ولذلك تمثلت أسس العدالة الاجتماعية في الإسلام في ثلاثة أسس هي :

التحرير الوجداني البشري المطلق : والتحرر الوجداني يكون بالإيمان ، الذي حرر الوجدان البشري تحريراً مطلقاً وكاملاً بعدما كفل في الوقت ذاته حاجات الجسد وضرورات الحياة بحكم الأوضاع وبحكم الضمير وبحكم القانون سواء، ولقد بدأ الإسلام بتحرير الوجدان البشري من عبادة أحد غير الله ومن الخضوع لأحد غير الله ، فما لأحد عليه غير الله من سلطان ، وما من أحد يميته أو يحييه في الأرض ولا في السماء، وليس بينه وبين الله وسيط ولا شفيع ، والله وحده هو الذي يستطيع والكل سواه عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً . فإذا تحرر الوجدان من شعور العبادة والخضوع لعبد من عباد الله وامتلأ بالشعور بأنه على اتصال كامل بالله، لم يتأثر بشعور الخوف على الحياة أو الخوف على الرزق أو الخوف على المكانة وهو شعور خبيث يغض

(١) راجع سيد قطب ، العدالة الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ص ٢٨-٣٠ .

من إحساس الفرد بنفسه ، وقد يدعوه إلى قبول الذل وإلى التنازل عن كثير من كرامته وكثير من حقوقه ، ولكن الإسلام لشدة حرصه على أن يحقق للناس العزة والكرامة وأن يبث في نفوسهم الاعتزاز بالحق والمحافظة على العدل ، وان يضمن بذلك كله ، علاوة على التشريع ، عدالة اجتماعية مطلقة ، لا يفرط فيها إنسان ، لهذا كله يعني عناية خاصة بأن يقاوم الشعور بالخوف على الحياة وعلى الرزق وعلى المكانة ، فالحياة بيد الله وليس لمخلوق قدرة على أن ينقص هذه الحياة ساعة أو بعض ساعة • ولذلك ، يحارب الإسلام القيم المادية والعادات حتى يحصل المسلم على عقه في الحرية والعدالة الكاملة ، ويأخذ الإسلام المر من وجوهه كلها ومن مناحيه جميعاً ، فيكفل بتحرير الوجدان تحريراً مطلقاً لا يقوم على المعنويات فحسب ولا على الاقتصاديات وحدها ، ولكن يقوم عليها جميعاً ، فيعرف للحياة واقعها وللنفس طاقتها ويستثير في الطبيعة غاية أشواقها وأعلى طاقاتها ويدفع بها إلى التحرر الوجداني كاملاً صريحاً ، فبغير التحرر الكامل لن تقوى على عوامل الضعف والخضوع والعبودية ، ولن تطلب نصيبها من العدالة الاجتماعية ولن تصبر على تكاليف العدالة حين تعطاها •

المساواة الإنسانية كاملة : قرر الإسلام مبدأ المساواة باللفظ والنص ليكون كل شيء واضحاً ومقرراً منطوقاً ، وفي الوقت الذي كان بعضهم يدعي ويصدق أنه من نسل الآلهة •• الخ ، في هذا الوقت جاء الإسلام ليقرر وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير في المحيا والممات في الحقوق والواجبات ، أمام القانون وأمام الله ، في الدنيا والآخرة : لا فضل إلا للعمل الصالح ولا كرامة إلا للأتقى •

فالنفس البشرية نفس واحدة وزوجها منها ومنهما أنبت الرجال والنساء ، فهم من أصل واحد ، وهم أخوة في النسب وهم متساوون في الأصل والنشأة ، فليست الشعوب والقبائل للتفاخر أو التناحر ، بل لتتعارف وتتآلف وكلها عند الله سواء لا تفاضل إلا بالتقوى • وفي الحديث الشريف : « يا معشر قريش لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أني عنك من الله شيئاً ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً » وأما بين الجنسين فقد كفل للمرأة مساواة تامة مع الرجل من حيث الجنس والحقوق الإنسانية ، ولم يقرر التفاضل إلا في بعض الملابسات المتعلقة بالاستعداد أو التبعة أو الدرجة ، مما لا يؤثر

على حقيقة الوضع الإنساني للجنسين ، فحينما تساوى الاستعداد والدرجة والتبعة تساويا وحيثما اختلف شيء من ذلك كان التفاوت يحسبه • فمن الناحية الدينية والروحية متساويان ، ومن ناحية الأهلية للتملك والتصرف الاقتصادي يتساويان ، فالمساواة من خلال العدالة •

العدالة الإنسانية : لقد تجاوز الإسلام بالمؤمنين القيم الاقتصادية البحته ، وأخذ الناس إلى سائر القيم التي تقوم الحياة عليها ، وهذا الأمر يجعل المسلم أقدر على إيجاد توازن وتعادل في المجتمع ويجعل الإسلام قادراً على تحقيق العدالة في الدائرة الإنسانية كلها ، ويعفي الإنسان من التفسير الضيق للعدالة كما تفهمها الشيوعية مثلاً ، فالعدالة في نظر الإسلام مساواة إنسانية ينظر منها إلى تعادل جميع القيم بما فيها القيم الاقتصادية البحتة ، وهي على وجه الدقة تكافؤ الفرص وترك المواهب بعد ذلك تعمل في الحدود التي لا تتعارض مع الأهداف العليا للحياة ، ولذلك ، فلقد قرر الإسلام مبدأ تكافؤ الفرص ومبدأ العدالة بين الجميع ، ثم ترك الباب مفتوحاً للتفاضل بالجهد والعمل ، ثم جعل القيم الأصيلة في المجتمع المسلم قيماً أخرى غير القيم الاقتصادية كما قال المولى الكريم : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣) ويقول المولى عز وجل : ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة : ١١) ، وقال سبحانه : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (الكهف : ٤٦) وهناك قيماً أخرى غير القيم الاقتصادية البحتة يحسب الإسلام حسابها ويجعلها هي القيم الحقيقية للمجتمع ويجعل منها وسيلة للتعادل في المجتمع ، حين تتفاوت الأرزاق المالية بين الناس بأسباب التفاوت المعقولة والقائمة على الجهد والموهبة لا على الوسائل المنكرة التي يحرمها الإسلام تحريما ، ولذلك لا يفرض الإسلام المساواة الحرفية في المال لأن تحصيل المال تابع لاستعدادات غير متساوية ، فالعدل المطلق يقتضي أن تتفاوت الأرزاق وأن نفضل بعض الناس على بعض فيها مع تحقيق العدالة الإنسانية بإتاحة الفرص المتساوية للجميع ، فلا يقف أمام فرد حسب ولا نشأة ولا أصل ولا جنس ولا قيد واحد من القيود التي تغل الجهود[1] •

---

(١) راجع سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ٣٠ ـ ٥٦ •

لهذا ، نرى أن العدالة يوم أن سادت دنيا الناس هدأت النفوس ، وأمن كل شخص على حقه ، فلا ظُلم لأحد على أحد واختفت الرشوة من دنيا الناس ، لأن الرسول ﷺ لعن الراشي والمرتشي والرائش وهو الذي يسعى بين الطرفين ، فالعدالة في الإسلام مطلقة ، وبتحقيقها يسود بين الناس الأمن والراحة والمساواة ، فالكل في ظلالها آمن على حقه ، ويعمل باجتهاد وجد وصبر ومصابرة ، لا يخاف أحد ظلم الآخر ، ولا يخاف من اعتداء شخص عليه •

ونجد أن دولة الإسلام تلتزم بتحقيق العدالة بأوسع معانيها وفي شتى المجالات السياسية والإدارية والقضائية والاجتماعية والدولية ، ويتضمن ذلك حماية الحقوق والحريات العامة والمساواة وممارسة الحكم على الشورى بمعانيها السياسية والفنية • ففي المجال الاقتصادي تستهدف الدولة الإسلامية في سياستها الاقتصادية تحقيق عمارة الأرض وتحقيق سُبل العيش الكريم لرعاياها مع تحقيق تكافؤ الفرص والعدالة في توزيع ثروات الدولة وخدماتها ، استرشاداً بقوله تعالى ﴿ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ (الحشر: ٧)، فالملكية الشرعية مقررة ومصونة في الإسلام ، ونجد عدالة الإسلام شاملة وتحكم تعاملها مع المسلمين وغير المسلمين في داخل الدولة وخارجها وفي العالم كله : ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة:٤٨) ، فالإسلام لم يستعمل القوة ضد الديان المخالفة للإسلام وإنما استعمل القوة ضد العدوان ولو صدرت من المسلمين أنفسهم •

والبعد عن الظلم من أسباب إقامة العدل في الإسلام ، فقال تعالى محذراً من الظلم ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾(غافر :١٨)، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (الحج: ٧١) ، وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « اتقوا الظلم فغن الظلم ظلمات يوم القيامة •• »[1] ، ويحذرنا الرسول الكريم من عاقبة الظلم حين يقول في حديث عن عائشة رضي الله عنها : «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أراضين »[2] ، ويعني أن من ظلم قدر شبر كلفه الله نقل ما ظلم منها في القيامة إلى

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

المحشر ويكون كالطوق في عنقه ، وهي عاقبة فظيعة للظلم ، كما أن الله يعاقب الظالم دنيويا وأخرويا بظلمه ، قال الرسول الكريم " إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود:١٠٢) [١] وقال صلوات الله وسلامه عليه «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضة أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه فحمل عليه»[٢] .

كما أن القضاء في الإسلام عام يسوي بين الناس بالعدل ، فالقضاء يعني إنصاف المظلومين بالعدل ودون تمييز ، ويتميز الإسلام بأن القضاء فريضة على المجتمع كله أي فرض كفاية ، ودستور القضاء في الإسلام ، كما جاء في كتاب الفاروق عمر رضي الله عنه حيث قال " إن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ‥ وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك ‥ البينة على المدعي واليمين على ما أنكر ‥ الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرّم حلالاً ‥ ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن تراجع الحق ، فإن الحق قديم لا يبطل ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ‥ الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في القرآن العظيم والسنة ‥ ثم اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك ، فاعمد إلى أحبها وأقربها إلى الله تبارك وتعالى وأشبهها بالحق ... اجعل للمدعي أمداً ينتهي إليه فإذا أحضر بينة أخذ بحقه وإن عجز عنها استحللت عليه القضاء ، فإن ذلك أبلغ في العذر وأجل للعمى ‥ المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا محدوداً في قذف أو ظنيناً في ولاء أو قرابة أو مجرباً عليه شهادة زور ، فإن الله تعالى تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبيات ‥ إياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس ..." ولقد سنّ عمر مبدأ استقلال القضاء عن كل سلطان حتى سلطان الإمام، ففي سنوات حكمه سأل رجلاً له قضية : ما صنعت ؟ ، فقال الرجل : قضي على

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخاري .

بكذا ، قال عمر : لو كنت أنا لقضيت بغير ذلك ، فقال صاحب القضية : فما يمنعك والأمر إليك ؟ ، فقال عمر : لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه ﷺ ، لفعلت ولكني أردك إلى رأيي والرأي مشترك ·

ولذلك فمن الآداب المطلوبة للقاضي ألا يشتري بنفسه ولا بوكيل معلوم حتى لا يسامح في البيع ، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يقول : تجارة الولاة مفسدة وللرعية مهلكة ، فكان يعين القضاة بسعة الرزق عن التكسب والاتجار(١) ·

٦ـ العدل في حياة النبي ﷺ :

وفى التطبيق الإسلامي لقيمة العدالة بصفتها القيمة العليا والأساسية في الفكر وفى الشريعة الإسلامية وفى التطبيق الإسلامي أيضا في حياة المسلمين نجد رسول الله ﷺ يعطى نماذج تطبيقية لأهمية قيمة العدالة في حياة المسلمين بصفتها القيمة العليا التي تُشكل مختلف القيم الأخرى سياسيا واجتماعيا ، فهي قيمة القيم . . ولنر بعضا من جوانب هذا التطبيق في حياة النبي ﷺ :

ـ أخرج البخاري عن عروة أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ، ففزع قومها إلي أسامة بن زيد رضي الله عنهما يستشفعونه ، قال عروة : فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ وقال : أتكلمني في حد من حدود الله تعالي ؟ فقال أسامة : استغفر لي يا رسول الله ، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثني علي الله بما هو أهله ثم قال : ". . أما بعد ، فإنما هلك الناس أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" .

ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها ، فَحَسُنت توبتها بعد ذلك وتزوجت ، وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها "كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلي رسول الله (٢) .

ووصى رسول الله ﷺ فقال "من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه ، ومن

(١) راجع : عباس محمود العقاد ، الديمقراطية في الإسلام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١م ، ط٤ ، ص ص ١١٢ـ١١٥ ·

(٢) رواه البخاري ومسلم ، راجع : محمد يوسف الكاندهلوي : حياة الصحابة ، جـ٢ ، بيروت دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ١٤٠٧هـ ، ص ٦٨ .

كانت له حرمة في دمه فله من مثله والعدل عليه مثلها ، فإنهم ليسوا بعبيد فتكونوا من تحويلهم من بلد إلى بلد في سعة ، ولكنهم أحرار أهل الذمة " وكان آخر ما تكلم فيه النبي ﷺ " احفظوني في ذمتي "[١] •

ـ كما روي عنه " من آذى ذميا أو معاهداً فأنا خصمه يوم القيامة " وقد ذكر الفقهاء أهل الذمة إذا تشاجروا في دينهم واختلفوا في معتقدهم لم يعارضوا فيه ولم يكفوا عنه ، وإذا تنازعوا في حق وترافعوا فيه إلى حاكمهم لم يمنعوا منه ، فإذا ترافعوا فيه إلى حاكمنا حكم بينهم بما يوجبه دين الإسلام ، وتقام عليهم الحدود إذا آتوها ، ومن نقض منهم عهده أبلغ مأمن ثم كان حربياً ، ولأهل العهد إذا دخلوا دار الإسلام الأمان على نفوسهم وأموالهم •[٢] •

– وطالبنا الرسول ﷺ بأن ننشر العدالة على أوسع نطاق ، فطلب من الحاكم أو القاضي أن يسمع الدعوى من الخصوم وأن يسمع من الطرفين لقوله ﷺ في وصيته للإمام على بن أبي طالب (يا عليّ إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضي بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ، فإنك إذا فعلت ذلك تبينّ لك القضاء)[٣] •

– وقال الأشعث بن قيس " كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ فقال (شاهداك أو يمينه) فقلت إنه يحلف ولا يبالي ، فقال : من حلف على يمينه يقتطع بها مال إمريء مسلم لقي ربه وهو عليه غضبان "[٤]

– وفي غزوة حنين ، قال أبي قتادة رضي الله عنه " خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربته من ورائه علي جبل عاتقة بالسيف فقطعت الدرع ، وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت ، فأرسلني فلحقت عمر رضي الله عنه فقلت : ما بال الناس؟ فقال : أمر الله ، ورجعوا وجلس رسول الله ﷺ فقال : من قتل قتيلاً له عليه بينه فله سَلبه ، فقمت فقلت : من يشهد لي ؟ ثم

---

(١) رواه نافع عن ابن عمر

(٢) راجع : عبد الكريم زيدان ، الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية ، الرياض ، الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ، بدون تاريخ ، ص ١٩ •

(٣) رواه أبو داود

(٤) رواه البخاري ومسلم •

جلست : فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست فقال رسول الله مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، ثم قال رسول الله ﷺ مثله ، فقمت ، فقال : مالك يا أبا قتادة ؟ فأخبرته ، فقال رجل : صدق ، سَلَبه عندي فأرضه مني ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : لا ها الله ؟ إذا لا يعمد إلي أسد من أسود الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سَلَبه ، فقال النبي ﷺ : صدق فأعطه ، فأعطانيه فأتبعت به مخرقاً (أي حائطاً من نخل) في بني سلمة ، فإنه لأول مال تأثلته (أي جمعته) في الإسلام [1] .

– وعن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه أنه كان ليهودي عليه أربعة دراهم ، فاستعدي عليه ، فقال : يا محمد إن لي علي هذا أربعة دراهم وقد غلبني عليها ، قال : أعطه حقه ، قال : والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها ، قال : أعطه حقه ، قال : والذي نفسي بيده ما أقدر عليها قد أخبرته أنك تبعثنا إلي خيبر فأرجو أن تغنمنا شيئاً فأرجع فأقضيه ، قال : أعطه حقه (وكان رسول الله إذا قال ثلاث لم يراجع) فخرج ابن أبي حدرد إلي السوق وعلي رأسه عصابة وهو متزر ببردة فنزع العمامة عن رأسه فأتزر بها ونزع البردة فقال : أشتر مني هذه البردة ، فباعها بأربعة دراهم ، فمرت عجوز فقال : مالك يا صاحب رسول الله ؟ فأخبرها ، فقالت : هادونك هذا البرد (لبرد عليها طرحته عليه)[2] .

– وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث قد درست ليس لهما بينه ، فقال النبي ﷺ " إنكم تختصمون إلي وإنما أقضي برأيي فيما لم ينزل عليَّ فيه ، فمن قضيت له فيه بحجته يقتطع بها شيئا من حق أخيه فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى يوم القيامة انتظاما في عنقه " فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما : يا رسول الله حقي له ، فقال النبي : " أما إذا فعلتما فأذهبا وتوخيا الحق وأقتسما واستهما ، وليحلل كل واحد منكما صاحبه "[3] .

– وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : جاء إعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه دينا كان عليه ، فاشتد عليه حتى قال : أحرج عليك إلا قضيتني ، فانتهره أصحابه فقالوا :

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة والبيهقي ، حياة الصحابة ، جـ ٢ ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) أخرجه ابن عساكر وأحمد ، راجع حياة الصحابة ص ٦٩ جـ ٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٩ ، ٧٠ .

ويحك : تدرى من تكلم ؟، فقال : إني أطلب حقي ، فقال النبي ﷺ : هلا مع صاحب الحق كنتم ؟ ، ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها : إن عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك ، فقالت : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فاقترضه ، فقضى الأعرابي وأطعمه ، فقال : أوفيت أوفى الله لك ، فقال : أولئك خيار الناس أنه لا قدست أمه لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع " أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه "[1].

- وعن خوله بنت قيس امرأة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنهما قالت : كان على رسول الله ﷺ وسق من تمر لرجل من بنى ساعدة ، فأتاه يقتضيه فأمر رسول الله رجلا من الأنصار أن يقضيه ، فقضاه تمرا دون تمره ، فأبى أن يقبله ، فقال : أترد على رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ومن أحق بالعدل من رسول الله ﷺ ، فاكتحلت عينا رسول الله ﷺ بدموعه ثم قال : صدق ، ومن أحق بالعدل منى ، لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها ولا يتعتعه ، ثم قال : يا خوله : عديه وأقضيه ، فانه ليس من غريم يخرج من عند غريمه راضيا إلا صلت عليه دواب الأرض ونون البحار وليس من عبد يلوى غريمه وهو يجد إلا كتبت عليه فى كل يوم وليلة أثما "[2].

- ولقد قررت أول وثيقة سياسية في الإسلام والتي تم إعلانها عقب هجرة الرسول ﷺإلى يثرب ، وإنشاء أول دولة إسلامية بها ، وهي وثيقة تسمى وثيقة المدينة والتي كتبها النبي محمد ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، وجاء بهذه الوثيقة مبدأ عدم جواز إقرار الظلم وقاعدة العدل بأوسع معانيها الواجب إرساؤها بين المؤمنين وبينهم وبين اليهود من ساكني المدينة ، فنصت المادة ١٣ على " أن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم (أي طلب دفعاً على سبيل الظلم) أو إثماً أو عدواناً ، أو فساداً بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً " كذلك نصت المواد ١٥ ، و١٦ ، ٣٦ ، ٤٧ على إقامة العدل بين الناس ، وهذه الوثيقة تعلى من شأن العدالة في المجتمع السياسي الإسلامي من خلال التطبيق الفعلي لقيمة العدالة [3] .

(١) المرجع السابق ص ٧٠ أخرجه ابن ماجه والطبرانى .

(٢) المرجع السابق ص ٧٠ رواه أحمد والطبرانى .

(٣) راجع : د. فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ٩٢ ـ ٩٧

٧ - نماذج من تطبيق قيمة العدالة فى حياة الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم

وكان الخلفاء الراشدين والصحابة يسعون إلى تطبيق العدالة فى كل مناحي الحياة باعتبار أن العدالة هي قيمة القيم وهى القيمة العليا فى المجتمع الاسلامى وفى الفكر الاسلامى ولذا ، سنتعرض لنماذج من التطبيق الاسلامى للعدالة فى عهد الخلافة الراشدة التي وضحت العدالة تطبيقياً كأزهى ما تكون وفى حياة الصحابة رضوان الله عليهم .

١ - نماذج من عدل أبى بكر الصديق رضى الله عنه خليفة رسول الله:

-أبوبكر الصديق رضي الله عنه وخليفة رسول الله يقول في أول خطبة له بعد توليه الخلافة (الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله)

– وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق – رضى الله عنهم – قام يوم الجمعة فقال : إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسم ، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن . فقالت امرأة لزوجها : خذ هذا الخطام ، لعل الله يرزقنا جملا . فأتى الرجل فوجد أبا بكر وعمر – رضى الله عنهما – قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما . فالتفت أبو بكر فقال : ما أدخلك علينا ؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه . فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام ، وقال : استقد . فقال له عمر : والله لا يستقيد ، لا تجعلها سنة . قال أبو بكر : فمن لي من الله يوم القيامة ؟ فقال عمر : أرضه ؛ فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة ، وخمسة دنانير فأرضاه بها .[١]

ـ وعندما ولى أبو بكر عمر وأوصى بخلافته قال " إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن بر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه ، وإن فارق وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب "[٢] .

٢- نماذج من عدل أمير المؤمنين الفاروق عمر رضى الله عنه :

يقول عمر بن الخطاب في وصيته لعبد الله بن قيس عندما ولاه القضاء " المسلمون

(١) أخرجه البيهقى ، راجع حياة الصحابة ، المرجع السابق ص ٧١ .

(٢) راجع : د. محمد فتحي عثمان من أصول الفكر السياسي الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٤٦ .

عدول بعضهم على بعض إلا مجلود في حد أو مجربا عليه شهادة زور ٠

وقال عمر أيضاً : (فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق فليؤذني فإنما أنا رجل منكم) الطبري٤ / ٢١٥ ، ويقول أيضاً (وإني لأرجو ن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أن آتاه حقه ونصيبه من مال الله ، ولا يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوما) الطبري ٤ / ٢١٦ ٠ كما كتب عمر إلى أحد عماله (٠٠ وأما العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد ولا في شدة ولا رخاء ، والعدل وإن رُئيّ لينا فهو أقوى وأطفأ للجور وأقمع للباطل من الجور) الطبري ٣ / ٥٨٥ ٠

- ولعمر باع طويل في العدل الاجتماعي ، حتى بين المسلم وغير المسلم ، لأن الجميع يتمتعون بالحقوق ومنها رعاية الدولة الاجتماعية ، فلقد لقي عمر يهودياً يسأل ، فأرسل إلى خازن بيت المال فقال : انظر هذا فو الله ما أنصفناه ، إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، فالفقراء في الأمة هم المسلمون ، وهذا من المساكين عند أهل الكتاب .

- وثبت أن عمر بن الخطاب رُفعَت إليه قضية فشهد رجل فقال له عمر : لست أعرفك ولا يضرك ألا أعرفك ، ثم قال لصاحب القضية : ائت بمن يعرفك ، فقال رجل من الجالسين : أنا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : بأي شيء تعرفه ؟ ، قال : بالعدالة والفضل ، قال : هو جارك الأدنى الذي تعرف مدخله ومخرجه في ليله ونهاره؟ ، قال : لا ، قال عمر : فعاملته بالدينار والدرهم الذين يستدل بهما على الورع ؟ قال : لا ، قال عمر : فرافقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال : لا ، قال عمر : لست تعرفه) ٠

- عن الشعبي قال : كان بين عمر وبين أبى بن كعب - رضى الله عنهما - خصومة . فقال عمر : اجعل بينى وبينك رجلا ، فجعلا بينهما زيد بن ثابت رضى الله عنه . فأتياه ، فقال عمر : أتيناك لتحكم بيننا ، وفى بيته يؤتى الحكم . فلما دخل عليه وسع له زيد عن صدر فراشه فقال : ها هنا أمير المؤمنين ! فقال له عمر : هذا أول جور جرت فى حكمك ولكن أجلس مع خصمي ، فجلسا بين يديه . فادّعى أُبى وأنكر عمر فقال زيد لأبى : اعف أمير المؤمنين من اليمين وما كنت لأسألها لأحد غيره . فحلف عمر

ثم أقسم لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء[1] .

– وعن زيد بن أسلم قال : كان للعباس بن عبد المطلب - رضي الله عنهما - دار جنب مسجد المدينة . فقال له عمر رضي الله عنه : بعنيها ، فأراد عمر أن يزيدها في المسجد ، فأبي العباس أن يبيعها إياه . فقال عمر : فهبها لي ، فأبي عليه . فقال : خذ بيني وبينك رجلاً ، فأخذ أُبي بن كعب رضي الله عنه ، فاختصما إليه . فقال أُبي لعمر : ما أري أن تخرجه من داره حتى تُرضيه . فقال له عمر : أرأيت قضاءك هذا في كتاب الله وجدته أم سنة من رسول الله ﷺ ؟ فقال أُبي : بل سنة من رسول الله ﷺ. فقال عمر : وما ذاك ؟ فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام – لما بني بيت المقدس جعل كلّما بني حائطاً أصبح منهدماً ، فأوحي الله إليه أن لا تبني في حق رجل حتى تُرضيه . فتركه عمر فوسعها العباس رضي الله عنهما بعد ذلك في المسجد[2] .

– وعن سعيد بن المسيب قال : أراد عمر رضي الله عنه أن يأخذ دار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فيزيدها في المسجد ، فأبي العباس أن يعطيها إياه . فقال عمر : لآخذنها ، قال : فاجعل بيني وبينك أُبي بن كعب رضي الله عنه . قال : نعم . فأتيا أبياً ، فذكرا له . فقال أبي : أوحي الله إلي سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أن يبني بيت المقدس ، وكانت أرضاً لرجل فاشتري منه الأرض ، فلما أعطاه الثمن قال : الذي أعطيتني خير أم الذي أخذت منى ؟ قال : بل الذي أخذت منك . قال : فإني لا أجيز . ثم اشتراها منه بشيء أكثر من ذلك ، فصنع الرجل مثل ذلك مرتين أو ثلاثاً ، فاشترط عليه سليمان عليه الصلاة والسلام إني ابتاعها منك علي حكمك فلا تسألني أيهما خير . قال : فاشتراها منه بحكمه ، فاحتكم اثني عشر ألف قنطار ذهباً . فتعاظم ذلك سليمان عليه الصلاة والسلام أن يعطيه . فأوحي الله إليه إن كنت تعطيه من شئ هو لك فأنت أعلم ، وإن كنت تعطيه من رزقنا فأعطه حتى يرضي ، ففعل . قال : وأنا أري أن عباساً رضي الله عنه أحق بداره حتى يرضي . قال العباس : فإذا قضيت لي فإني أجعلها صدقة للمسلمين[3] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر والبيهقى ، المرجع السابق ص ٧١ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٢ .

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : شرب أخي عبد الرحمن ، وشرب أبو سروعة عتبة بن الحارث وهما بمصر في خلافة عمر رضي الله عنه ، فسكرا . فلما أصبحا انطلقا إلي عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو أمير مصر فقالا : طهرنا ، فإنا قد سكرنا من شراب شربناه . قال عبد الله : فذكر لي أخي أنه سكر فقلت : ادخل الدار أطهرك ولم أشعر أنهما قد أتيا عمروا . فأخبرني أخي أنه قد أخبر الأمير بذلك . فقلت لا تحلق اليوم علي رؤوس الناس ، ادخل الدار أحلقك ، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد ، فدخلا الدار . قال عبد الله : فحلقت أخي بيدي ثم جلدهم عمرو ، فسمع بذلك عمر فكتب إلي عمرو رضي الله عنهما : أن ابعث إلي بعبد الرحمن علي قتب ، ففعل ذلك . فلما قدم علي عمر رضي الله عنه جلده وعاقبه لمكانه منه . ثم أرسله فلبث شهراً صحيحاً ثم أصابه قدره فمات ، فيحسب عامة الناس إنما مات من جلد عمر، ولم يمت من جلد عمر[1] .

- وعن الحسن قال : أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلي امرأة مغيبة كان يدخل عليها فأنكر ذلك، فأرسل إليها فقيل لها : أجيبي عمر ، فقال : يا ويلها! ما لها ولعمر . فبينما هي في الطريق فزعت فضربها الطلق ، فدخلت داراً ، فألقت ولدها : فصاح الصبي صيحتين ثم مات : فاستشار عمر أصحاب النبي ﷺ فأشار عليه بعضهم أن ليس عليك شئ ، إنما أنت دال ومؤدب ، وصمت عليّ رضي الله عنه، فأقبل علي عليّ فقال : ما تقول ؟ قال : إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم، وإن كانوا قالوا في هواك فلم ينصحوا لك ، أري أن ديته عليك فإنك أفزعتها ، وألقت ولدها في سببك ، فأمر علياً رضي الله عنه أن يقسم عقله (أي ديته) علي قريش يعني يأخذ عقله من قريش لأنه أخطأ[2] .

- وعن عطاء قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالموسم . فإذا اجتمعوا قال :"أيها الناس ! إني لم أبعث عمالي ليصيبوا من ابشاركم ، ولا من أموالكم ؛ إنما بعثتم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم بينكم ، فمن فعل به غير ذلك فليقم" . فما قام أحد إلا رجل ، قال فقال : يا أمير المؤمنين إن عاملك فلاناً

---

(١) أخرجه البيهقي ، راجع المرجع السابق ص ٧٣ .

(٢) أخرجه البيهقي ، المرجع السابق ص ٧٣ ، ٧٤ .

ضربني مائة سوط . قال : فيم ضربته ؟ قم فاقتص منه . فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك إن فعلت هذا يكثر عليك وتكون سنة يأخذ بها من بعدك . فقال : أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه . قال : فدعنا لنُرضيه . قال : دونكم فأرضوه ، فافتدي منه بمأتي دينار كل سوط بدينارين(١) .

- وعن أنس رضي الله عليه أن رجلاً من أهل مصر أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ! عائذ بك من الظلم ! قال : عذت معاذاً ، قال : سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته ، فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر إلي عمرو رضي الله عنهما يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه . فقدم فقال عمر: أين المصري ؟ خذ السوط فاضرب ، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر : اضرب ابن الأكرمين . قال أنس : فضرب والله ! لقد ضربه ونحن نحب ضربه ؛ فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه . ثم قال للمصري : ضع علي صلعة عمرو . فقال : يا أمير المؤمنين ! إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه . فقال عمر لعمرو : مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! لم أعلم ولم يأتني(٢) .

- وعن يزيد بن أبي منصور قال : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن عامله علي البحرين ابن الجارود أو ابن أبي الجارود أتي برجل يقال له أدرياس قامت عليه بينة بمكاتبة عدو المسلمين ، وأنه قد همّ أن يلحق بهم فضرب عنقه وهو يقول : يا عمراه يا عمراه ! فكتب عمر رضي الله عنه إلي عامله ذلك فأمره بالقدوم عليه ؛ فقدم فجلس له عمر ، وبيده حربة . فدخل علي عمر فعلي عمر لحيته بالحربة وهو يقول : أدرياس لبيك ! إدرياس لبيك ! وجعل الجارود يقول : يا أمير المؤمنين إنه كاتبهم بعورة المسلمين وهمّ أن يلحق بهم . فقال عمر : قتلته علي همه وأيّنا لم يهمه لولا أن تكون سنة لقتلتك به(٣) .

- وعن زيد بن وهب قال : خرج عمر رضي الله عنهما - ويداه في أذنه - وهو يقول: يا لبيكاه ! يا لبيكاه ! قال الناس : ما له ؟ قال : جاءه بريد من بعض أمرائه أن

(١) أخرجه ابن سعد ، المرجع السابق ص ٧٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير ، المرجع السابق ص٧٥ .

(٣) أخرجه ابن جرير ، المرجع السابق ص٧٥ .

نهراً حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سفناً . فقال أميرهم : اطلبوا لنا رجلاً يعلم غور النهر . فأتي بشيخ فقال : إني أخاف البرد وذلك فى البرد فاكرهه فأدخله فلم يلبثه البرد ، فجعل ينادي يا عمراه ! فغرق فكُتب إليه . فأقبل فمكث أياماً معرضاً عنه وكان إذا وجد علي أحد منهم فعل به ذلك . ثم قال : ما فعل الرجل الذي قتلته ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! ما تعمدت قتله لم نجد شيئاً يعبر فيه وأردنا أن نعلم غور الماء ففتحنا كذا وكذا . فقال عمر : لرجل مسلم أحب إلي من كل شئ جئت به ، لولا أن تكون سنة لضربت عنقك فأعط أهله ديته ، وأخرج فلا أراك[1] .

- وعن جرير أن رجلاً كان مع أبي موسى رضي الله عنهما- فغنموا - مغنماً فأعطاه أبو موسى نصيبه ولم يوفه ، فأبي أن يأخذه إلا جميعه فضربه أبو موسى عشرين سوطاً وحلق رأسه ! فجمع شعر وذهب به إلي عمر رضي الله عنه . فأخرج شعراً من جيبه فضرب به صدر عمر . قال : مالك ؟ فذكر قصته . فكتب عمر إلي أبي موسى - رضي الله عنهما : " سلام عليك ! أما بعد ! فإن فلان بن فلان أخبرني بكذا وكذا وأني أقسم عليك إن كنت فعلت ما فعلت في ملأ من الناس جلست له في ملأ من الناس فاقتص منك ، وإن كنت فعلت ما فعلت في خلأ فاقعد له في خلأ فليقتص منك " .

فلما دفع إليه الكتاب قعد للقصاص . فقال الرجل : قد عفوت عنه لله[2].

-وعن الحرماوي قال : كتب عمر بن الخطاب إلي فيروز الديلمي رضي الله عنهما : " أما بعد ! فقد بلغني أنه قد شغلك أكل اللباب بالعسل ، فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم علي بركة الله ، فأغز في سبيل الله " . فقدم فيروز فاستأذن علي عمر ، فأذن له ، فزاحمه فتي من قريش . فرفع فيروز يده فلطم أنف القرشي ، فدخل القرشي علي عمر مستدمي . فقال له عمر : من فعل بك ؟ قال : فيروز ! وهو علي الباب ، فأذن لفيروز بالدخول فدخل . فقال : ما هذا يا فيروز ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! إنا كنا حديث عهد بملك ، وإنك كتبت إلي ولم تكتب إليه ، وأذنت لي بالدخول ولم تأذن له ، فأراد أن يدخل في إذني قبلي ، فكان مني ما قد أخبرك . قال رضي الله عنه : القصاص ! قال فيروز : لابد ؟ قال : لابد . فجثي فيروز علي ركبتيه بشيء سمعته من

---

(١) أخرجه البيهقي ، المرجع السابق ص ٧٥ .

(٢) أخرجه البيهقي ، المرجع السابق ص ٧٥ ، ٦٧ .

رسول الله ﷺ ! سمعت رسول الله ﷺ ذات غداة وهو يقول : قتل الليلية الأسود العنسي الكذاب ! قتله العبد الصالح فيروز الديلمي ! أفتراك مقتصاً منه بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ ! قال الفتي : قد عفوت عنه بعد إذ أخبرتني عن رسول الله ﷺ بهذا . فقال فيروز لعمر : أفتري هذا مخرجي مما صنعت إقراري له وعفوه غير مستكره؟ قال : نعم . قال فيروز : فأشهدك أن سيفي وفرسي وثلاثين ألفاً من مالي هبة له . قال : عفوت مأجوراً يا أخا قريش ، وأخذت مالاً [1] .

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت جارية إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت : إن سيدي اتهمني فأقعدني علي النار حتى احترق فرجي . فقال لها عمر : هل رأي ذلك عليك ؟ قالت : لا . قال : فهل اعترفت له بشيء ؟ قالت : لا . فقال عمر : عليّ به ! فلما رأي عمر الرجل قال : أتُعذب بعذاب الله ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! اتهمتها في نفسها . قال : أرأيت ذلك عليها ؟ قال : لا . قال : فاعترفت لك به ؟ قال : لا . قال : والذي نفسي بيده لو لم أسمع رسول الله ﷺ يقول لا يقاد مملوك من مالكه ، ولا ولد من والده لأقدتها منك ، وضربه مائة سوط ، وقال للجارية : أذهبي فأنت حرة لوجه الله وأنت مولاة الله ورسوله : أشهد لسمعت رسول الله يقول من حرق بالنار أو مثل به فهو حر وهو مولي الله ورسوله[2] .

- وعن مكحول أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه دعا نبطياً يمسك له دابته عند بيت المقدس فأبي ، فضربه فشجه . فاستعدي عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له : ما دعاك إلي ما صنعت بهذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أمرته أن يمسك دابتي فأبي ، وأنا رجل في حدة فضربته . فقال : اجلس للقصاص . فقال زيد بن ثابت رضي الله عنه : أتقيد عبدك من أخيك ؟ فترك عمر رضي الله عنه القود وقضي عليه بالدية[3] .

- وعن سويد بن غفلة رضي الله عنه قال : لما قدم عمر رضي الله عنه الشام قام إليه رجل من أهل الكتاب فقال : يا أمير المؤمنين ؟ إن رجلاً من المؤمنين صنع بي ما تري ، قال : وهو مشجوج مضروب . فغضب عمر رضي الله عنه غضباً شديداً ثم قال

(١) أخرجه ابن عساكر ، المرجع السابق ص ٧٦ .

(٢) أخرجه الطبراني وابن عساكر والبيهقي ، المرجع السابق ص ٧٧ .

(٣) أخرجه البيهقي ، المرجع السابق ص ٧٧ .

لصهيب رضي الله عنه : انطلق وانظر من صاحبه ، فأتني به . فانطلق صهيب فإذا هو عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه ! فقال : إن أمير المؤمنين قد غضب عليك غضباً شديداً فأت معاذ بن جبل رضي الله عنه فليكلمه ، فإني أخاف أن يعجل إليك . فلما قضي عمر الصلاة قال : أين صهيب ؟ أجئت بالرجل ؟ قال : نعم . وقد كان عوف أتي معاذاً فأخبره بقصته . فقام معاذ فقال : يا أمير المؤمنين ! إنه عوف ابن مالك فاسمع منه ولا تعجل إليه . فقال له عمر : مالك ولهذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! رأيت هذا يسوق بامرأة مسلمة علي حمار ، فنخس بها ليصرع بها ، فلم يصرع بها فدفعها فصرعت فغشيها أو أكب عليها . فقال له : ائتني بالمرأة فلتصدق ما قلت . فأتاها عوف فقال له أبوها وزوجها : ما أردت إلي صاحبتنا قد فضحتنا . فقالت : والله لأذهبن معه! فقال أبوها وزوجها نحن نذهب فنبلغ عنك . فأتيا عمر رضي الله عنه فأخبراه بمثل قول عوف ، وأمر عمر باليهودي فصلب . وقال : ما علي هذا صالحناكم ، ثم قال : أيها الناس ! اتقوا الله في ذمة محمد ، فمن فعل منهم هذا فلا ذمة له . قال سويد: فذلك اليهودي أول مصلوب رأيته في الإسلام[1] .

- وعن عبد الملك بن يعلي الليثي أن بكر بن شداخ الليثي رضي الله عنه - وكان ممن يخدم النبي ﷺ وهو غلام - فلما احتلم جاء إلي النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! إني كنت أدخل علي أهلك وقد بلغت مبلغ الرجال . فقال النبي ﷺ : اللهم ! صدق قوله ولقه الظفر . فلما كان في ولاية عمر رضي الله عنه وجد يهودي قتيلاً فاعظم ذلك عمر وجزع وصعد علي المنبر فقال : أفيما ولاني الله واستخلفني يفتك بالرجال ، اذكر الله رجلاً كان عنده علم إلا أعلمني . فقام إليه بكر بن شداخ فقال : أنا به . فقال : الله أكبر بؤت بدمه . فهات المخرج فقال : بلي ! خرج فلان غازياً ووكلني بأهله فجئت فوجدت هذا اليهودي في منزله وهو يقول :

وأشعث غره الاسلام مني ... خلوت بعرسه ليل التمام

أبيت علي ترائبها ويمسي ... علي جرداء لاحقة الحزام

كأن مجامع الربلات منها ... فئام ينهضون إلي فئام

(١) أخرجه البيهقي وابن عساكر ، المرجع السابق ص ٧٧ ، ٧٨ .

فصدق عمر رضي الله عنه قوله ، وأبطل دمه بدعاء النبي ﷺ.[1]

– وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : حاصرنا تستر فنزل الهرمزان علي حكم عمر رضي الله عنه فقدمت به علي عمر رضي الله عنه. فلما انتهينا إليه قال له عمر : تكلم. قال : كلام حي أو كلام ميت ؟ قال : تكلم لا بأس. قال : إنا وإياكم معاشر العرب ؟! ما خلي الله بيننا وبينكم ، كنا نتعبدكم ، ونقتلكم ، ونغصبكم . فلما كان الله معكم لم يكن لنا يدان . فقال عمر رضي الله عنه : ما تقول ؟ فقلت يا أمير المؤمنين! تركت بعدي عدواً كثيراً ، وشوكة شديدة ، فإن قتلته ييأس القوم من الحياة ويكون أشد لشوكتهم . فقال عمر رضي الله عنه : استحي من قاتل براء بن مالك ومجزأة بن ثور رضي الله عنهما ، فلما خشيت أن يقتله قلت : ليس إلى قتله سبيل ، قد قلت له : تكلم لا بأس. فقال عمر رضي الله عنه : أرتشيت وأصبت منه؟ فقال : والله ما ارتشيب ولا أصبت منه . قال : لتأتيني علي ما شهدت به بغيرك أو لأبدأن بعقوبتك . قال : فخرجت فلقيت الزبير بن العوام رضي الله عنه فشهد معي وأمسك عمر رضي الله عنه وأسلم يعني الهرمزان وفرض له[2] .

– وعن يزيد بن أبي مالك قال : كان المسلمون بالجابية وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتاه رجل من أهل الذمة يخبره أن الناس قد أسرعوا في عنبه . فخرج عمر رضي الله عنه حتى لقي رجلاً من أصحابه يحمل ترساً عليه عنب. فقال عمر : وأنت أيضاً ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! أصابتنا مجاعة . فانصرف عمر رضي الله عنه وأمر لصاحب الكرم بقيمة عنبه[3] .

– وعن سعيد بن المسيب أن مسلماً ويهودياً اختصما إلى عمر رضي الله عنه فرأي الحق لليهودي ، فقضي له عمر به . فقال له اليهودي : والله لقد قضيت بالحق . فضربه عمر بالدرة وقال : ما يدريك ؟ فقال اليهودي والله إنا نجد في التوراة : ليس قاض يقضي بالحق إلا كان عن يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه مادام مع الحق ، فإذا ترك الحق عرجا وتركاه[4] .

(١) أخرجه أبو نعيم وابن منده ، المرجع السابق ص ٧٨ .
(٢) أخرجه البيهقي ، المرجع السابق ص ٧٩ .
(٣) أخرجه أبو عبيدة ، المرجع السابق ص ٨٠ .
(٤) أخرجه الإمام مالك ، المرجع السابق ص ٨٠ .

٢ . نماذج من عدل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه :

عن أبي الفرات قال : كان لعثمان رضي الله عنه عبد ، فقال له : إني كنت عركت أذنك فاقتص مني ، فأخذ بأذنه ثم قال عثمان رضي الله عنه : أشد يا حبذا ! قصاص في الدنيا ، لا قصاص في الآخرة [١] .

وعن نافع بن عبد الحارث قال : قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكة ، فدخل دار الندوة في يوم الجمعة وأراد أن يستقرب منها الرواح إلى المسجد فألقى رداءه علي واقف في البيت فوقع عليه طير من هذا الحمام فأطاره ، فانتهزته حية فقتلته . فملا صلي الجمعة دخلت عليه أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه فقال : أحكما علي في شئ صنعته اليوم : ائتي دخلت هذه الدار وأردت أن استقرب منها الرواح إلي المسجد ، فألقيت ردائي علي هذا الواقف فوقع عليه طير من هذا الحمام ، فخشيت أن يلطخه بسلحه فأطرته عنه ، فوقع علي هذا الواقف الآخر ، فانتهزته حية فقتله . فوجدت في نفسي أني أطرته من منزل كان فيه آمنا إلي موقعة كان فيها حتفه . فقلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه : كيف تري في عنز ثنية عفراء تحكم بها علي أمير المؤمنين ؟ إني أري ذلك ، فأمر بها عمر رضي الله عنه [٢] .

٣ . نماذج من عدل الخليفة الرابع : علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

عن كليب قال : قدم علي عليّ رضي الله عنه مال من أصبهان ، فقسمه علي سبعة أسهم ، فوجد فيه رغيفاً فكسره علي سبعة وجعل علي كل قسم منها كسرة ، ثم دعا الأمراء الأسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطي أولاً [٣] . وعن عيسي بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن جده قال : أتت علياً رضي الله عنه امرأتان تسألانه عربية ومولاة لها . فأمر لكل واحدة منهما بكر من طعام ، وأربعين درهماً . فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت وقالت العربية : يا أمير المؤمنين ؟ تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة ؟ قال لها علي رضي الله عنه : إني نظرت في كتاب الله عز وجل فلم أر فيه فضلاً لولد إسماعيل علي ولد إسحاق - عليهما الصلاة والسلام [٤] .

(١) راجع حياة الصحابة ، جـ٢ ، ص ٨١ .
(٢) أخرجه الإمام الشافعي في مسنده ، المرجع السابق ص ٨١ .
(٣) أخرجه البيهقي وابن عساكر ، المرجع السابق ص ٨١ .
(٤) أخرجه البيهقي ، المرجع السابق ص ٨١ ، ٨٢ .

وعن عليّ بين ربيعه قال : جاء جعده بن هبيرة إلي عليّ فقال : يا أمير المؤمنين ؟ يأتيك الرجلان أنت أحب إلي أحدهما من نفسه ، أو قال : من أهله وماله ، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك ، فتقضي لهذا علي هذا ؟ قال : فلهزه عليّ رضي الله عنه وقال : إن هذا شئ لو كان لي فعلت ، ولكن إنما ذا شئ لله [1] .

وعن الأصبغ بن نباتة قال : خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلي السوق فرأي أهل السوق قد جاوزوا أمكنتهم . فقال : ما هذا ؟ قالوا : أهل السوق قد جاوزوا أمكنتهم . فقال : أليس ذلك إليهم سوق المسلمين كمصلي المصلين ؟ من سبق إلي شئ فهو له يومه حتى يدعه [2] .

٤ ـ عدل بعض الصحابة رضوان الله عليهم : نماذج مختارة :

روي أن وفداً من سمرقند وفدوا على عمر بن عبد العزيز فرفعوا إليه أن قتيبة بن مسلم دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر ، فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً فيما ذكروا ، فإن قضى بإخراج المسلمين أُخرجوا ، فنصب لهم جميع بن حاضر الباجي ، فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء ، فكره أهل سمرقند الحرب وأقروا المسلمين [3] .

وروى الطبري في ابتداء أمر القادسية أن ربعي بن عامر دخل على رستم قائد الفرس في مجلسه فبادر القائد الفارسي بسؤال المجاهد المسلم : ما جاء بكم ؟ ، فأجابه المجاهد المسلم على الفور : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه .

عن ابن عمر رضي الله عنهما – فذكر الحديث بطوله في قصة خيبر ، وفيه : كان عبد الله بن رواحه رضي الله عنه يأتيهم كل عام ، فيخرصها عليهم ثم يضمنهم الشطر . فشكوا إلي رسول الله ﷺ شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه . فقال : يا أعداء الله؟ تطعموني السحت ؟ والله ؟ لقد جئتم من عند أحب الناس إليّ ولأنتم أبغض إليّ من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم ، وحبي إياه علي أن لا أعدل

(١) أخرجه ابن عساكر ، المرجع السابق ص ٨٢ .

(٢) أخرجه أبو عبيد ، المرجع السابق ص ٨٢ .

(٣) راجع : د. محمد فتحي عثمان ، من أصول الفكر السياسي الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

عليكم . فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض[1] .

وعن الحارث بن سويد قال : كان المقداد بن الأسود - رضي الله عنهما -في سرية فحصرهم فعزم الأمير أن لا يجشر أحد دابته ، فجشر رجل دابته لم تبلغه العزيمة فضربه ، فرجع الرجل وهو يقول ما رأيت كما لقيت اليوم قط . فمر المقداد فقال : ما شأنك ؟ فذكر له قصته ، فتقلد السيف وأنطلق معه حتى انتهي إلي الأمير فقال : أقده من نفسك . فأقاده فعفا الرجل ، فرجـــع المقداد وهو يقول : لأموتن والإسلام عزيز[2] .

- يروى عن الإمام على رضي الله عنه أنه كتب في وصيته لمالك بن الأشتر حين ولاه مصر قال " ٠٠ ليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية "[3] ٠

- ومن تجارب عمر بن عبد العزيز في حمل الناس على الطاعة بالعدل ما رواه صاحب تذكرة ابن حمدون ، قال عمر " إني لأجمع أن أخرج للمسلمين أمراً من العدل فأخاف ألا تحتمله قلوبهم ، فأُخرج لهم معه طمعاً من طمع الدنيا ، فإن نفرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا "[4] ٠

- ومن كلام الماوردي يخاطب الوزير ـ أي وزير ـ في كتابه أدب الوزير ، يقول له " ٠٠ وليس يختص بالعدل بالأموال دون الأقوال والأفعال ، فعدلك بالأموال أن تؤخذ بحقها وتدفع إلى مستحقها لأنك في الحقوق سفير مؤتمن وكفيل مرتهن ، عليك غرمها ولغيرك غنمها ، وعدلك في الأقوال ألا تخاطب الفاضل بخطاب المفضول ولا العالم بخطاب المجهول ، وتقف في الحمد والذم على حسب الإحسان والإساءة ، ليكون إرغابك وإرهابك على وفق أسبابها من غير سرف ولا تقصير ، فلسانك ميزانك ، فاحفظ من رجحان أو نقصان ٠٠ "[5] ٠

---

(١) أخرجه البيهقي - المرجع السابق ص ٨٢ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية المرجع السابق ص ٨٣ .

(٣) راجع : عباس محمود العقاد : الديمقراطية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ ٠

(٤) المرجع سابق ، ص ١٦٥-١٦٦ ٠

(٥) المرجع السابق ، ص ١٦٩ ٠

الفصل الثالث

القيم السياسية الرئيسية فى الإسلام

جاء الإسلام بنظام حياتي متكامل من أجل سعادة المسلم في دنياه وإثابته في أخراه ، ولذلك ، جاء الإسلام بقيم عديدة ، وبمبادئ فريدة ، في كل شؤون الحياة ، وذلك لأن الإسلام قد أعلى القيم الإنسانية من منظور شامل متكامل ، شرعه الله تعالى للعباد من أجل المجتمع المثالي الذي يعيش فيه المسلم ، ولقد جاء الإسلام بالعديد من القيم السياسية الرئيسية التي لها شأن كبير في حياة المسلم وفي رفعته وإعلاء شأنه كمخلوق وهبه الله عز وجل العقل والتفكير لينظر هل يستغل ما منحه الله من نعمة كبرى أم لا ؟ ، وهذه القيم السياسية الرئيسية التي أعلاها الإسلام كانت كلها من أجل كرامة الفرد وقوة المجتمع ، ولذلك ، فقد جاءت هذه القيم من خلال العدالة ومن ثنايا منظورها الواسع الشامل ، لتتشكل كل القيم السياسية الرئيسية بالعدالة ، وهي كما رأيناها ، قيمة القيم أو القيمة العليا في المفهوم الإسلامي ٠

ومن هنا ، سنقف في هذا الفصل أمام العديد من القيم السياسية التي أعلى الإسلام من شأنها مثل الحرية والمساواة والإخاء والأمن والانتماء والتسامح ، بصفتها القيم الرئيسية في المفهوم الإسلامي ٠

١ - الحرية

مفهوم الحرية كقيمة سياسية :

الحرية ينظر إليها على أنها أحد العناصر الأساسية اللازمة للفرد باعتباره كائناً اجتماعيا أو عضواً في جماعة ، بل توصف بأنها جزء من حياة الإنسان بها ومن أجلها يحيا ، كما أن الحرية كما يعرفها البعض هي حق الفرد في أن يفعل ما يشاء بشرط ألا يضر الآخرين ، فالحرية في الفكر الإنساني ليست مطلقة ، بل ولا يمكن تصور قيامها مطلقة دون حدود وقيود ، وتبلورت الحرية لتقوم في جوانبها العديدة على عدة حقوق مثل حق الممارسة ، وفي مقدمتها الحرية الشخصية وحرية الملكية وحرية الرأي والعقيدة

والاجتماع ، إلى جانب سائر الحريات التي أُطلق عليها الحريات السياسية ، وهي تلك التي تخول الفرد المشاركة في إدارة شؤون الحكم عن طريق الانتخاب والتصويت والاستفتاء والترشيح ، فالحرية من وجهة نظر البعض ، هي مراكز قانونية للأفراد ، ولا يمكن ممارسة الحرية بغير تنظيم يحميها من اعتداء الآخرين ويمنع الآخرين من الاعتداء على حرية الفرد .

ويبين بعض المفكرين أن العدالة هي أقوى ضمان لحماية الحقوق والحريات ، لأن العدالة تصون وتحصن وتحافظ على الحريات وتحمي ممارستها من أي زلل أو شطط ، وهذا الرأي يتفق مع ما جاء به الإسلام من إعلاء قيمة العدالة لتكون قيمة القيم في المجتمع الإسلامي والإنساني [1] .

الحرية قيمة أساسية في الفكر الإسلامي وفي الحياة الإسلامية وفي القيم الإسلامية السياسية والاجتماعية ، ولكنها قيمة تتشكل وتتبع قيمة العدالة . فالحرية مفتوحة في الإسلام بشرط أن تكون في إطار المبادئ الإسلامية وبشرط ألا تُحدث أضراراً للآخرين وبالتالي لا تحقق ظلماً للآخرين . فالحرية هي أساس أي وجود إنساني ، وسلب الحرية هو سلب للإنسانية ، لأن الله خلق سيدنا آدم على الفطرة وفطره على الحرية ، حرية الطاعة وحرية المعصية ، ليبقى مسؤولاً عن اختياره ، فآدم قد عبد ربه مختاراً وأكل من الشجرة المحرمة مختاراً ، ولذلك فوجوده الإنساني مرهون بتلك الحرية التي منحه الله إياها ، والحرية لا تكون إلا بالعدل وإلا صارت فوضى ، فالفرد يحتاج إلى الحرية من خلال احتياجه للعدالة وللقانون الذي يفرض لتحقيق العدالة والمساواة بين الرعية ، فالقانون والعدالة تشكلان رادعاً لنفس الإنسان ونوازعه ولنفسه الأمارة بالسوء ، كما أنه في نفس الوقت يحفظ له حريته من أي عدوان أو جور من قبل الآخرين [2] .

فالإنسان في المفهوم الإسلامي ليس بمخلوق ولا عبد ولا مربوب إلا لله تعالى ، ولذلك لا يفرض على الإنسان أن يطيع أحد من بني جنسه وليس للإنسان أن ينال منصب الحاكمية المطلقة على أخيه الإنسان ، كما لا يرغم إنسان على امتثال غيره لمجرد

---

(١) راجع : د. حسني درويش عبد الحميد ، القضاء حصن الحريات ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، العدد ٥٢٩ ، ١٩٨٦ ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ١٥٥ .

(٢) راجع : د. سمير فرج ، الولاء بين علم النفس والقرآن ، القاهرة ، المتحدة للطباعة والنشر ، ١٩٨٩م ، ص ص ١٠٢ - ١٠٣ .

أنه أمره غير أمر الله تعالى ، وأن الغاية الرئيسية لنزول القرآن هي أن ينزع عن رقبة الإنسان عبودية غير الله ويمنحه الحرية التامة في الرأي والتفكير وإعلان ما في ضميره بعد أن يجعله عبداً لله المطاع الحقيقي ، وأن القرآن لهو الكتاب الذي حارب عبودية الإنسان للإنسان ، وهو لا يعترف لأي فرد بحقه في أن يحل لنفسه ما يشاء أو يجعل من نفسه حاكماً تكون أوامره ونواهيه مطاعة بصورة تكسبه مكانة الإله والمعبود بالنسبة للذين يطيعون ، فالتوحيد من نتائجه اللازمة الحرية [1].

الحرية الشخصية هبة إلهية :

كما أن الحرية في الإسلام ليست منحة من مخلوق لمخلوق ، يمن بها عليه إن شاء أو يسلبها منه متى شاء ، بل هي حقوق قررها الله له بمقتضى فطرته الإنسانية ، فهي حقوق ثابتة دائمة بحكم الطبيعة والشريعة جميعاً ، فالله تبارك وتعالى خلق الإنسان ومنحه حق الحياة وكرّمه وفضله وبناء على ذلك منحه حقوقاً وحريات ثابتة في شريعته وأعطاه العقل والإرادة ليكون مسؤولاً عن تصرفاته وأعماله ، ولذلك ، فالإرادة مناط الحرية ، وهي مقيدة بالشرع الإسلامي ، والشريعة الإسلامية إذ تقرر مسؤولية كل فرد مكلف عن أعماله وتصرفاته ولا تكون المسؤولية إلا حيث تكون الحرية ، فقرر الشرع الحرية والحقوق المختلفة كمنح إلهية لا فضل لمخلوق فيها ، ومن نتائج تلك الحرية التي فرضها الشرع : أنها تتمتع بقدر كبير وعظيم من الهيبة والاحترام والقداسة ويشكل ذلك ضماناً لعدم السطو عليها من قبل الحكام ، كما أن تكييفها على أساس أنها منح إلهية يكسبها صبغة دينية ويجعل احترامها نابعاً من داخل النفس ، ويجعل هذه الحريات غير قابلة للإلغاء أو النسخ ، كما أنها تكون خالية من الإفراط والتفريط بمعنى الإفراط في حقوق الأفراد وحرياتهم على حساب مصلحة الجماعة أو التفريط في حقوقهم وحرياتهم لمصلحة السلطة ، لأن المانح لهذه الحريات هو الله تعالى بتشريع منه لا الأفراد حتى يغالوا فيه ولا الدولة حتى تزيد في سلطاتها على حساب الأفراد .

كما تتصف الحرية في الإسلام بصفات هامة مثل الشمول بمعنى شمول نظام الحقوق والحريات لكل الحقوق والحريات سواء منها ما يسمى بالحقوق والحريات التقليدية أو

---

(١) راجع : أبو الأعلى المودودي : مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٧٧م ، ص ص ٩٢-٩٣ .

الحقوق الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية ، كما أنها تتصف بالعمومية أي أنها عامة لكل المواطنين الخاضعين للنظام الإسلامي دون تمييز بينهم في تلك الحقوق بسبب اللون أو الجنس أو اللغة أو حتى العقيدة • كما أن الحرية في الإسلام تتميز بأنها كاملة ابتداء وغير قابلة للإلغاء ، لأنها جزء من الشريعة الإسلامية ومن خصائصها الكمال لاتصافها بصفة مُشرعها وهو الله عز وجل ، كما أن من خصائصها أنها ليست مطلقة في النظام الإسلامي ، وإنما هي مقيدة بعدم الإضرار بمصالح الجماعة ، تطبيقاً لمبدأ لا ضرر ولا ضرار ، وهو يعني العدل المطلق في الإسلام وفي الحياة • فمثلا حق الملكية أقره النظام الإسلامي للأفراد ولكنه لم يجعله مطلقا بل قيده بقيود تضمن مصلحة الجماعة وكذلك كل الحريات الأخرى[1] •

والإسلام لم يكتف بتقرير صيانة النفس وحمايتها ، بل أقر حرية العبادة وحرية الفكر وحرية الاختيار لكل شيء : مثل حرية اختيار المهنة التي يمارسها لكسب عيشه وحرية الاستفادة من جميع مؤسسات الدولة ، إن الحرية في الإسلام حرية فردية وجماعية ، فالفرد حر ولكن يجب أن تكون هذه الحرية منضبطة على قيم الحق وأدب الجماعة والعُرف السائد ، فمثلاً إذا أعلن الإنسان الخروج عن عقيدة الإسلام فهو مرتد لأنه أعلن على الملأ عدم اعترافه بالله بعد أن آمن به ، فغن قال هذه حريتي ، فالرد عليه بأن الحرية مصونة مع الانضباط على القيم الأخلاقية ، وما دمت قد خرجت على نظام المجتمع ولم تحترم مشاعر من حولك فجزاؤك هذا لأن الشريعة الإسلامية التي أباحت حرية الاعتقاد وعملت على صيانة هذه الحرية وحمايتها من التيارات الملحدة والمذاهب الهدامة مثل عبادة النار والشيطان وخلافه ، فهذا خروج عن دين الله واعتداء على حرية الآخرين ، كما أن شرط دخول الإسلام أن تكون قوى العقيدة مؤمنا حقاً ولا تخرج عن الإسلام ، فهذا كان ذلك شرطاً للدخول فيصبح مُلزماً ومن هذا الشرط عدم الارتداد ، وجزاء الردة معروف •

ولقد ألزمت الشريعة الإسلامية الناس أن يحترموا حق الغير في اعتقاد ما يشاء وفي تركه يعمل طبقاً لعقيدته ، ون كان هناك ما يخالف عُرف المجتمع وتقاليده فلتكن في السر لا يعلم بها أحد ، فالحرية الشخصية في الإسلام هي حرية مطلقة بشرط عدم

(١) راجع : د• فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ٢٥٤-٢٥٨ •

الإضرار بالآخرين وعدم المساس بهم وعدم ظلمهم ، لأنها الحرية التي تنبع من العدالة وتحقق للناس الخير والسعادة والاستقرار •

الحرية أساس للحكم فى الإسلام :

فالحرية من القواعد التي جاء بها نظام الحكم في الإسلام ، ونستطيع أن نقرر أن الحريات العامة على اختلاف أنواعها للأفراد والجماعات قد أحلت محلها محلها في الشريعة الإسلامية ، فالإسلام نص على الحريات الفردية وحرية المعتقد (الحرية الدينية) وعلى الحريات السياسية والاجتماعية بمختلف أنواعها ومنها حرية الفكر والحريات المعنوية والحرية الاقتصادية وحرية التجارة والتملك والصناعة والرأي والكلمة وحرية التنقل والحركة وكلها وليدة التكريم الإلهي للإنسان والتي يحيا الإنسان بمقتضاها حياة كريمة ومن هذه الحريات :

- الحرية الدينية أو حرية المعتقد : كانت هناك ديانات سماوية موجودة ، وما زالت ، وعلى الرغم من أن دعوة الإسلام جاءت إلى الناس كافة ، فغن القرآن الكريم قد تضمن مبدأ الحرية الدينية في عدة مواضع ، منها ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة : ١٥٦) ، أي لا تكرهوا أحد على الدخول في دين الإسلام ، فالنَفي بمعني النهي ، ونزلت هذه الآية حينما استأذن الرسول بعض الصحابة في إكراه أولاد بني النضير الذين جلوا عن المدينة على الإسلام ومنعهم من الخروج مع آبائهم اليهود ، غير أن الرسول لم يأذن بذلك ، وكان ذلك قبل فتح مكة ، وتوضح الآية أيضاً أن الإيمان ، وهو أصل الدين وجوهره ، هو عبارة عن إذعان النفس ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه ، وإنما يكون بالبيان والبرهان والإقناع • ويروى في سبب نزولها عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنها نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلماً ، فقال للنبي ﷺ : ألا استكرههما ، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله الآية ، كما يروى أنه حاول إكراههما فاختصموا إلى النبي فقال الرجل : يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر إليه ، فنزلت الآية •

فالإسلام أعطى لكل فرد في ظله حق الحرية في أن يختار بين الكفر أو الإيمان ، كما أن التاريخ الإسلامي كله يخلو من فرض المسلمين لدينهم بالقوة والإكراه على الرعايا غير المسلمين أو اضطهادهم شعبا ، ولذلك جاء في عهد عمر ابن الخطاب لأهل القدس

" هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان : " فأعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم ، فلا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا يكرهون ولا يُضار أحد منهم ، ونفس هذا أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر عند فتحها [1]. ويتبع هذه الحرية أيضاً حرية المناقشات الدينية ، فينصح الله تعالى المسلمين أن يلتزموا العقل والمنطق في مناقشاتهم مع غير المسلمين من أهل الأديان الأخرى وأن يكون أساس الإقناع هو الحجة والدليل المنطقي ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥).

وكما يقول الإمام محمد عبده : "كان معهوداً عند بعض الملل ، ولا سيما النصارى ، حمل الناس على الدخول في دينهم بالإكراه ، وهذه المسألة ألصق بالسياسة منها بالدين ، لأن الإيمان ، وهو أصل الدين وجوهره ، عبارة عن إذعان النفس ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه ونما يكون بالبيان كما جاء الإسلام بذلك "[2]

- الحرية السياسية : وهناك حرية واسعة في العمل السياسي في الإسلام ، حرية سياسية شاملة تتضمن النقد السياسي والمشاركة السياسية والممارسة السياسية وحرية الكلمة وحرية الفكر وليس أدل على ذلك بالحرية الشاملة والمساجلة الرائعة للنبي الكريم وصحابته الأبرار في الحديبية ، والتي كانت مثالا للعمل السياسي الكامل ، ولم يكن موقف الحديبية الموقف الوحيد بين الرسول وأصحابه ، لأن الصحابة كانوا أحراراً مع الرسول في جميع مواقف السلم والمعاهدات ، وكانوا كذلك في جميع الشؤون الخاصة لا يجدون حرجاً في أن يبوحوا بما في صدورهم ومن أن يعلنوا مخالفتهم أو معارضتهم ، ومن المؤكد أن كل شورى إنما هي في حقيقتها حرية كاملة ، كما أخذ الرسول ﷺ في بعض الأحيان بأقوال المعارضين ، فنزل عن رأيهم ، لما رأى فيه من الصواب ، وكان ذلك في أمور هامة لحياة المسلمين مثل موقعة أحد وصلح غطفان وغيرها [3].

وفي حديث عبادة بن الصامت قول فصل في مساحة الحرية السياسية الواسعة في

---

(١) راجع : السيد أحمد المخزنجي ، العدل والتسامح الإسلامي ، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإسلامي ، سلسلة دعوة الحق ، العدد ٦٧ ، يونيو ١٩٨٧م ، ص ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) راجع : د. زكريا البري ، حقوق الإنسان في الإسلام ، القاهرة ، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٩٨١م ، ص ١٣ .

(٣) راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص ٥٣ - ٥٧ .

الإسلام حيث قال " بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخشى في الله لوم لائم "[1] ٠

والحرية السياسية متاحة لكل الناس ، والمراد بهذه الحرية أن يكون لكل إنسان ذي أهلية الحق في الاشتراك في توجيه سياسة الدولة في الداخل والخارج وفي إدارتها ومراقبة السلطة التنفيذية ، فالحرية السياسية متاحة للجميع في ظل الإسلام من خلال المشاركة السياسية والنقد السياسي والتوجيه السياسي والممارسة السياسية والمعارضة السياسية ، لأن الإسلام يبني المواطن الإيجابي الفاعل في بيئته ومجتمعه ٠

ويعلن أحد المفكرين ، أن الحرية السياسية في الإسلام تقوم على المبادئ التالية[2] :

- أنها حق لكل مواطن ، لا يحد منها حد ، إلا أن تؤدي إلى شر أو فتنة فعند ذلك تمنع أو يحد منها دفعاً لضرر الأكبر ٠
- يجب على رئيس الدولة أن يعمل جهده على تهيئة الجو في المجتمع المسلم لممارسة الحرية السياسية على الصورة التي يريدها الإسلام وفي حدود نظامه وأن يربي الناس على هذه الحرية ٠
- أن على رئيس الدولة أن يوطد نفسه على الصبر وتحمل ما قد يلاقيه من نقد من المواطنين ٠
- يجب أن يخضع الحاكم للنقد البناء الحق من أي إنسان جاءه لأن الحق أحق أن يتبع والحق فوق الجميع ٠

حرية التنقل : ويقصد به حق الشخص في التنقل داخل بلاده أو الخروج منها والعودة إليها دون ثمة قيد إلا المصلحة العامة ، ودعا الإسلام للتنقل لكافة الأغراض السياحية واكتساب الرزق ، كما قيد السفر يكون عقوبة على ما يقوم به الفرد من فساد في الأرض ليكون جزاؤه النفي من الأرض ٠

حرية التعلم والتعليم : وهي حق كل فرد في أن يأخذ نصيباً من العلم ، وحق

---

(١) متفق عليه ٠

(٢) راجع : سعدي أبو حبيب ، الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام ، جدة ، كتاب النادي الأدبي الثقافي ، رقم ٦ ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٢٥-١٢٦ ٠

الفرد في أن ينقل علمه وتجاربه للآخرين ، وكانت دعوة الإسلام للتعلم والتعليم دعوة واسعة وأساسية ، وكذلك حرية المتعلم في تعلم ما يشاء (أي بما يتناسب مع قدراته وميوله ورغباته) ، حتى أن الإسلام جعل تعلم العلوم الشرعية واجبا مفروضاً وجعل تعلم العلوم الحياتية واجباً كفائياً.

- **حرية الرأي :** تستند حرية الرأي في الإسلام إلى أساسين : **الأول** : الشورى وهو حق للأفراد وواجب على الحكام ، والثاني : تكليف كل مسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتقرير هذا الواجب يستلزم إبداء الرأي بحرية في المنكر المراد تغييره أو المعروف المأمور به ، وحرية الرأي واسعة في الإسلام ، ولكنها مقيدة بمصلحة الجماعة ولهذه المصلحة مجموعة من القيود : أن يكون قصد صاحب الرأي بذل النصح الخالص ، وأن يكون بيان المسلم لرأيه في تصرفات الحكام على أساس العلم والفقه ، فلا يجوز أن ينكر عليهم أو ينتقصهم في الأمور الاجتهادية ولا يجوز إحداث فتنة في الشريعة بحجة إبداء الرأي ، كما لابد وأن يراعي المعاني الأخلاقية في الإسلام ، فلا يجوز للفرد الخوض في الأعراض وسباب الناس وإلصاق النقائص بهم بحجة حرية الرأي ، فالحرية تقف عند الحد الذي تتحول فيه إلى أداة فساد وإضرار لقوله تعالى : ﴿لاَ يُحبُّ الله الجَهْرَ بالسُّوءِ منَ القَوْلِ إلاَّ مَن ظُلمَ ﴾(النساء :١٤٨) . وحرية الرأي من حرية الفكر ، فالعقل خاصة الإنسان وامتيازه وشرفه وهو مناط التكليف والخطاب الإلهي ، فبالعقل كان الإنسان إنساناً وكان امتيازه وتفضيله على غيره ، ولذلك كان التفكير فطرة إنسانية وعمل العقل ورسالته ، بل وطلب اله عز وجل منا أن نتفكر في كل شيء حتى خلق السماوات والأرض ، قال تعالى﴿ إنَّ في خَلْق السَّمَوَات وَالأَرْض وَاخْتلاف اللَّيْل وَالنَّهَار لآيَات لأُوْلي الأَلْبَاب * الَّذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبهمْ وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْق السَّمَوَات وَالأَرْض رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطلاً سُبْحَانَكَ فَقنَا عَذَابَ النَّار ﴾(آل عمران : ١٩٠-١٩١).

فالإسلام يطلب من المسلم وغير المسلم الاجتهاد والتفكير واستنفاذ الطاقة الفكرية واستنباط الأحكام وكل شيء في سبيل استخدام العقل بحرية تامة وكاملة ومطلقة وخصوصاً في الاجتهاد ، ولذلك كان وجود المذاهب الفقهية تطبيق كامل لحرية الفكر في الإسلام ، فكان أبو حنيفة النعمان وهو الإمام الأعظم يقول : " هذا رأي أبو حنيفة

وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بخير منه فهو أولى بالصواب " والإمام مالك يقول : " أنا أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق فاتركوه " وهذا الأمر غاية إعمال حرية الفكر والرأي حتى في المسائل الدينية [١]٠

-حرية الضمير: وهي أساسية في الإسلام، حيث لم يضع الإسلام قيوداً على الضمير الإنساني تحول بينه وبين الانطلاق والتقدم، فصلة المرء بخالقه صلة مباشرة لا تحكمها وساطة ولا طقوس كهنوتية ، وهي صلة يحكمها الضمير ويحكمها قانون الأخلاق ، وهو قانون مرن يوائم النفس البشرية ويساير التقدم في مختلف البيئات وفي شتى الأزمنة والعصور: قوامه الكرامة الإنسانية أولا واتساع النظر والتسامح ثانياً ، كما أن حرية الضمير في الإسلام تعني ألا يرى الإنسان إلا ما يؤمن به ولا يقول إلا ما يعتقد أنه الحق ، فلا مداجاة في الإسلام ولا نفاق ، وما من إنسان إلا ويحمل وزر نفسه ، ولا تذر وازرة وزر أخرى [٢]

- حق الأمن للفرد يساعد في حريته الكاملة: ويقصد بحق الأمن حماية الإنسان في نفسه وماله وعرضه وكذلك سلامته ومنع الاعتداء عليه أو التحقير من شأنه أو تعذيبه واضطهاده سواء أكان ذلك من أفراد المجتمع أو الدولة إلا بحكم قضائي أو لمصلحة عامة، فحرمت الشريعة الإسلامية الاعتداء على أي شخص أخر إلا إذا كان ظالماً ، قال تعالى : ﴿فَلاَ عُدْوَانَ إلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة : ١٩٣) ، وقول الرسول ﷺ «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » [٣] والحريات كلها مكفولة في هذا الحديث الشريف ٠

- حرية المسكن: لأن المسكن هو الذي يأوى الشخص إليه ويتقي فيه حر الصيف وبرد الشتاء ويكون له مكاناً آمناً للاستقرار والسكن ٠ وكذلك فالسكن له حرمات وحقوق ، فلا يجوز اقتحامه دون إذن من صاحبه إلا إذا وجد مبرر شرعي أو قانوني وتحت إشراف السلطة المختصة وهي العدل ، كما حرمت الشريعة الإسلامية التجسس على الأفراد في مساكنهم لأنها دار أمن وراحة واستقرار ، كما أن الفرد حر في بيته ٠

---

(١) راجع : زكريا البري ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ٤١-٤٣ ٠

(٢) راجع : د٠ حسين فوزي النجار ، الإسلام والسياسة ، مرجع سابق ، ص ١٠١ ٠

(٣) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة

- **حرية التملك :** ويقصد بها قدرة الفرد على أن يصبح مالكاً وأن تُصان ملكيته من الاعتداء عليها وأن يكون له حق استعمالها واستغلالها والتصرف فيها ، وملكية الأفراد في الإسلام ثابتة سواء أكانت عقاراً أو منقولا إذا كان اكتسابها بطريق شرعي ، كما أغلظ الإسلام من عقوبة الاعتداء على ملكية الغير مثل السارق والمتعدي لما لحرية التملك من مهمة كبيرة في الحياة الإنسانية ٠

- **حرية التجارة والصناعة :** وأساس هذه الحرية في الإسلام أن كل عمل تجاري أو صناعي أو زراعي أو نحوه يعتبر صحيحاً شرعاً ومضموناً لصاحبه محميا ومحترما في نظر الشرع مادام يحقق مصلحة مشروعة ولا يضر بالآخرين ، ولذلك حرّم الإسلام الاحتكار والغش والربا والمتاجرة الحرام والمتاجرة بالمحرمات أو زراعتها أو تصنيعها أياً كانت تلك المحرمات ، لضمان مصلحة الناس والمجتمع في هذه التجارة أو الصناعة أو الزراعة ٠

وهذه الحريات تعني حق الحياة في المجتمع الإسلامي والإنساني دون قيود تحط من مركز الإنسان أو تضعفه ، ودون الإضرار بحقوق وحريات الآخرين ، وهذه الحريات حريات أخلاقية قبل كل شيء ، فالحرية مسألة نسبية لا تتحقق كاملة لأي فرد كان ، لأن الحرية الكاملة لشخص تعني أنه يفعل كل ما يريد وقتما يريد أينما يريد أو لا يفعل شيئاً على الإطلاق ، وهذه الحرية لا توجد إلا في عدم وجود مجتمع أساساً ، ولما كانت الحرية لا تقوم إلا بين الأفراد ، فكانت هذه الحرية نشاط نسبي تحدده علاقة الفرد بالجماعة ، ولكي يحصل الفرد على نصيبه من الحرية يجب أن يحترم حقوق وحريات الآخرين[1] ٠

قواعد الحريات السياسية فى الإسلام :

ومن قواعد الحرية السياسية فى الإسلام :

- **القاعدة الأولى :** أن الحرية السياسية في دولة الإسلام ليست منحة من أحد وإنما هي جزء من هذا الدين الحنيف ، لأن الإسلام أعطى المواطن حق اختيار رئيس الدولة

---

(١) راجع : د٠ فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦٠ - ٢٨٦ وأيضاً : د٠ محمد توفيق رمزي ، علم السياسة أو مقدمة في أصول الحكم ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧ ، ط ٢ ، ص ص ١٣١ - ١٣٩ ٠

وأوجب عليه طاعة أوامر الدولة التي لا تعارض شريعة الله ، وأوجب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحظي رئيس الدولة بالشورى في أمور الدولة •

- **القاعدة الثانية :** أن الإسلام جعل المواطن رقيباً على رئيس الدولة ومن دونه من أهل الحكم والسلطة ، كما جعله محاسباً لهم على كل ما يأتون وما يذرون •

- **القاعدة الثالثة :** لا حد على الحرية السياسية في نظام الإسلام إلا ما وضعه الإسلام من قيود عامة تنظم الحقوق وتضبطها •

- **القاعدة الرابعة :** ليس على رئيس الدولة أن يهيئ المناخ الصالح لتحيا الحرية السياسية وتترعرع وتزدهر فحسب ، بل عليه أن يحض الناس على ممارستها ، وأن يكن لهم وجود بارز في مسيرة الدولة العادلة ورقابة الحكام •

- **القاعدة الخامسة :** أن على رئيس الدولة أن يصبر على ما يبدر من بعض مواطنيه حين يمارسون حريتهم السياسية لأن منهم من لا يحسن الأدب •

- **القاعدة السادسة :** أن الحرية السياسية في منهاج الإسلام ، وكذلك كل حق أو حرية ، ليست وسيلة للفوضي وتمزيق كلمة الأمة ، ولكنها وسائل للنمو والارتقاء وتحقيق الأمن والعدالة في المجتمع الإسلامي[1] •

وكذلك أعطى الإسلام للإنسان حرية الكلمة ، بحيث يقول ما يعتقد أنه حق ويدافع عنه بلسانه وقلمه ، ولقد أعطى الإسلام للإنسان أن يُبدي رأيه في شئون الحياة العامة من تصرفات الناس وهو ما يُسمى بالنقد ، بشرط أن يكون الغرض من هذا النقد تصحيح مسار الآخرين وعدم التشهير بأحد لأن رسول الله ﷺ يقول (الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ ، قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ، وكذلك يعطي الإسلام حرية للفرد ليشارك في اختيار الحاكم إما عن طريق بيعة جمهور الشعب ورضاه بمن اختاره أو أن يكون ذلك عن طريق الانتخاب ، لأن المسلم في الدولة مُطالب بأن يشارك في صنع القرار ، ولن يكون ذلك إلا إذا شارك الإنسان في اختيار الحاكم ، لأن التهرب من الإدلاء بالرأي هو موقف سلبي ، والإسلام لا يقر السلبية في حياة الناس ولا يرضى أن تكون السلبية خلقاً من أخلاق المسلمين ، كما أن الإسلام يحثنا على المشاركة بحرية في تقرير مصير أوطاننا ، فلقد أمرنا الرسول ﷺ بذلك حين قال "

---

(١) راجع : سعدي أبو حبيب ، دراسة في منهاج الإسلام السياسي ، مرجع سابق ، ص ص ٧٤٢-٧٤٤

من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يُمس ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم "[1] ، وما أروعها من دعوة إلى الحرية الشاملة الكاملة التي تنبع من مفهوم إنساني متكامل يبدأ بالعدل الذي يشكل مجموعة القيم الإنسانية والسياسية ، ثم يندرج تحته الحرية والمساواة والانتماء وغيره من القيم السياسية والإنسانية .

والإسلام دعانا للمشاركة الجادة في العمل السياسي باختيار أصدق وأحسن الممثلين لنا في المجالس النيابية التي تُمثل أهل الحل والعقد ، وذلك من أجل أن يكون المحكوم من بيننا ، ومن أجل غاية نبيلة هي ضمان لأمن المجتمع وسلامته ، ولذلك قال الحبيب المصطفى ﷺ " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنوكم ، قال أحد الصحابة : يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ ، قال الرسول : لا .. ما أقاموا فيكم الصلاة ، إلا من ولّي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة [2].

فحرية الإنسان ليس عليها من حدود أو قيود إلا ما نهت عنه الشريعة الإسلامية مما يضر بالنفس أو المال أو يفسد حال الجماعة الإسلامية ، وليست الشريعة تعاليم غيبية يجمد أمامها أو يقصر دون إدراكها الفكر ، فهي توائم بين حرية الإرادة وحرية العقل ، ومشيئة الإنسان فيها وليدة العقل والإدراك ، وفيها ما يحض على التفكير ويدعوا إليه ، وما ضرب الله الأمثال للناس لا ليدعوهم إلى التفكير وما يبين لهم الآيات إلا ليتأملوا ويتفكروا ، فمن عبارات القرآن : أفلا يعقلون ؟ - أفلا يتفكرون ؟ - أفلا يتدبرون ؟ - أفلا يبصرون ؟ - أليس منكم رجل رشيد ؟ - أفلا تتذكرون ؟ - وكلها تطلق حرية التفكير والتأمل ، فلا حرية للإنسان بدون حرية للتفكير ، فحرية التفكير قرين حرية الرأي ، وهي حرية ترمي في النهاية إلى توقير الحياة وإعلاء الكرامة الإنسانية[3] .

والإسلام أول من أخرج الناس من العبودية إلى الحرية ، فالعبودية في المفهوم الإسلامي لا تكون إلا لله عز وجل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (الفاتحة : ٥) ، والعبودية لله عز وجل

---

(١) رواه الطبراني

(٢) أخرجه الإمام مسلم .

(٣) راجع : د. حسين فوزي النجار ، مرجع سابق ، ص ص ١٠١ - ١٠٢ .

تحقق للإنسان كمال الحرية وأسمى درجات الحرية البشرية ، فهو حر إزاء كل صنوف القهر التي يتعرض لها ، وإنه لا يستشعر القهر أمام موجود غير الله ، ولا يستشعر القهر أمام الطبيعة أو البيئة أو النفس أو الأسرة أو المجتمع أو الزعيم أو المال أو الشهوة أو الحرمان أو السجن أو الموت ، إنه لا يستشعر القهر أمام شيء من ذلك ، لأنه قد استفرغ حاجته للعبودية في توجهه لله وحده ، فاستشعر الحرية كاملة في أسمى معانيها وفي أسمى درجاتها البشرية وأصفى معانيها الإنسانية ٠

ولقد أنعم الله علينا بحرية الفكر وحرية البحث العلمي والحرية المسؤولة في العقيدة ، فلقد قال سبحانه وتعالى ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ بعد أن يكون ﴿ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ﴾ ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف : ٢٩) وأنعم الله علينا بالحرية المسؤولة في العبادة ، فلقد جاء في عهد الأمان من عمر إلى أهل إيلياء (إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من أموالها ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحدهم) وأنعم الله علينا بالحرية السياسية المسؤولة أيضاً ، يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه في أول خطبة له بعد أن تولى الخلافة (أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فتابعوني وإن صدفت فقوموني ، القوى فيكم قوى حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله وإن عصيت فلا طاعة لي عليكم) وتأتي هذه الحرية السياسية في أوسع معانيها في الشورى الذي هو جزء من التكاليف الشرعية الإسلامية على المسلم وليست ترفا يمارسه الفرد أو الجماعة بل واجبا يلتزم به المجتمع ، فالحرية مفهومها واسع وهي من القيم الرئيسية في الفكر الإسلامي ٠

فالحرية السياسية مكفولة بأوسع معانيها في الإسلام ، نعم هي مكفولة كجناح من أجنحة الحكم ، وعدم القيام بالحرية هو خيانة للأمانة التي أعطانا الله إياها ، فالأمانة تقتضي أن نعلن عن رأينا بكل صدق وبكل صراحة ووضوح دون لبس أو دون تضليل ، فلقد قال الله عز وجل : ﴿ وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٨٣) ، وكذلك قال الله عز وجل يحثنا على ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٧) ٠

ولا بد أن نعلم أن الحرية السياسية في الإسلام هي أساس صلاح الحكم وقوة الدولة

ورقي الأمة ، ففيها تصان الكرامة وتزدهر القيم والفضائل وتتفتح القرائح والعبقرية وترعى الحقوق وينتشر العدل وتعم السعادة وتعمر البلاد ويسعد العباد ، فالدولة في المنهاج الإسلامي السياسي لم تولد بفضل أحد ، وإنما ولدت مع ظهور هذا الدين الخالد في مجتمع لا عهد له بالدولة ولا بأصول الحكم والسياسة ، ورئيس دولة الإسلام لم يل الرئاسة إلا بإرادة الأمة وبيعتها بغية تحقيق رسالة الدولة في حماية الدين والسهر على مصالح الأمة ، فإن قام بذلك كانت له على الأمة حقوق ، وإلا جاز للأمة أن تسترد منه الرئاسة لتعطيها لمن تريد ، وهذه قمة الحرية وقمة الاختيار[1] .

الحرية والمعارضة:

الحرية بجميع أنواعها كانت ومازالت قاعدة أصيلة من قواعد نظام الحكم في الإسلام ، سواء أكانت حرية فردية أو اجتماعية أو سياسية أو دينية ، ومادامت هذه القاعدة أصلاً من أصول الإسلام فن المعارضة نتيجة طبيعية لها .

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تطبيقاً لقول الحق ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(آل عمران: ١١٠) ، تعني أن الحاكم مُراقب مَن كل فرد من أفراد الأمة يُحاسبه على الزَلة والهفوة وينبهه إلى الخطأ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على المسلمين ولكنه فرض كفايه إذا فعله البعض سقط عن الباقي .

كما أن المعارضة في السيرة حافلة ، فلقد روي عن سلمان بن ربيعه قال : قال عمر : قسم النبي قسماً فقلت : يا رسول الله والله لغير هؤلاء أحق به منهم ، فقال : إنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش وبين أن يُبخلوني ولست بباخل)[2] ، ويدل على المعارضة وموافقة لرأي عمر.

ومن المعارضة الشديدة ما ظهر بعد صُلح الحديبية ، فهو موقف معارضة واضح في أمر سياسي مُهم ، لأنه من خلاله تعلقت الحرب بين الرسول ﷺ وبين قريش عشر سنين . كما ظهرت المعارضة عقب وفاة النبي ﷺ في اجتماع السقيفة في بني ساعده بين الأنصار والمهاجرين .

---

(١) راجع : سعدي أبو حبيب ، دراسة في منهاج الإسلام السياسي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م، ص ص ٧١١-٧١٢ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه

وهناك مواقف عديدة للمعارضة منها معارضة عمر لأبي بكر ، ومعارضة المرأة لعمر في تحديد المهور ومعارضة طلحة والزبير لعمر وغيرها من المواقف الإسلامية التي تُثبت أن الحرية والمعارضة ركن أساسي من أركان النظام السياسي في الإسلام[1] .

والإسلام أعطى المسلم حرية واسعة ، فهي مبدأ من مبادئ الإسلام وقيمه من قيمه العظيمة ، وعندما نقرأ قول الحق : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٠) ، نتعرف على أن الكرامةَ هي الحرية ، فما يوجد أعظم من الحرية كرامة ومن الحرية تفضيلاً ، ذلك أن الحرية روح الحياة وجوهرها وأن حياة بلا حرية تصبح تافهة الشكل والمظهر ورثة بلا مضمون ، كما أن الإسلام لا يكلف الإنسان بأحكامه إلا لمن لديه حرية الإرادة وحرية الاختيار ، لقوله عز وجل : ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾(آل عمران : ١٥٢) ، فالحرية وفق المنهج الإسلامي ليست مطلقة ولا سائبة ، لأن الإنسان يحتل في النظام الإسلامي مكانة رفيعة ، فحرية الإنسان في الإسلام مقيدة بنوعين من القيود : الأول : لضبط سلوكه حتى لا تنحط ذاته إلى الدونية التي لا تليق به ، فيفقد كرامته ويفقد تفضيله على الكثير مما خلق الله ، والثاني : لضبط علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في المجتمع الواحد ، ولضبط علاقة الإنسان بالمجتمع والمجتمع بالإنسان والمجتمعات البشرية بعضها ببعض ، إذ بغير هذا الضبط تضيع الحقوق وتعمّ الفوضى وينتشر الظلم[2] .

ولعل من أهم الحريات التي تُظهر ارتباط الحرية بالعدالة في الفكر والفقه الإسلامي هي حرية القاضي واستقلاله ، وهي من الحريات التي نالتها السلطة القضائية أخيراً من خلال استقلال السلطات ، فالقاضي له كامل الحرية في قضائه في الحياة الإسلامية ، وأن يقضي بما يؤدي إليه اجتهاده ولو كان على خلاف مذهبه ، وليس حتى لقاضي سلطان على قاضي آخر ، لأن القاضي مهمته الأساسية هي نشر العدل ورفع الظلم ، فلابد من حرية كاملة تامة له ، وهذا نموذج آخر من الحريات التي كفلها الإسلام [3]

---

(١) راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي مرجع سابق ، ص ص ١٠١ ـ ١٠٦

(٢) راجع : سعدي أبو حبيب ، دراسة في منهاج الإسلام السياسي ، مرجع سابق ، ص ص ٦٨٣-٦٨٧

(٣) راجع : د. فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

ولقد قال الشاعر العربي أبو تمام في الحرية[1] :

سأصرف وجهي من بلاد غدا بها   لساني معقوداً وقلبي مقفلا

وإن صريح الحزم والرأي لأمرى   إذا بلغته الشمس أن يتحولا

أسمى الحريات السياسية :

وهناك في الإسلام حرية كاملة للاعتقاد ، فلقد نادى الإسلام بحرية الاعتقاد في وقت كانت البشرية ترزخ تحت عبودية التقليد في العقيدة والإيمان ، وكانت الأمم لا تتصور أن حرية الاعتقاد موجودة ، قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾(الكهف: ٢٩) ، وقال سبحانه ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾(البقرة: ٢٥٦) ، وقال عز وجل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(يونس : ٩٩)

القرآن الكريم يؤصل مبادئ الحرية :

أعطي القرآن الحرية الكاملة للمسلم بشرط ألا يؤذي الإنسان الآخر وإلا وجبت العدالة . . فالحرية تتشكل وتنبثق من العدالة . قال تعالي ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى ﴾(البقرة: ١٧٨)

وقال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ﴾(النساء: ١٩) . وقال عز وجل ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ (البقرة: ٢٣٢) . وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾ (لقمان: ١٨) . وقال الله تعالي ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ﴾(الإسراء: ٣٧) وقال سبحانه ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾(التوبة : ٩١). ، وقال تعالي ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾(الفتح : ١٠). وقال سبحانه ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾(الرحمن: ٦٠) . وقال عز وجل ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

(١) راجع : السيد أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، بيروت ، منشورات المعارف ، بدون تاريخ ، ص ٤٥٥ .

(النمل: ٢٥). وقال الله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (الروم: ٤٥)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ (الحجر: ٢٤).

مواقف من الحرية في عهد الرسول والصحابة:

منح محمد ﷺ البشر لأتباعه المتضامنين معه والمستميتين له حرية في التفكير والرأي لم يمنح مثلها أي رجل عظيم متفان في حب المساواة والديمقراطية، منحها لمن كان تحت إمرته من بني جنسه، وإذا تأملنا فيما كان لرسول الله في قلوب أتباعه من حب عميق ومكانة سامية وإجلال غير محدود، لرأينا في الجانب الآخر كيف كان يميز دائماً بين مكانته الشخصية ومكانته النبوية في معاملاته لهم وتصرفاته معهم، وكيف كان يخولهم الحرية التامة في الرأي والتفكير ويحفزهم على الاختلاف معه في آرائه الصادرة عن مكانته الشخصية مع جعله إياه يطيعونه طاعة غير محدودة على كل جوانبه النبوية، وهو عندما يعمل شيئاً من الناحية الشخصية يطلب منهم التفكير الحر والاستقلال العقلي وينفخ هذه الروح في نفوس أتباعه فيروضهم على أقوم وأسمى المبادئ الديمقراطية، ويعلمهم أبعاد مزاولة الحرية الفكرية تجاه كل إنسان حتى تجاه الرسول شخصياً، فتراه يقول لأصحابه: إنما أنا بشر مثلكم إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر[1]. وبالإضافة إلى ما سبق الاستشهاد به، فنقف أمام بعض نماذج ممارسة الحرية في عهد النبي وصحابته:

- وثيقة المدينة المنورة التي كتبها الرسول ﷺ عقب هجرته للمدينة وتأسيس الدولة الإسلامية بها، والتي أعطت للمسلمين من المهاجرين والأنصار واليهود القاطنين بالمدينة الحقوق والواجبات ومن أهمها حرية الاعتقاد لليهود كما جاء في البند ٢٥ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، كما نصت المادة ٤٧ من هذه الوثيقة على مبدأ الحرية الشخصية (إن من خرج فهو آمن ومن قعد آمن بالمدينة) لأن الحرية الشخصية في جوهرها هي حق الأمن أي حق الفرد في أن يمون آمناً من الاعتداء عليه في نفس أو عرض أو مال أو مأوى وله الحرية في أن يروح ويغدو[2].

(١) راجع: أبو الأعلى المودودي، مفاهيم إسلامية، مرجع سابق، ص ص ٩٧-٩٨.

(٢) د. محمد سليم العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، القاهرة، المكتب المصري الحديث، ١٩٨٠، ص ٤٥، وأيضاً: راجع: د. فؤاد عبد المنعم،، أصول نظام الحكم في الإسلام، مرجع سابق، ص ص ٩٧-٩٨.

- قصة ريحانة مع رسول الله : روى الطبري ، كان لرسول الله جارية من بني قريظة اسمها ريحانة ، اصطفاها لنفسه من نسائهم ، فكانت عند الرسول حتى توفي عنها وهي في ملكه ، وكان الرسول قد عرض عليها أن يتزوجها فقالت : يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك ، وكانت حين سباها قد امتنعت عن الإسلام وأبت إلا اليهودية ، فلم يكرهها حتى أسلمت من تلقاء نفسها .

-وفي معاملاته ﷺ كان ينفخ روح المساواة والحرية الفكرية حتى في العبيد والإماء ، فلقد روي أنه كانت في المدينة جارية تدعى بربرة ، لما اعتقها أهلها فارقت زوجها وكانت لا تحبه ، وكان زوجها مولعاً بها ، فشفق عليه فراقها ، وجعل يتبعها في كل مكان يبكي وليتشفع إليها الناس ، فقال لها رسول الله : لو رجعت إليه ، فقالت : أتأمرني يا رسول الله ؟ ، قال لها : لا آمرك ولكن أشفعه إليك ، فقالت : فإذن لا أريد الرجوع إليه .

- النصارى يصلون صلاتهم فى مسجد الرسول : روى ابن هشام أنه لما قدم رؤساء نجران على الرسول ، دخلوا عليه المسجد حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات (من برود اليمن) فلما حانت صلاتهم قاموا في مسجد رسول الله يصلون ، فقال رسول الله : دعوهم ، فصلوا إلى المشرق .

- لا يفتن أحد عن دينه : نلاحظ أنه تكاد تجد في جميع الكتب التي وجهها الرسول إلى القبائل التي أسلمت أو التي عاهدها عبارة واحدة تتردد فيها جميعاً وهي من كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُفتن عنها وعليه الجزية)[1] ومعنى لا يفتن أي أنه لا يُحمل بالإكراه على الخروج من دينه ، وهذا قمة الحرية السـياسية في عهد النبي ﷺ .

- فإذا بلغنا عهد الخلفاء الراشدين خاصة وجدنا الحريات العامة بأوسع معانيها بين جميع الطبقات ، وبين الصحابة خاصة وفي جميع الشؤون ، ومن ذلك أن أبو بكر سوى بين الناس في العطاء يوم تولى الخلافة ، فآتاه عمر يقول له : أتسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى القبلتين ومن أسلم عام الفتح (أي فتح مكة) أهو خوف السيف؟ ، فقال له أبو بكر : إنما عملوا لله وأجورهم على الله وإنما الدنيا دار بلاغ ،

(١) رواه الطبري

فقال عمر : لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه ، فلما تولى عمر الخلافة وضع الديوان فضل السابقة •

– وكان أبو بكر إذا قال شيئاً برأيه يقول : هذا رأيي فإن يكن صواباً فمن الله ون يكن خطأ فمني واستغفر الله ، ويقول عمر بن الخطاب : لا تجعلوا أخطاء الرأي سنة للأمة ، ويقول الإمام مالك : إنما أنا بشر أخطئ وأُصيب ، فانظروا ما في رأيي فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكلما لا يوافق الكتاب والسنة فاتركوه [1]•

– ويوم أحس أبو بكر بقرب خاتمته استشار الناس فيمن يخلفه ، ثم قرر أن يعهد إلى عمر بن الخطاب ، ولم يرق ذلك لطلحة والزبير لأنهما كان يريان أن في عمر التسلط على الناس ولا سلطان له ، فكيف إذا هو ولّى الخلافة؟ ، فاستأذنا على أبي بكر فأذن لهما ، فقالا له : ماذا تقول لربك وقد استخلفت علينا عمر؟ ، فقال : أقول استخلفت عليهم خير أهلك •

وهذه الجرأة تدخل في باب المعارضة السياسية ، والتي تغلب فيها حكم الأكثرية على رأي الأقلية •

– وكان لعمر عبد نصراني اسمه أسق ، حدّث فقال : كنت عبداً نصرانياً لعمر ، فقال : أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين ، لأنه لا ينبغي أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم (فأبيت ، فقال : لا إكراه في الدين ، فلما حضرته الوفاة احتضنني وقال : اذهب حيث شئت • وهذه حرية اعتقاد كاملة •

– كما روى عبد الله بن مصعب قال : قال عمر بن الخطاب وهو على المنبر : لا تزيدوا في مهور النساء عن أربعين أوقية ، وإن كانت بنت ذي القصة (يعني يزيد بن الحصين وكان من الأغنياء) فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال • فقالت امرأة من صف النساء : ما ذاك لك ! ، فقال عمر : ولم ؟ ، قالت : لأن الله تعالى قال : ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ (النساء : ١٩) فقال عَمر : امرأة أصابت وأخطأ عَمر ! ، وهذا دليل على حَرية الرَأي والحرية السياسية الكاملة .

---

(١) راجع : أبو الأعلى المودودي : مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٧٧م، ص ١٠٣ •

- وقصة عمران بن سوده مع عمر بن الخطاب وقوله له : عابت أمتك منك أربعاً ، فلما سردها دافع عنها ، ثم تقبل رأي عمران ، وكان يقول له في كل مرة : قد أصبت ، ورجع عنها ، وهو القائل لعمرو بن العاص : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

- ولما وقعت الواقعة بين علي وطلحة والزبير وعائشة جرت مناقشة عامة حرة في مسجد البصرة بين الحسن بن علي وعمار بن ياسر ومسرون ابن الأجدع وأبي موسى الأشعري ، ثم اشترك فيها من كان حاضراً في المسجد وهي من اصح الأمثال على تطبيق مبدأ الحرية .

والأمثلة على الحرية وتطبيقها في العهود الإسلامية المختلفة عديدة وكثيرة[1] .

آراء في الحرية في المفهوم الإسلامي لدى بعض الفقهاء :

- ذهب الشيخ محمد أبو زهرة[2] إلى أن الحرية الفردية في الإسلام لا تتصور إلا مقيدة ، وإن الحر حقاً هو الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية الذي يضبط نفسه ويتجه بها إلى معالى الأمور ، فهو لا يعتدي ويعطي لغيره ما يعطيه لنفسه ولأولاده ولأهله ٠

- الشيخ نديم الجسر يقول : إن جميع النصوص الشرعية الواردة بشأن الحرية الفردية في الإسلام في باب المعاملات والعقوبات والأخلاق الاجتماعية واستقصاها وجمعها على صعيد واحد وقارن بينها وجدها تتلاقى على المفهوم الآتي (لقد ولد الناس كل الناس أحراراً ، وحريتهم في الحياة مطلقة في كل شيء وتبقى مطلقة حتى تصطدم بالحق والخير (العدالة) سواء كان خير الفرد أو خير العائلة أو خير المجتمع ، فإن الحرية الفردية تقف وتنكمش وتتقيد عند حدود العدالة)[3] ٠

ونكتفي بهذه الأمثلة لمفهوم ومبدأ الحرية ، باعتبارها قيمة رئيسية وأساسية في العقيدة الإسلامية وفي الفكر والتطبيق والعمل الإسلامي على مر الأزمنة والعصور ، ولا شك أن تشكيل قيمة الحرية من خلال القيمة العليا في المجتمع وهي العدالة ، أعطى

(١) راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ ، مرجع سابق ، ص ص ٥٧ ٦٢ ٠

(٢) راجع : محمد أبو زهرة ، التكافل الاجتماعي في الإسلام ، القاهرة ، الدار القومية ، ١٩٦٤م ، ص ص ٢٠-٢١ ٠

(٣) راجع : د٠ فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٥١

للحرية في المنظور الإسلامي نكهة وشكل خاص يتميز بأنه الحرية المسؤولة الكاملة الملتزمة والمنتجة ، وليست هي الفوضى والعشوائية بل والأنانية المفرطة التي نراها في كثير من الحريات المزعومة في عالم اليوم ٠

٢ ـ الانتماء إلى الأمة الإسلامية الواحدة

الأمة الإسلامية أمة موجودة بالفعل منذ يوم إعلان الإسلام ونزول الوحي علي سيدنا محمد ﷺ ، وهي خير أمة وهي أمة الحق والجهاد والعدل ، ولذلك كانت الدعوة ألي الانتماء ألي هذه الأمة الإسلامية ...

فإذا كان لا حكم إلا لله هو المبدأ الأول في الحياة وفي الشريعة الإسلامية ، لأن كلمة لا إله إلا الله جماع كل حق وفكر وخير وفضيلة وسعادة ونعيم ، فإن المبدأ الإسلامي الثاني هو الوحدة الإسلامية ، فالوحدة الإسلامية يتطلبها الإسلام ، وهى أكبر وأشمل من وحدة العرب ، فوحدة المسلمين في أمة واحدة متحدة مهما اختلفت بينهم اللغات والألوان وتناءت الديار والأوطان ، فإن هذه الوحدة مبنية على أخوة قائمة على أقدس رباط وأكرمه وأمتنه ، لأنها قائمة على الإيمان بالله تعالى الذي خلق البشر وجعل من آياته اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وهو جل جلاله لم يختر لهؤلاء المختلفين إلا رباطاً واحداً يجمعهم ، ولا رباط سواه ، إنه رباط الإسلام ، فإن آمنوا به فقد اهتدوا إلى أخوة أقوى من أخوة النسب لقيامها على العقيدة ٠ وبالطبع لا تعارض بين وحدة بلاد المسلمين والانتماء إلى أمة الإسلام ، ووحدة بعض القطار مثل العرب مثلاً ، فالإسلام هو العامل الذي تقوم عليه وحدة الأمة الإسلامية والعربية ، ولا يقدر سوى الإسلام على جمع رابطة المسلمين ، ولذلك فالانتماء لأمة الإسلام من أهم القيم التي يجب الحفاظ عليها في عالمنا الإسلامي [١] ٠

---

(١) راجع : سعدي أبو حبيب ، دراسة في منهاج الإسلام السياسي ، مرجع سابق ، ص ص ٤٤٩ـ٤٥٠ ، وص ٤٩٥ ، ص ٥١٢ ٠

ويقوم مفهوم الأمة في الإسلام على أساس عقيدي فكري " أيدلوجي " لا على أساس عرقي " أثنولوجي " ، كما يقوم مفهوم الدولة على نفس الأساس ، لا على أساس جغرافي أو تاريخي " جيوبولتيكي " كما سنرى في الآيات القرآنية ، ومن هنا قامت أمة الإسلام ودولته على أساس إنساني عالمي ، ويرفض الإسلام لأمته ودولته أن تنغلقا على عصبية ضيقة ، ففي الحديث " ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية " وهو يفتح السبيل لاستعراب أي مسلم ، فمن تعلم القرآن فهو عربي ، فإنما العربية لسان وليست عرقاً ودماً ، ومن تعلم القرآن فقد درب على اللسان العربي المتين كما تعلن الآيات ١٩٥ الشعراء و ١٠٣ النحل و٣٧ الرعد و٢٨ الزمر و٧ الشورى و ١٢ الأحقاف و٢ يوسف والآيتان ٢ ، ٢٤ من سورة فصلت والآية ٣ من سورة الزخرف .

والإسلام دين عالمي الطبيعة والمعنى ، ولذلك فإن رسالة الإسلام وجهت للناس كافة ، ولابد من نشر رسالة الإسلام في العالم بكل الوسائل الممكنة ، قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾(الفرقان : ١) ، وقال سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء : ١٠٧) ، وكذلك ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾(النحل : ١٢٥) ، ولذلك تنشر الدولة الإسلامية هداية دينها بسلوكها العملي المستقيم في سياستها الداخلية وفي المجال الدولي وذلك بحفظ العهد ومناصرة الحق ومقاومة العدوان والتعاون مع الجميع على الخير والنفع .

ونقف أمام نص قرآني عظيم يجسد الانتماء إلى أمة واحدة هي أمة الإسلام ، فيقول الله تعالى مخاطبا رسوله الكريم ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(الأنفال : ٦٢-٦٣) ، فالألفة بين أبناء الأمة لا يمكن أن تتم إلا بهذه العروة الوثقى التي لا انفصام لها .

فالإسلام دين الوحدة بين القوى الكونية جميعاً ، فلا جرم أن يكون الاتحاد تحت راية التوحيد ، فتوحيد الإله وتوحيد الأديان جميعاً في دين الله وهو الإسلام ، ولذا تصبح قيمة الانتماء لدين الله الإسلام من أهم القيم للمسلمين .

وسنري بعضا من الأدلة والنصوص بخصوص هذا الانتماء لأمتنا الإسلامية .

١- القرآن الكريم والأمة الإسلامية :

قال تعالى : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾(البقرة : ١٢٨) . وقال سبحانه : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾(البقرة : ١٣٤) البقرة: ١٤١)، والله تعالى يقول : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاء﴾ (البقرة : ١٤٣) وقال عز وجل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (آل عمران: ١٠٤) وقال عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) وقال المولى جل جلاله : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ (آل عمران : ١١٣) قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المائدة : ٤٨) وقال الله تعالى : ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٦) وقال عز وجل ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (هود: ١١٨) وقال تعالى : ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾(الرعد : ٣٠) وقال سبحانه : ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ ﴾(النحل: ٩٢) وقال الله عز وجل : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ﴾ (النحل: ٩٣) . وقال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾(الأنبياء: ٩٢، ٩٨) وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (الشورى: ٨) وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢) ، فالله عز وجل يجعل في الآية الأخيرة وما قبلها أن أتباع الدين الحق، مهما اختلفت لغاتهم وألوانهم وتناءت ديارهم ، أمة واحدة يلفهم الدين بأخوة سامية وقلب واحد . ولذلك يؤكد الله على وحدة المسلمين فقال سبحانه : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٦) .

وأنه إذا نظرنا إلى التطبيق العملي لرسول الله ﷺ في أول وثيقة بعد ظهور الدولة الإسلامية الأولى وهي وثيقة المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية الشريفة إلى يثرب، نجد أن المادة الثانية بعد المقدمة (المادة الأولى) تعلن أن المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب أمة واحدة من دون الناس، وهي بذلك حددت الانتماء للأمة الإسلامية كقيمة رئيسية وكأساس للمواطنة في الدولة الإسلامية الجديدة ، بل ولقد أحلت هذه الوثيقة

الرابطة الدينية الإسلامية محل الرابطة القبلية فعبرت عن المسلمين بأنهم أمة من دون الناس ، وذلك مما يُعلى من شأن الانتماء للدين الإسلامي دون النظر إلى أصول المسلمين القبلية أو النسبية[1] .

كما أن الشرع الإسلامي يعطي للمسلمين شخصية حقوقية واحدة ، فلقد قال المصطفى عليه الصلاة والسلام " ذمة المسلمين واحدة . . "[2] ، وقال ﷺ " يجير على المسلمين أحدهم "[3] .

ولقد أمرنا رسول الله بالالتزام بالجماعة فن في ذلك خير كثير ، فقال عليه الصلاة والسلام " أمركم بخمس الله أمرني بهن : السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة ، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع "[4] ، وقال " من أراد منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليزم الجماعة "[5] ، وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض "[6] ، ولذلك يعلن ابن تيمية أنه كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة .

القيمة العليا للمسلمين : الدين الإسلامي الحنيف

إذا كنا في مجال البحث عن القيم في حياة المسلمين ، فأننا نجد أن الإسلام ذاته اعظم القيم في حياه المسلمين ، فهو القيمة الإسلامية الكبرى والنعمة الكبيرة التي أنعم الله بها على عباده المسلمين ، فالحمد لله علي نعمه الإسلام وكفي بها نعمه .

فإذا كان الله عز وجل هو رب العباد وهو الواحد الأحد الفرد الصمد ، فهو المثل الأعلى للمسلمين :

قال تعالى : ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلله الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ (النحل: ٦٠)، ولذلك كان الإسلام ذاته هو القيمة العليا للمسلمين لأن الإسلام هو الدين القيم . قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً﴾ (الأنعام: ١٦١) . وقال سبحانه : ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة : ٥). وقال عز وجل ﴿ رَسُولٌ مِّنَ الله يَتْلُو صُحُفاً

(١) راجع : د. فؤاد عبد المنعم ، ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص٩٢ ، ص ٩٥ .
(٢) رواه البخاري والترمذي .
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده .
(٤) رواه الترمذي وأبو داود.
(٥) رواه الإمام أحمد.
(٦) رواه البخاري وأحمد والترمذي.

مُّطَهَّرَةً فيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾(البينة :٣). وقال سبحانه ﴿ ذَلكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلاَ تَظْلمُوا فيهنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (التوبة: ٣٦) . وقال عز وجل : ﴿ أمَرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ ذَلكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾ (يوسف:٤٠) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ذَلكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكنَّ أكْثَرَ النَّاس لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(الروم: ٣٠) . وقال تعالى : ﴿فَأَقمْ وَجْهَكَ للدِّين القَيِّم من قَبْل أن يَأتيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ منَ الله ﴾(الروم: ٤٣). وقال عز وجل : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عوَجاً قيما لينذربأسا شديدا من لدنه ﴾ (الكهف:٢) .

ولذلك نجد أن سيادة القانون المكتوب ألا وهو القرآن الكريم مبدأ تقوم عليه الدولة الإسلامية ، لأن القرآن قانون ملزم للجميع ، وعلى حكومة الدولة الإسلامية أن تطيع أحكام الكتاب والسنة بين الناس ، وتوضحها بكل السبل ، وأن توجه الأسرة والمدرسة والإعلام إلى تربية النفوس والعقول والسلوك وفق دعوة الإسلام وهداية الدين ، وأن تشيع في المجتمع التعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ وَأُوحيَ إلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لأُنذرَكُم به وَمَن بَلَغَ ﴾ (الأنعام:٩)، وقال سبحانه : ﴿ومِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالْحَقِّ وَبه يَعْدلُونَ ﴾ (الأعراف:٨١) .

الشورى

القيمة الديمقراطية الإسلامية

مبدأ الشورى . . وقيمة الشورى مشتقة من مبدأ الإجماع الذي يعتبر أصلا من أصول الأحكام الشرعية في الإسلام وقاعدة من قواعد الحكم في الإسلام وعليه تقوم الديمقراطية . .

ولذلك تصبح الشورى من المفاهيم الأساسية في الفكر السياسي في الإسلام ، ويرى جمع من المفكرين أن الشورى ينبغي أن تكون الأسلوب المميز للحكم في الإسلام[1] .

مفهوم الشورى :

والشورى تطلق في اللغة على عدة معاني منها : استخراج الرأي ، يقال : شاورت فلاناً أي أظهرت ما عنده وما عندي ، فالتشاور والمشاورة والمشورة هي استخراج الرأي

(١) د. محمد على أبو ريان ، الإسلام السياسي في الميزان ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم : شرت العسل إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه ، فالشورى ببساطة استطلاع رأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى : ٣٨) . وهذه الآية مكية وقبل أن تقوم للمسلمين دولة ، وهذا يدل على أن الشورى من عناصر الشخصية الإيمانية الحقة ، وقال عز وجل : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(آل عمران : ٥٩) ، وقد نزلت الآية عقب غزوة أحد التي أصاب المسلمون فيها ما أصابوا نتيجة الشورى التي نزل الرسول ﷺ عن رأيه نتيجة المشاورة ومع ذلك أمره الله بعد هذه الأحداث بأن يستغفر لأصحابه وبأن يشاورهم في كل ما يحتاج إلى مشورة ، ويتضح من هذه الآيات أن الشورى قلب النظام السياسي الإسلامي .

ولقد نزلت آيتي الشورى ولم يكن في الناس يومئذ أحد من الموافقين أو المخالفين يطالب بالشورى أو يتحدث عنها أو يشكون فقدانها ، وإنما جاء التنزيل العزيز بهذا الأمر لأن المجتمع الذي يراد له الاستقرار والاستمرار ينبغي أن يقوم على الشورى ، فالشورى في الإسلام كانت نتيجة حكم إلهي ، وكانت تهدف إلى إنشاء المجتمع الصالح المستقر وبنائه وإرساء قواعده الثابتة التي لا تتزعزع .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن خطابه تعالى لرسوله بقوله (وشاورهم في الأمر) لم يكن من قبيل حاجة الرسول إلى المشاورة ، فهو غني عنها بما رُزق من اختياره للرسالة ، وإنما كان من قبيل تعليم الناس وإرشادهم إلى أمثل الطرق التي يجب أن يتبعوها في شؤون الدنيا وليكون الرسول أسوة لهم في كل ما يأتون وما يدعون .

فالشورى علم على دولة الإسلام وأمة الإسلام ، ولهذا فهي تسمي دولة أو أمة الشورى ، والشورى ظاهرة فكرية فريدة ربى عليها الإسلام من آمن به ، وهي قيمة خالدة في حياة وفكر الأمة الإسلامية ، فنصوص الشورى حسب النزول لها سر إلهي ، فهي تلفت النظر إلى حقيقة من حقائق الأمة التي يصفها الإسلام بأنها أمة الشورى ، وهي عرض لمل يجب أن تسلكه الأسرة من تشاور ، وهي خطاب لرئيس الدولة حتى

لا يكون موقعه في ذروة السلطة حاجبا لها عن الأمة التي رفعته المكانة العليا والكبيرة وحتى لا يغفل عن حقيقة حرص عليها الإسلام[١].

ونلاحظ أن هناك شورى وقفت على طلب النبي الكريم (أي أن الرسول هو الذي سأل الناس أن يشيروا عليه) وفي ذلك في أحد أن رسول الله ﷺ لما سمع بنزول المشركين من قريش وأتباعها ، قال لأصحابه : أشيروا عليّ ماذا أصنع ؟ فقالوا : يا رسول الله أخرج بنا إلى هذه الأكلب ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ما غَلَبَنَا عدونا قط أتانا في ديارنا ، فكيف وأنت فينا ؟ فدعا رسول الله ﷺ عبد الله بن أبى سلول ولم يدعه قط قبلها ، فقال : يا رسول الله أخرج بنا إلى هذه الأكلب ، واستشار الرسول رأس المنافقين ولم يهمل استشارته ، ثم بعد ذلك دعا رسول الله بدرعه فلبسها ، فلما رآه قد لبس سلاحه ندموا وقالوا : بئس ما صنعنا نُشير على رسول الله والوحي يأتيه ، فقاموا واعتـذروا إليه فقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال الرسول : لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته (أي الدرع) فيضعها حتى يقاتل)[٢].

وهناك شورى جاءته من بعض الصحابة ابتداء من غير طلب مثل شورى حرب بدر ، وشورى شاورها الرسول قبل التنفيذ وهي شورى ثلث ثمار المدينة إلى غطفان ، فكان الرسول في هذا الموقف وهو رسول الله ورئيس الدولة والزعيم السياسي والقائد العسكري يعزم أمراً تراءى له فيه مصلحة المسلمين ، حتى إذا اقترب من الإبرام استشار أهل الحقوق فاستمع إلى حججهم ، فلما ساغ منطقها ورأى قوتها عدل عن رأيه ولم يبرم ما عزم عليه[٣] .

نطاق الشورى :

فهل تجب الشورى في كل شؤون الحياة الإسلامية ، أم أنها تجب في بعض الأمور دون البعض الآخر ، بمعنى أي الموضوعات تكون محلاً للشورى في الدولة الإسلامية ، من أجل التطبيق العملي الصحيح لها ، وهناك رأيان في ذلك :

الرأي الأول : تقع الشورى في جميع الأمور التي لا وحي فيها ، فقال ابن تيميه "

---

(١) راجع : سعدي أبو حبيب ، دراسة في منهاج الإسلام السياسي ، مرجع سابق ، ص ص ٥٨٩-٥٩٣

(٢) رواه الطبري .

(٣) راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي مرجع سابق ، ص ص ٦٣-٦٩ .

الشورى فيما لم ينزل فيه وحي من أمور الحرب والأمور الجزئية وغير ذلك من الأمور الاجتهادية "

الرأي الثاني : لا تكون الشورى إلا في أمور الحرب ، ونادي بهذا الرأي الشافعي وقتادة والربيع وابن إسحاق ٠

ومن يستقرئ أحوال الشورى التي جرت في عهد النبي ﷺ وكذلك في عهد الصحابة يتضح له خطأ من قال بأن الشورى محصورة في أمور معينة محددة ، فلقد تمت الشورى في جمع القرآن والاستخلاف وفي الحرب والسلم وفي أمور الأحكام وأمور المصلحة وأمور المُلك وفي أحكام العقوبة وفي استحقاق الدية وغير ذلك [١]٠

نماذج من تطبيق الشورى فى حياة المسلمين:

١ ـ الرسول ﷺ القائد المسلم فى تطبيق الشورى :

وضع رسول الله ﷺ الأساس لنظام الشورى في زمانه ، فكلما نزل به أمر لم يتلق في بابه حكماً من عند الله يشاور فيه في الجماعة من أهل الرأي ، حتى أن أبي هريرة رضي الله عنه قال " ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من النبي عليه الصلاة والسلام " رواه الترمذي وقال حديث حسن ، ومن نماذج تطبيق الشورى في حياة النبي ﷺ :

- استشار النبي ﷺ أصحابه حين أراد أن يختار طريقاً لجمعهم على مواقيت الصلاة ، ونتيجة لهذه الشورى قرر في النهاية أن يتم الآذان للإعلان عن مواقيت الصلاة[٢] .

- حديث عمر رضي الله عنه في قصة بدر وفيه : واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر ، وعلياً ، وعمر - رضي الله عنهم : فقال أبو بكر : يا رسول الله ؟ هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان وإني أري أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذناه قوة علي الكفار ، وعسي أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ: "ما تري يا ابن الخطاب ؟ "، قال قلت : والله ما أري ما رأي أبو بكر ، ولكن أري أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء

---

(١) راجع : د٠ فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢١١

(٢) راجع : أبو الأعلى المودودي : مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ، مرجع سابق ، ص ١٩٠ ٠

صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلي النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان فقلت : يا رسول الله ؟ أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله ﷺ : " للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض علي عذابكم أدني من هذه الشجرة شجرة قريبة " . وأنزل الله تعالي : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾ (الأنفال : ٦٧) [1] .

- وعن أنس رضي الله عنه قال : استشار رسول الله ﷺ الناس في الأساري يوم بدر فقال : " إن الله قد أمكنكم منهم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله؟ أضرب أعناقهم . قال :" فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم عاد عليه السلام . فقال : " يا أيها الناس ؟ إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس " . فقال عمر مثل ذلك فأعرض عنه عليه السلام . ثم عاد عليه السلام فقال مثل ذلك . فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ؟ نري أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال : فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان من الغم ثم عفا عنهم وقبل منهم الفداء ، وأنزل الله : ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ (الأنفال : ٦٨) [2] .

- وعن أبن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : "ما تقولون في هؤلاء الأسري ؟ " قال فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ! قومك وأهلك واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وقال عمر : يا رسول الله ، أخرجوك وكذبوك قرّبهم فاضرب أعناقهم . قال وقال عبد الله بن رواحه رضي الله عنه : يا رسول الله ! انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً . فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحه - رضي الله عنهم . فخرج عليهم فقال : إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال : ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

---

(١) أخرجه أحمد ومسلم ، حياة الصحابة جـ٢ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، المرجع السابق ص ٣٠ .

(إبراهيم : ٣٦) ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسي عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ إن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ (المائدة : ١١٨) وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه الصلاة والسلام قال : ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارا﴾ نوح : ٢٦) وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه الصلاة والسلام قال : ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ (يونس : ٨٨) أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق . قال عبد الله فقلت : يا رسول الله ! إلا سهيل بن بيضاء فإني قد سمعته يذكر الإسلام . قال : فسكت . قال : فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال : إلا سهيل بن بيضاء . قال : فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾ (الأنفال : ٦٧)- إلي آخر الآيتين[١].

- وعن الزهري قال لما اشتد علي الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلي عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المري وهما قائداً غطفان ، وأعطاهما ثلث ثمار المدينة علي أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه . فجري بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلي السعدين ، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال : بل شيء أصنعه لكم ؛ والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلي أمر ما . فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه : يا رسول الله ! قد كنا وهؤلاء علي الشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قري أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك ، وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي ﷺ : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ رضي الله عنه الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا[٢].

(١) رواه الترمذي والحاكم والإمام أحمد ، المرجع السابق ص ٣١ .

(٢) أخرجه ابن إسحاق ، المرجع السابق ، ص ٣١ ، ٣٢ .

-وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الحارث إلي رسول الله ﷺ فقال : ناصفنا تمر المدينة وإلا ملأتها عليك خيلاً ورجالاً ، فقال : حتى أستأمر السعود سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما - يعني يشاورهما . فقالا : لا والله ما أعطينا المدينة من أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالإسلام . فرجع إلى الحارث فأخبره . فقال : غدرت يا محمد . وعند الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الحارث الغطفاني إلي رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ! شاطرنا تمر المدينة . فقال : حتى استأمر السعود ، فبعث إلي سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود رضي الله عنهم فقال : إني قد علمت إن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وأن الحارث سألكم تشاطروه تمر المدينة ، فإن أردتم أن تدفعوه عامكم هذا في أمركم بعد . فقالوا : يا رسول الله ! أوحي من السماء فالتسليم لأمر الله أو عن رأيك وهواك ، فرأينا نتبع هواك ورأيك ، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا فوالله لقد رأيتنا وإياهم علي سواء ، ما ينالون منا تمرة إلا شراء أو قري . فقال رسول الله ﷺ: هو ذا ، تسمعون ما يقولون ، قالوا : غدرت يا محمد(١) .

- واستشار الرسول بعد حصاره الطائف لمدة خمسة عشر يوما دون أن ينال منهم ، فسأل نوفل بن معاوية الديلي وقال : يا نوفل ، ما ترى في المقام عليهم ، فقال : يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لن يضيرك ، فرفع الرسول عنهم الحصار وارتحل المسلمون وجاء أهل الطائف مسلمين بعد ذلك (٢).

- واستشار النبي ﷺ في طلاق عائشة بعد حادثة الإفك ، استشار أسامة بن زيد وعلى بن أبي طالب(٣) .

٢ ـ مشاورة أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

- وعن القاسم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار ، ودعاً عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب وزيد ابن ثابت رضي الله عنهم ؛

(١) رواه البزار ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) رواه الطبري .

(٣) أيضاً راجع نماذج من الشورى الإسلامية في عهد النبي في : أبو الأعلى المودودي : مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ، مرجع سابق ، ص ص ٩٨ ـ ١٠٠ .

وكل هؤلاء كان يفتي في خلافته وإنما يصير فتوى الناس إلا هؤلاء . فمضي أبو بكر علي ذلك ، ثم ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر ، وكان الفتوى تصير وهو خليفة إلي عثمان وأبي وزيد(١) .

- وعن عبيده قال : جاء عيينة بن حصين والأقرع بن حابس إلي أبي بكر رضي الله عنهم فقال : يا خليفة رسول الله ! إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلأ ، ولا منفعة ؛ فإذا رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها ، ونزرعها ؛ فأقطعها إياهما وكتب لهما عليها كتاباً وأشهد فيه عمر رضي الله عنه وليس في القوم ، فانطلقا إلي عمر ليشهداه . فلما سمع عمر ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل فيه ومحاه ، فتذمرا وقالا مقالة سيئة . قال عمر : إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل وإن الله قد أعز الإسلام فاذهبا فاجهدا جهدكما ، لا رعى الله عليكما إن رعيتما . فأقبلا إلى أبى بكر وهما يتذمران فقالا : والله ما ندرى أنت الخليفة أم عمر ؟ فقال : بل هو ولو شاء كان. فجاء عمر ، مغضبا حتى وقف على أبى بكر فقال : أخبرني عن هذه الأرض التي اقتطعتها هذين الرجلين ، أرض هي لك خاصة أم هي بين المسلمين عامة ؟ قال : بل هي بين المسلمين عامة . قال : فما حملك أن تخص هذين بها دون جماعة المسلمين ؟ قال : استشرت هؤلاء الذين حولي ، فأشاروا عليَّ بذلك . قال : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك أو كل المسلمين أوسعت مشورة ورضا ، فقال أبو بكر : قد كنت قلت لك : انك أقوى على هذا منى ولكنك غلبتني (٢).

- وعن الصعب بن عطية بن بلال عن أبيه وعن سهم بن منجاب قالا : خرج الأقرع ، والزبرقان إلى أبى بكر رضى الله عنهم فقالا : اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك أن لا يرجع من قومنا أحد ، ففعل وكتب الكتاب . وكان الذي بختلف بينهم طلحة بن عبيد الله وأشهدوا شهودا منهم عمر رضى الله عنه . فلما أتى عمر بالكتاب ونظر فيه لم يشهد ثم قال : ولا كرامة ، ثم مزق الكتاب ومحاه ، فغضب طلحة وأتى أبا بكر فقال : أنت الأمير أم عمر ؟ فقال : عمر غير أن الطاعة لي ، فسكت (٣).

---

(١)أخرجه ابن سعد ، المرجع السابق ص ٣٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبه وابن عساكر والبيهقى ، المرجع السابق ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٣)أخرجه السيف وابن عساكر ، المرجع السابق ، ص ٣٤ .

- وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كتب أبو بكر إلى عمرو ابن العاص أن رسول الله ﷺ شاور في الحرب فعليك به [1] .

٣ - مشاورة عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

استشار عمر كثيراً في كل أمور المسلمين ، ومن مواقفه في الشورى جعله أمر الخلافة من بعده في ستة يتشاورون فيما بينهم لاختيار أحدهم ورضي بذلك المسلمون ، واستشار في التاريخ من بداية الهجرة ، وكانت العرب تؤرخ بعام الفيل ، وشاور في حد الخمر وفي قتال الفرس ودخول الشام والطاعون قد وقع بها ، ومن أقواله رضي الله عنه في الشورى " أنه من بايع رجلاً من غير مشورة المسلمين فإنه لا بيعة له ولا الذي بايعه " وقال " أنه لا خير في أمر أُبرم عن غير شورى "[2] .

- وفلقد عزم عمر على محاربة الفرس ، ولما كانت محاربة الفرس بات حينذاك أمراً حتميا حيث أن القوة والرأي مناط الظفر بدولة هي أعظم دول الأرض رهبة في ذلك العهد ، لهذا رأى من السداد أن لا يفوته رأي المسلمين عامتهم وخاصتهم فيمن يوليه أمر هذه الحرب ، فاستشار العامة فأشاروا عليه بالمسير بنفسه لأنهم بأميرهم أرعب ولخليفتهم أطوع ، واستشار الخاصة فأشاروا عليه بتسليم القيادة لغيره وبقائه في المدينة لأنهم بقيمة حياته أعرف وعلى وجوده بعيداً عن ساحات القتال أحرص ، وتخلف عن الجمع عليّ وطلحة ، لأن الأول استخلفه عمر على المدينة والثاني كان على مقدمة الجيش ، فرأى ألا تفوتهما الشورى ، فاستدعاهما ، وجمع الناس جميعاً وقام فيهم خطيباً وقال مستشيراً فقال : أما بعد ، عن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله فألّف بين القلوب وجعلهم فيه إخواناً والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو فنه شيء من شيء أصاب غيره ، وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا وأمرهم شبورى بينهم ، ومن ذوي الرأي منهم فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس ، وكانوا فيه تبعا لهم ، ومن قام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم ، يا أيها الناس إني إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج ، فقد رأيت أن أُقيم وأبعث رجلاً ، وقد أحضرت هذا الأمر

(١) أخرجه الطبرانى ، المرجع السابق ص ٣٤ .

(٢) راجع : د. فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠٧-٢٠٨ .

من قدمت ومن خلفت(ويعني عين خلف علياً وطلحة لأنهما لم يحضرا الرأي الأول)
ولما انتهى عمر من خطبته أشار عليه طلحة وعلى بما أشار عليه عامة الناس ، ونهاه العباس وعبد الرحمن بن عوف عن هذا الرأي ، وقال ابن عوف : أقم وابعث حبذا ، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبلُ وبعدُ ، فإنه إن تهزم جيوشك ليس كهزيمتك ، وإنك إن تقتل أو تهزم في أنف الأمر خشيت أن لا يُكبر المسلمون وأن لا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبدا .. وبالفعل وافق عمر على هذا الرأي [1] .

- وعن أبى جعفر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب إلى على بن أبى طالب ابنته أم كلثوم رضى الله عنهما فقال على : إنما حبست بناتي على بنى جعفر ، فقال عمر : أنكحيها يا على ! فو الله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من حسن صحابتها ما أرصد ! ، فقال على : قد فعلت . فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين بين القبر والمنبر وكانوا يجلسون على وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم . فإذا كان الشيء يأتى عمر بن الخطاب من الآفاق جاءهم فأخبرهم بذلك فاستشارهم فيه . فجاء عمر فقال: زفوني ، فزفوه وقالوا : بمن يا أمير المؤمنين ؟ ، قال : بابنة على بن أبى طالب ، ثم أنشأ يخبرهم فقال: إن النبي ﷺ قال : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبى ، وكنت قد صحبته فأحببت أن يكون هذا أيضا [2].

- ويروى الطبري أن أم كلثوم بنت على بن أبي طالب وكانت زوجة عمر بن الخطاب، بعثت إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش (أديمة الطيب) من أحفاش النساء، ودسته إلى البريد ، فأبلغه لها ، وجاءت امرأة هرقل وجمعت نساءها وقالت : هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت بنت نبيهم ، وكاتبتها وكافأتها وأهدت لها ، وفيما أهدت لها عقد فاخر ، فلما انتهى البريد إلى عمر أبي بإمساكه ودعا : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصلى بهم ركعتين ، وقال : لا خير في أمر أُبرم عن غير الشورى من أموري ، قولي في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم فأهدت إليها امرأة ملك الروم ؟ ، فقال قائلون : هو لها بالذي لها وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به ولا تحت يدك ، فقال آخرون : قد كنا نهدي الثياب لنستثيب ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمناً ،

---

(١) راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق ، ص ص ٦٩-٧٠ .
(٢) أخرجه ابن سعد وسعيد بن منصور ، المرجع السابق ص ٣٥ .

فقال عمر : ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرها ، فأمر بردها إلى بيت المال ورد عليها بقدر هديتها[1] .

-وعن عطاء بن يسار رضي الله عنه : أن عمر وعثمان رضي الله عنهما كانا يدعوان ابن عباس رضي الله عنهما فيشير مع أهل بدو ويفتي في عهد عمر وعثمان وإلي يوم مات . وعن يعقوب بن يزيد قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشير عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما في الأمر إذا أهمه ويقول : غص غواص ! ، وعن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال : ما رأيت أحداً أحضر فهماً ، ولا ألب لباً ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حلماً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ثم يقول : قد جاءتك معضلة ثم لا يجاوز قوله فإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار . وأخرج البيهقي وابن السمعاني عن ابن شهاب قال : كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إذا نزل الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يقتفي حدة عقولهما[2] .

ـ وعن ابن سيرين قال : إن كان عمر بن الخطاب يستشير حتى أنه كان ليستشير المرأة ، فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به[3] .

– وعن محمد وطلحة وزياد رضي الله عنهم بإسنادهم قالوا : خرج عمر حتى نزل علي ماء يدعي صراراً فعسكر به ، ولا يدري الناس ما يريد أيسير أم يقيم ؟ وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شئ رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ، وكان عثمان يدعي في إمارة عمر رديفاً (قالوا : والرديف بلسان العرب الذي بعد الرجل ، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيسهم) وكانوا إذا لم يقدر هذان علي علم شئ مما يريدون ثلثوا بالعباس رضي الله عنه ، فقال عثمان لعمر رضي الله عنهما : ما بلغك ما الذي تريد ؟ فنادي الصلاة جامعة . فاجتمع الناس إليه فأخبرهم الخبر ثم نظر ما يقول الناس ، فقال العامة : سر وسر بنا معك ، فدخل معهم في رأيهم وكره أن يدعهم حتى يخرجهم منه في رفق . فقال : استعدوا وأعدوا فإني سائر إلا أن يجئ رأي هو أمثل من ذلك . ثم بعث إلي أهل الرأي ، فاجتمع إليه وجوه

---

(١) راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

(٢) أخرجه ابن سعد ، المرجع السابق ص ٣٥ .

(٣) رواه البيهقي ، المرجع السابق ص ٣٦ .

أصحاب النبي ﷺ وأعلام العرب فقال : أحضروني الرأي فإني سائر . فاجتمعوا جميعاً وأجمع ملؤهم علي أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ويقيم ويرميه بالجنود ؛ فإن كان الذي يشتهي من الفتح فهو الذي يريد ويريدون وإلا أعاد رجلاً وندب جنداً آخر وفي ذلك ما يغيظ العدو ويرعي المسلمين ويجئ نصرا الله بإنجاز موعود الله . فنادي عمر الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس إليه وأرسل إلي علي وقد استخلفه علي المدينة فأتاه ، وإلي طلحة وقد بعثه علي المقدمة فرجع إليه وعلي المجنبتين : والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ، فقام في الناس فقال : " إن الله عز وجل قد جمع علي الإسلام أهله ، فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخواناً ، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شئ من شئ أصاب غيره ، وكذلك يحق علي المسلمين أن يكونوا وأمرهم شوري بينهم بين ذوي الرأي منهم ، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ؛ ومن قام بهذا الأمر تبع لأولي رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم . يا أيها الناس ! إني إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج فقد رأي أن أقيم وأبعث رجلاً وقد أحضرت هذا الأمر من قدمت ومن خلفت " .

- وكان علي رضي الله عنه خليفته علي المدينة وطلحة رضي الله عنه علي مقدمته بالأعوص فأحضرهما ذلك . وقد أخرجه أيضاً ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال : لما انتهي قتل أبي عبيد بن مسعود إلي عمر رضي الله عنه واجتماع أهل فارس علي رجل من آل كسري نادي في المهاجرين والأنصار ، وخرج حتى أتي صرارا[1] .

- وعن محمد بن سلام يعني البيكندي قال : عمرو بن معد يكرب له في الجاهلية وقائع وقد أدرك الإسلام ، قدم على النبي ﷺ ، ووجهه عمر بن الخطاب إلي سعد بن أبي وقاص إلي القادسية وكان له هناك بلاءً حسن ، كتب عمر إلي سعد : قد وجهت إليك أو أمددتك بألفي رجل عمرو بن معد يكرب وطليحة ابن خويلد - رضي الله عنهم جميعاً -وهو طليحة بن خويلد الأسدي فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئاً[2] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ، المرجع السابق ص ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) أخرجه الطبراني ، المرجع السابق ص ٣٧ .

- وقال الإمام على رضي الله عنه في وصيته لوالي مصر مالك بن الأشتر " لا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشر بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله ، وإن شر وزرائك من كان للأشرار وزيراً ومن شركهم في الآثام ، فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة "[1] ٠

أراء فى الشورى:

- قال الماوردي " في أمره بالمشاورة أربعة أقاويل : أحدها أنه أمره بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيه ، قال الحسن : ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم ، والثاني : أنه أمره بمشاورتهم تأليفاً لهم وتطيبياً لأنفسهم، والثالث: أنه أمره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل ولتتأسى أمته بذلك بعده ﷺ، والرابع : أنه أمره بمشاورتهم ليتسنن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وإن كان عن مشورتهم غنياً[2]٠ - قال محمد عبده عن الشورى : إذا علمت أن مناصحة الأمراء أمر واجب على الرعية كما تدل الآيات القرآنية والأحاديث ، وجب على ولاة الأمر أن ألا يمنعوهم من قضاء هذا الواجب، فدل ذلك على الأمر في قوله تعالى ﴿ وشاوروهم في الأمر ﴾ للوجوب لا للندب، ولذا يجب على الولاة استشارة ذوي الرأي في مصالح العباد ومنافعهم ، وأن الشورى من الأمور الشرعية الواجبة ، فنحن نراه أمراً شرعيا قضت به الشريعة الإسلامية وأمراً حتمياً على الحاكم والمحكوم جميعاً بحيث لو فقدناه لاكتسينا بذلك إثماً بيناً، ومعلوم أن الشرع لم يجيء ببيان كيفية مخصوصة لمناصحة الحكام ولا طريقة معروفة للشورى عليهم ، كما لم يمنع كيفية من كيفياتها الموجبة لبلوغ المراد منها ، فالشورى واجب شرعي وكيفية إجرائها غير محصورة في طريقة معينة ٠

- وقال الدكتور طه حسين : كان الإسلام ومازال ديناً قبل كل شيء وبعد كل شيء، وجه الناس إلى مصالحهم في الدنيا والآخرة بما يبين لهم من الحدود والأحكام التي تتصل بالتوحيد أولاً وبتصديق النبي ثانياً ويتوخى الخير في السيرة بعد ذلك ، ولكنه

---

(١) راجع : راجع في مواقف الشورى في التاريخ الإسلامي : سعدي أبو حبيب ، دراسة في منهاج الإسلام السياسي ، مرجع سابق ، ص ص ٦١٣ - ٦٣٩ ٠وأيضاً : عباس محمود العقاد : الديمقراطية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٦١ ٠

(٢) راجع : د٠ فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٠٦ ٠

لم يسلبهم حريتهم ولم يلغ آرائهم ولم يملك عليهم أمرهم كله ، وإنما ترك لهم حريتهم في الحدود التي رسمها لهم ، ولقد أمر الله نبيه أن يشاور المسلمين في الأمر ، ولو قد كان الحكم منزلا من السماء لأمضى النبي كل شيء بأمر ربه ، فلم يشاور به أحد ولم يؤامر فيه ولياً من أوليائه ، وفي أحداث السيرة ما يكفي لإثبات أن الحكم في أيام النبي لم يكن ينزل من السماء في جملته وتفصيله ، وإنما كان الوحي يوجه النبي وأصحابه إلى مصالحهم العامة والخاصة دون أن يحول بينهم وبين هذه الحرية التي تتيح لهم أن يرتبوا أمرهم على ما يحبون في حدود الحق والخير والعدل[1] .

- ويذكر صاحب كتاب الفخري آداب المشاورة وحكمة فرضها على النبي قبل غيره من المسلمين فيقول " إن الملك ينبغي ألا يستبد برأيه وأن يشاور في الملمات خواص الناس وعقلائهم ، ومن يتفرس فيه الذكاء والعقل وجودة الرأي وصحة التمييز ومعرفة الأمور ، ولا ينبغي أن تمنعه عزة الملك من إيناس المستشار به وبسطه واستمالة قلبه ، حتى يمحضه النصيحة ، فإن أحداً لا ينصح بالقسر ولا يعطي نصيحة إلا بالرغبة ، وما أحسن قول الشاعر :

أهان وأقصى ثم يستنصحونني ومن ذا الذي يعطي نصيحتهم قسراً

واختلف المتكلمون في كون الله أمر رسوله بالاستشارة مع أنه أيده ووفقه ، وفي ذلك أربعة وجوه : أحدهما أنه عليه السلام أمر بمشاورة الصحابة استمالة لقلوبهم وتطييباً لنفوسهم ، والثاني أنه أمر بمشورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل به ، والثالث أنه أُمر بمشاورتهم لما فيها من النفع والمصلحة ، والرابع أنه إنما أُمر بمشاورتهم ليقتدي الناس به ، وهذا عندي أحسن الوجوه وأصلحها ، قالوا : الخطأ مع المشورة أصلح من الصواب مع الانفراد والاستبداد ، وقال صاحب كليلة ودمنة : لابد للملك من مستشار مأمون يفضي ليه بسره ويعاونه على رأيه ‥ المستشير وإن كان أفضل من المستشار وأكمل عقلاً وأصح رأياً فقد يزداد برأي المشير رأياً كما تزداد النار بالدهن ضوءا ونورا " .

- ومما يروى أنه لما قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بعدما صالحه وكتب كتباً وأشهد شهوداً ، قال عبد الملك لرجل كان يستشيره ويصدر عن رأيه إذا ضاق به الأمر :

(١) راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص ٧٤-٧٦

ما رأيك في الذي كان مني ؟ ، قال الرجل : أمر فات دركه ! ، قال : لتقولن ! ، قال الرجل : حزم لو قتلته وحييت ، قال عبد الملك : أوَ لست بحي ؟ ، فقال الرجل : مات من أوقف نفسه موقفاً لا يوثق له بعهد ولا بعقد ! ، فقال عبد الملك : كلام لو سبق سماعه فعلي لأمسكت !![1]

٤- قيمة المساواة

قيمة من القيم الإسلامية الأصيلة التي تنبثق من العدل وهى قيمة سياسية اجتماعية إنسانية ، فهي تتشكل بالعدل وتنبع منه ، فالمساواة من أهم المبادئ الإسلامية التي جاءت بصورة مطلقة ، وهى من أهم الأسس التي تقوم عليها الدولة الإسلامية .

مفهوم المساواة فى الإسلام :

والمساواة لغة المماثلة والمعادلة ، سوا : المساواة المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن والكيل ·· وقد يعتبر بالكيفية نحو هذا السواد مساو لذلك السواد ، وإن كان تحقيقه راجعاً إلى اعتبار مكانه دون ذاته ولا اعتبار المعادلة التي فيه استعمل استعمال العدل ، لأن المساواة تستعمل استعمال العدل وأن العدل يستعمل استعمال المساواة ·

ولعل قول رسول الله ﷺ في الدعوة العامة إلى المساواة في حجة الوداع دليل كامل على المساواة الشاملة العادلة التي يدعوا إليها الإسلام حين يقولﷺ" أيها الناس : إن ربكم واحد وأباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم . ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى " رواه الإمام أحمد ·

ولنتأمل في هذا الحديث فنجد أن التقوى هي وحدها نصاب التفاضل بين الناس ، ولكنه تفاضل عند ربهم فقط ، وهذا التفاضل لا يُعطي لفرد حقاً دون غيره من الناس يميزه ويجعله يعيث في الأرض فساداً ، فمجتمع المسلمين يتميز بأنه مجتمع المساواة ، الكل يتمتع بالحقوق والواجبات بمساواة كاملة ، وهذه المساواة تنبع من وحدة الأصل

---

(١) راجع : عباس محمود العقاد : الديمقراطية في الإسلام ، مرجع سابق، ص ص ١٦٣-١٦٥ ، و ص ص ١٦٧-١٦٨ ·

الإنساني ، وأجل صورة للمساواة فيه هي أن يقف الحاكم والمحكوم أمام القضاء على قدم المساواة ، وفي الصلاة على سبيل المثال الناس فيها متساوون ، فالجميع في موقف العبادة والضراعة في الصلاة ، ويصطفون جميعاً خلف إمامهم فلا يتمايز شخص عن شخص ، والصف الأول لمن سبق ، ترى في الصفوف الأمير والتجار وأساتذة الجامعة والسوقة والغني والفقير فتتجلى المساواة بينهم في أروع معانيها ، وكذلك الصيام ، فالكل يمتنع عن الطعام والشراب في وقت واحد بلا تمايز ، ويفطرون في ميقات واحد ، وكذلك في الزكاة ، فأصحاب البلايين يخرجون الزكاة ، ومن عنده الآلاف يخرج نفس القيمة ٢ . ٥٪ بلا تمايز ، وفي الحج الكل بلباس واحد وفي وقت واحد وفي مكان واحد ويمارسون نفس الشعائر ، إنها صور بليغة من المساواة الإسلامية التامة

تأصيل الإسلام لقيمة المساواة : •

فلقد جاء الإسلام في وقت كان فيه التفريق بين طبقات الناس هي الأصل في النظام الاجتماعي والنظام السياسي على السواء ، وكانت شريعة أوما المطبقة وقت بعث الرسول في بلاد الشام المجاورة لجزيرة العرب تقسم الناس إلى أحرار وغير أحرار ، وهؤلاء الأفراد كانوا أيضاً طبقتين : الأحرار الأُصلاء وهم الرومانيون وغير الأصلاء وهم اللاتينيون ، أما غير الأحرار فكانوا أربعة أنواع : الأرقاء ، المعتقون ، وأنصاف الأحرار ، والأقنان التابعون ، وكان الرق أصلاً من أصول الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في جزيرة العرب قبل الإسلام • وجاء الإسلام في هذا الجو الذي يسوده التمييز بين الناس فدعا إلى المساواة بين الناس كافة ، وإذا كان قد أبقى على الرق فلهذا الإبقاء أسباب كثيرة ، ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن الأسباب التي تؤدي إلى تحرير الرق التي جاء بها الإسلام لم تعرفها أية شريعة أخرى ، وإلى أن المساواة بين الأحرار والأرقاء في العبادات والمعاملات كانت تامة خلافاً لما كان معروفاً في الشرائع الأخرى ، وإلى أن الرقيق كان يكتسب جميع حقوق الأحرار وتترتب عليه جميع واجباتهم منذ اللحظة التي يقع فيها العتق ، وكانت الأمم تتفاخر أيام البعثة وحتى يومنا هذا بالأعراق والأجناس ، وكان العرب يتفاخرون بالألقاب والأحساب ن فجاء الإسلام هادماً لهذا كلية في نصوص القرآن والسنة وفي سيرة الخلفاء في الصدر الأول ، كما سنرى فيما بعد .

ويكفي أن نستشهد من نصوص القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣) ، وظاهر الآية يدل على أن الخطاب فيها جاء للناس كافة وأن هذه الآية أُريد بها عدم التمايز بين البشر لأي سبب كان .

أما السنة المطهرة فالشواهد كثيرة على المساواة ولعل أبلغها قول الرسول في خطبة الوداع ، ومساواته في الأسفار بكل المسلمين[1] .

فالمساواة تعني التساوي أمام ديان واحد ، الكل له عبيد والكل أمامه سواء ، وشهادة أن لا إله إلا الله وهي الركن الاعتقادي الأول في الدين الإسلامي تعني منهجاً كاملاً للحياة يقوم على التحرير المطلق وجدانياً وعملياً من عبودية غير الله ، هذا التحرر هو الخطوة الأولى الأساسية لتحقيق مجتمع صالح كريم الكل فيه متساوون .

ودعا الإسلام إلى المساواة منذ يومه الأول ، ولكنها دعوة إلى المساواة الكاملة الفاضلة الحقة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، كما دعا إلى نبذ الكبرياء والاستعلاء ، إنه مبدأ جليل جاء به الإسلام ، فكانت دعوته للمساواة بين البشر : ففي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾(العلق:١،٢) ، وتعلن أن كل إنسان مهما كان عرقه ولونه وجنسه وجاهه ومواهبه وثرواته قد خلقه الله عز وجل من علق ، فإن ذلك إيماءً إلى المساواة الكاملة التي حررت الإنسان من تأليه إنسان مثله ، فليس للون ولا جنس ولا منصب ولا وطن ولا سائر المعاني من حساب في ميزان الله تعالى ، إنما هناك ميزان واحد تتحدد به القيم ويعرف به فضل الناس ألا وهو التقوى ، فالكريم حقا هو الكريم عند الله تعالى وهو سبحانه يزن الناس عن علم وعن خبرة بالقيم والموازين ، وهكذا تسقط جميع الفوارق وتسقط جميع القيم ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة وعلى هذا الميزان يتحاكم البشر بتلك القيمة وهي قيمة التقوى ، وكذلك المساواة بين المسلم وغير المسلم ، فالمواطنين في دولة الإسلام على اختلاف أديانهم سواء ، وأن الإسلام قد أوجب على الدولة صيانة كرامة المواطن وحياته وشرفه وعرضه وماله وجميع الحقوق الأخرى ، فضلاً عن صيانة عقيدته ودينه وأماكن عبادته ، كما يتساوون جميعاً في الخضوع لأحكام القوانين السائدة ، ولا يختلف غير

(١) راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، مرجع سابق، ص ص ٨٤-٨٥

المسلم عن المسلم في دولة الإسلام غلا فيما له صلة بالعقيدة [1].

ويتتبع الإسلام كل ناحية من حياة الإنسان الوجدانية والاجتماعية ليؤكد فيها معنى المساواة توكيداً ، بعد أن أكدها لفظاً وصورة ، فأكد الإسلام هذه المساواة روحاً ومعنى وبالتحرر الوجداني الكامل من جميع القيم وجميع الملابسات وجميع الضرورات ، وكفل لها في عالم الواقع كل الضمانات ، ولكنه يحرص على المساواة حرصاً شديداً ويريدها مساواة إنسانية كاملة غير محدودة بعصر ولا بقبيلة ولا ببيت ولا مركز ، كما يريدها أبعد مدى من دائرة الاقتصاديات وحدها ، مما وقفت عنده المذاهب المادية العلمية .

والإسلام يعطى اهتماما خاصا لقيمة المساواة كقيمة سياسية في المجتمع الإسلامي وفى الفكر الإسلامي الإنساني النبيل ، وسوف نستعرض هنا بعضا من نصوص القرآن والسنة النبوية المطهرة في هذا المجال :

القرآن الكريم وقيمة المساواة :

المساواة في القرآن قيمة نسبية تعتمد على العدالة وتتشكل من خلالها ونستعرض النصوص القرآنية التي تتحدث عن المساواة ومن هذه النصوص :

أ-المساواة مرتبطة بالعدالة :

قال تعالى : ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ (الأعراف: ٨٥) ، وقال سبحانه : ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (النحل: ١٧١) . ، وقال سبحانه : ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾(الحج: ٢٥) . ، وقال عز وجل : ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾(سورة ص: ٢٢) . ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ ﴾(الحجرات: ١١) . ، ووحدة الأصل الإنساني تجعلنا نعتز بعظمة الإسلام في المساواة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١) ، فالآية تؤكد أن الناس جميعاً من

(١) راجع : سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠ ، وأيضاً سعدي أبو حبيب ، دراسة في منهاج الإسلام السياسي ، مرجع سابق ، ص ص ٥٣٩ - ٥٦٠ .

نسل آدم من تراب حتى الرسل لا يتميزون في ذلك ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(آل عمران: ٥٩)، وهكذا، فنحن الناس جميعاً خلوا من ذكر وأنثى وينسلون من مصدر واحد فليس ثمة ما يبرر أن يدعي بعضهم السمو على بعض بانتسابه إلى جنس أعلى ، قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣) .

ب- المساواة بين الفئات المختلفة وبين الأعمال المتشابهة :

والمساواة في القرآن نسبية بمعنى المساواة بين كل جنس والمساواة بين المؤمنين بعضهم بعضا والمساواة بين ذوى الأعمال المتميزة ومثلا :

قال تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: ٧٦). وقال عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ (الرعد: ١٦) وقال سبحان : ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (فصلت : ٣٤). وقال الله سبحانه : ﴿ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ﴾ (النور: ١٩) . وقال الله عز وجل : ﴿ فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِراً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ ﴾ النحل: ٧٥) . وقال المولى عز وجل: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة: ١٨) . وقال سبحانه وتعالى : ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (النساء: ٩٥)، وقال عز وجل: ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ (النساء: ٩٥). وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ ﴾ (فاطر: ١٩) . وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(الزمر: ٩) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ﴾(فاطر: ٢٢). وقال سبحانه : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (غافر: ٥٨) ، وقال الله تعالى : ﴿ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ (الحديد: ١٠) . وقال الله عز وجل : ﴿لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾(الحشر: ٢٠). وقال المولى عز وجل : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾(هود: ٢٤) . وقال تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ

شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ (الزمر: ٢٩). وقال المولى سبحانه: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ (آل عمران: ١١٣)، وقال الله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ (النساء: ٨٩). وقال عز وجل: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ (الجاثية: ٢١)، وقال المولى عز وجل: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤)، وقال تعالى: ﴿ ومَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾ (الإسراء: ٣٣). وقال الله ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾(الإسراء: ٣٣). وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ (المائدة: ٨). وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بينَ أَخَوَيْكُمْ ﴾(الحجرات: ١٠). وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ﴾(النساء: ١٣٥). وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ﴾(النساء: ١٩). ، وقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾(النساء: ٣٢). ، وقال عز وجل ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ (النساء: ٤) وقال سبحانه: ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾(النساء: ٧). وقال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾(النساء: ١٧٦). ، وقال سبحانه: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾(البقرة: ٢٨٢).

مما سبق يتضح أن المساواة نسبية ، فلا يمكن أن نساوي بين المتضادات أو المختلفين في الشكل أو الطباع أو المضمون ، لأنها حينذاك لا يمكن أن تكون مساواة ، فالمساواة في المفهوم الإسلامي تكون بين الأسوياء والمتشابهين .

المساواة في السنة الشريفة المطهرة :

فنجد أن صور المساواة تتجلى في أروع صورها عند رسول الله ﷺ، فلقد طبقها النبي الكريم أعظم تطبيق حين قال في حديثه الشريف " والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها "[1].

وفي أحاديث النبي ﷺ وأقواله ما يفيد المساواة الكاملة ، حيث قال " يا معشر

---

(١) رواه البخاري .

قريش : اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف : لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب : لا أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد : سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً " وفي الحديث بهذا المعني " لي عملي ولكم عملكم " ، وهو عليه الصلاة والسلام يقول " إنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى " ، وقد سمع عليه السلام أبا ذر الغفاري يقول : يا ابن السوداء ، فغضب وقال : طف الصاع ، طف الصاع ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو عمل صالح "[1] .

ومن أفعال الرسول ﷺ التي تؤيد المساواة أن عقبة بن عار كان صاحب بغلة الرسول التي يقودها في الأسفار ، قال عقبة : قدت برسول الله وهو على راحلته رتوة وسويعة من الزمان من الليل ، وأن رسول الله قال : أنخ ، فأنخت ، فنزل عن راحلته ، ثم قال : اركب يا عقبة ، فقلت : سبحان الله أعلى مركبك يا رسول الله وعلى راحلتك؟ ، فأمرني فقال : اركب ، فقلت أيضاً مثل ذلك ورددت ذلك مراراً حتى خفت أن أعصي رسول الله ، فركبت راحلته ورحله ثم زجر الناقة فقامت وقادني رسول الله .

صور من المساواة في عهد الخلفاء :

- لعل أروع النماذج والمظاهر للمساواة في تاريخ الخلفاء الراشدين أن أمير المؤمنين على بن أبي طالب فقد درعه وهو متوجه إلى صفين ، وبحث عنها طويلاً فلم يجدها ، وبعد أيام وجدها في يد يهودي ، فقال له على : الدرع درعي ، ولم أبع ولم أهب ، فقال اليهودي : درعي وفي يدي ، فقال على وهو الحاكم العام : نحتكم إلى القاضي ، وتوجها إلى القاضي شريح ، الذي قال لأمير المؤمنين : ألك بينة على أن الدرع ملكك؟ ، فقال على : نعم قُنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعي ، فقال له القاضي شريح : شهادة الابن لا تجوز للأب ، فقال على : الحسن رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته !! ، قال القاضي : هو ولدك ، وحكم القاضي لليهودي ، وبعد الحكم وقف اليهودي وقال : أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه حكم ضده ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

---

(١) عباس محمود العقاد ، الديمقراطية في الإسلام ، مرجع سابق ، ط٤ ، ص ٤٤ .

وهذا مثل إلى حرص الإسلام في المساواة بين الخصوم أمام القضاء ، لقد كان في إمكان الحاكم على غبن أبي طالب أن يلجأ إلى ما يسمى بحالة الضرورة ويأخذ الدرع بالقوة لأنه مقدم على معركة ، ولكنه لجأ للقاضي ، الذي حكم بالمساواة التامة .

فالمساواة قيمة من قيم العدالة وتتشكل من خلالها . .

- فلقد روى الطبري أنه قد أصابت الناس في إمارة عمر بن الخطاب سنة جدب بالمدينة وما حولها ، فكانت تسفى إذا ريحت تراباً كالرماد فسُمى ذلك العام عام الرمادة ، فآلى (أي حلف) عمر ألا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيي الناس من أول الحيا (المطر ومعنى الجملة نبات العشب) فكان بذلك حتى أحيا الناس من أول الحيا ، فقدمت السوق (عُكة) من سمن ووطب لبن فاشتراها غلام لعمر بأربعين ثم أتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين قد أبرّ الله بيمينك وعظّم أجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن فابتعتهما بأربعين ، فقال عمر : أغليت بهما فتصدق بهما فغني أكره أن آكل إسرافاً ، وقال عمر : كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسسني ما مسهم؟!• وقال ابن الجوزي في فعل عمر هذا العام (كان عمر يصوم الدهر ، فكان زمن الرمادة إذا أمسى أتى بخير قد ترد بالزيت ، إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً " ناقة " فأطعمها الناس وغرفوا له طيسها فأتي به ، فذ قديد من سنام ومن كبده ، فقال : أنى هذا ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرناها اليوم ، فقال : بخ بخ ، بئس الولي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كرادسها ، ارفع هذه الجفنه وهات لي غير هذا الطعام ، فأُتى له بخبز وزيت ، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز •

- ويروى ابن الجوزي أنه قد أصاب الناس سنة غلاء فغلا السمن ، فكان عمر يأكل الزيت فيقرقر بطنه فيقول : كركر ما شئت فوالله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس •

-كما روى أيضاً أن عمر خرج حاجاً فصنع له صفوان بن أُمية طعاماً فجاءوا بجفنه يحملها أربعة ، فوضعت بين يدي القوم يأكلون ، وقام الخدام ، فقال عمر : مالي لا أرى خدامكم يأكلون معكم ، أترغبون عنهم ؟ ، فقال أحد القوم : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكنا نستأثر عليهم ، فغضب عمر غضباً شديداً ثم قال : ما لقوم يستأثرون على خدامهم فعل الله بهم ما فعل ، ثم قال للخدام : أجلسوا فكلوا ، فقعد الخدام يأكلون ولم يأكل أمير المؤمنين •

- ولما قدم عتبة بن فرقد من أذربيجان أتى بالخنبيص ، فلما أكله وجد شيئاً حلواً طيباً فقال : والله لو وضعت لأمير المؤمنين من هذا ، فجعل له سفطين عظيمين ثم حملها على بعيره مع رحلته فسرج بهما إلى عمر ، فلما قدما عليه فتحهما فقال : أي شيء؟، قالوا : خنبيص ، فذاقه ، فإذا هو شيء حلو ، فقال : أكُل المسلمين يشبع من هذا في رحله ؟ ، فقالوا : لا ، قال : أما لا فأردهما ، ثم كتب إليه : أما بعد ، فإنه ليس من كد أبيك ولا من كد أمك ، أشبع المسلمين مما تشبع في رحلك !!

- ويروى عن مساواة عمر، أنه أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس ، فازدحموا عليه ، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه ، فعلاه عمر بالدرة وقال : إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض فأحببت أن أُعلمك أن سلطان الله لن يهابك ، وكان سعد أحد العشرة المبشرين بالجنة وفاتح العراق وأحد الستة الذين عينهم عمر للشورى لاختيار الخليفة من بعده .

- ويروى أن عمرو بن العاص أقام حد الخمر على عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب يوم كان عامله على مصر، ومن المألوف أن يقام الحد في الساحة العامة للمدينة لتتحقق من ذلك العبرة للجمهور، ولكن عمرو بن العاص أقام الحد على ابن الخليفة في البيت، فلما بلغ الخبر عمر، كتب إلى عمرو بن العاص يقول : من عبد الله أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاص، عجبت لك يا ابن العاص ولجرأتك عليّ وخلاف عهدي ، أما إني قد خالفت فيك أصحاب بدر ممن هو خير منك واخترتك لجدالك عني وإنفاذ عهدي فأراك قد تلوثت بما قد تلوثت ، فما أراني إلا عازلك فمسيء عزلك ، تضرب عبد الرحمن في بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفني؟ إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، ولكن قلت : هو والله ولد أمير المؤمنين!، وقد عرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه ، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة عليه حتى يعرف سوء ما صنع [1].

- ومن نماذج المساواة أيضاً : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في مجلسه ، ودخل عليه إعرابي من عامة الناس وتقدم بشكوى ضد جبلة بن الأيهم الملك الغساني، وخلاصة الشكوى أن الإعرابي داس على طرف رداء جبلة فلطمه على خده ، فأرسل عمر في استدعاء الملك ، ولما حضر سأله : أتعرف هذا الإعرابي؟ ، فقال : نعم ، قال

(١) راجع : ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، مجرر سابق ،ص ص ٨٦-٨٩.

عمر : ألطمته على خده؟ ، قال : نعم • ، فقال عمر : ما أن ترضيه وإما أن يقتص منك • فقال جبلة : كيف وأنا ملك وهو سوقة ؟ ، فقال عمر قولته الخالدة : لقد سوّى الإسلام بينكما !!

وهنا تتجلى أروع صور الشريعة الإسلامية التي ساوت بين الولاة والرعية ، فهذا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يحذر ولاة الأقاليم من أن تأخذهم نشوة السلطة فتصدر منهم المخالفات في حق الله أو في حق الناس ، لذلك كان يُكثر في خطبه أمام الناس ويقول " إني لم أبعث عُمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ، إنما بعثتهم إليكم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيأكم بينكم ، من فعل به غير ذلك فليقم " فقام رجل فقال : إن عاملك فلانا ضربني مائة سوط ، فقال عمر للرجل : قم فاقتص منه " .

-كما قام عمر بالخطبة ذات يوم فقال " من ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له عليّ ، أي سياسية ما يسمى بالباب المفتوح ، ليرفعها غليّ حتى أقُصها منه ، فيقول عمرو بن العاص حاكم مصر : أرأيت إن أدبّ أمير المؤمنين رجلاً من رعيته أتقصه منه؟ ، فيقول عمر : ومالي لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه " ابن كثير في البداية والنهاية ج٢ .

- ونقف لحظات مع عمر بن الخطاب وهو ينصح أبو موسى الأشعري حين ولاّه القضاء فيقول له عن المساواة " وآس بين الناس في مجلسك وفي وجهك وفي قضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك " وآس أي اعدل بالسوية ، ومن هنا فالمساواة مرتبطة بالعدل ، ولا شك أن المساواة أمام القضاء بين الخصوم حتى ولو كان الخصم هو الحاكم العام ، فهذا هو عنوان العدل ، لأن القاضي إذا خصّ أحد الخصمين بالدخول عليه أو القيام له أو الإقبال عليه والبشاشة في وجهه والنظر إليه كان ذلك مقدمة لظلمه وجوره وعدم عدله ، مما يدخل اليأس في نفس الخصم ويضعف قلبه وتنكسر حجته . .

- ومن الأمثلة الشائعة في ذلك ، والتي رواها السيوطي في تاريخ الخلفاء : أن الخليفة المنصور قدم المدينة فحمل الحمالون متاعه ولم يدفع إليهم شيئاً ، فقدموا شكوى ضده للقاضي محمد بن عمران الطلحي ، فكتب للخليفة بالحضور فوراً ، فذهب الخليفة إلى مجلس القاضي ومعه وزيره ، فلم يقم القاضي لهما ، ووقف الخليفة المنصور والوزير ولم يأذن لهما القاضي بالجلوس ونادى على الخصوم فقضى

لهم على الخليفة بعد أن قامت البينة ، ودفع الخليفة ما حكم به القاضي وانصرف الحمالون شاكرين العدالة والمساواة ، ثم توجه الخليفة بالكلام إلى القاضي وقال له : جزاك الله عن دينك أحسن الجزاء ٠

والأمثلة كثيرة بخصوص المساواة بين الخصوم أمام القضاء ، ولم لا ؟! فالإسلام دين المساواة النابعة من العدالة أي المساواة بين الأسوياء ٠

وكما قال بعض الفقهاء : إن العدل يقتضي في الحقيقة التوازن والتناسب لا المساواة التامة ، كما يتطلب ولا شك المساواة بين أفراد المجتمع الواحد في بعض الوجوه كحقوق المواطنة ولكنه لا يتطلب المساواة في بعض الوجوه الأخرى كالمساواة الاجتماعية والأخلاقية بين الوالدين والأولاد أو المساواة في الأجور بين كبار الموظفين وصغارهم لأن هذه المساواة التامة في هذه الأمور تخالف العدل وتجافيه وتحقيق التوازن والتناسب يتطلب إعطاء كل إنسان حقوقه الاجتماعية والسياسية والقانونية والاقتصادية والأخلاقية بأمانة تامة وهذا هو قمة العدل وما ينتج عنه من المساواة[1] .

المساواة بين الرجل والمرأة فى الإسلام

الرجل والمرأة سواء في أصل الإنسانية ، لذلك فإن الإسلام يُسَوّي بينهما في الحقوق المدنية ، فالمرأة لها شخصيتها المتكاملة واستقلالها المالي ، والمرأة في الإسلام لها وظيفة معينة وهي رعاية بيتها والقيام على شئون زوجها ومراعاة أولادها ، والرجل له ميدان عمله في السعي على المعاش وتدبير المال للنفقة اللازمة على البيت ، ومن حق المرأة أن تعمل خارج بيتها بشرط مراعاة الأخلاق الدينية والآداب الإسلامية والقيم الاجتماعية الفاضلة .

والإسلام أوجب على الرجل النفقة على المرأة سواء كانت أماً أو أختاً أو زوجة أو بنتاً ، والإسلام عندما وضع هذه القواعد نص على أن المرأة مكلفة بأركان الإيمان وأحكام الشرع غلا ما استثناه لها في ظروف طارئة تتناسب مع طبيعتها ، فهي مكلفة بكل ما في الإسلام مثلها مثل الرجل تماماً ، فلها حق التصويت في الانتخاب وأن تُبدي رأيها في الأمور العامة وأن تشارك في الأعمال الاجتماعية ، وأن تحضر إلى المسجد تصلي وتتعلم وتحضر الجمعة والجماعة ، كل ذلك في حدود ما يوافق طبيعتها ويتواءم مع شخصيتها ٠

---

(١) راجع : د٠ فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤ ٠

وهكذا وضع الإسلام بنظم دقيقة قواعد المساواة حتى لا يكون هناك اضطراب ، ثم على المرأة أن تعلم ما شرّعه الله لها لأن في ذلك مصلحتها وسعادتها ، قال تعالـــى : ﴿ الـــرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ الله بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم﴾ (النساء : ٣٤) ٠

والأسرة مسئولية مشتركة بين الرجل والمرأة والاختصاصات في هذه المؤسسة الأسرية موزعة بين أطرافها من أجل النهوض بها كأساس للمجتمع المسلم ، فالرجل له اختصاصه والمرأة لا تشاركه في اختصاصه لأنها لا تقدر على حمل هذا الاختصاص وإنما لها اختصاصات أخرى داخل الأسرة لا يقدر الرجل على تحملها ، ولذلك فالمساواة تتجلى في أروع صورها بين الرجل والمرأة داخل الأسرة ، ومحاولة التداخل في الاختصاصات لكل طرف تكون بمثابة معول الهدم في كيان الأسرة ٠٠ فالمساواة بين الرجل والمرأة مساواة حسب الاختصاص والطبيعة الإنسانية ٠

وهناك ثلاث قواعد للمساواة بين الرجل والمرأة :

- **القاعدة الأولى :** أن الرجل والمرأة سواء في الإنسانية ٠الآيات ٣٦-٣٩ سورة القيامة

- **القاعدة الثانية :** أن المرأة مكلفة بالإيمان وبأركان الإسلام جميعاً وبكل ما فيه من أحكام غلا ما استثناه الشرع نفسه ، وهي مكلفة بكل ما في الإسلام من خلق وآداب وأنها في ذلك كالرجل سواء ٠ الآية ٩٧ سورة النحل ، والآية ٣٥ سورة الأحزاب ٠

- **القاعدة الثالثة :** أن الإسلام قد جاء بالمساواة بين الرجل والمرأة من حيث الحقوق والأهلية الحقوقية ، فالمرأة ذات شخصية كاملة وذات استقلال مالي ولا قيد عليها في الكسب وطرقه ولا في الإنفاق وسيلة إلا ما وضعه الشرع من قيود على الرجل والمرأة ٠ الآية ٣٢ سورة النساء ٠

فالمساواة كاملة بين الرجل والمرأة وحتى في شخصيتها الحقوقية فهي كاملة كالرجل ولا فرق في حقوق الإنسان بينهما [١] ٠

وجوه المساواة :

جاء الإسلام بالمساواة ، حيث سوّى بين المسلمين في التكاليف الشرعية وفي

(١) راجع : سعدي أبو حبيب ، دراسة في منهاج الإسلام السياسي ، مرجع سابق ، ص ص ٥٦٣-٥٦٦

الواجبات وما أباحه من مباحات وما نهى عنه من محظورات ومكروهات وما أنذر به من عقاب في الدنيا والآخرة ، فسوى بين المسلمين في كل ذلك ولم يُميز أحد على أحد ولم ينقص من واجب أو يزد فيه ، ، فأوامر الإسلام ونواهيه موجهة إلى الناس كافة لا إلى أمة بعينها أو جنساً بعينه دون النظر إلى الفروق الشخصية أو الاجتماعية ، قال تعالى : ﴿ ومَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ من ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ (النساء : ١٣٤) .

حتى أن كاتباً كبيراً ومفكراً مثل الدكتور طه حسين يرى في كتابه الفتنة الكبرى ج ١ ص ١٠ (أن الإسلام إنما جاء قبل كل شيء بقضيتين أولاهما التوحيد وثانيهما المساواة بين الناس ، وكان أغيظ ما غاظ قريشاً من النبي ودعوته أنه كان يدعوها إلى هذه المساواة ولم يكن يُفرّق بين السيد والمسود ولا بين الحر والعبد ولا بين القوي والضعيف ولا بين الغني والفقير ، وإنما كان يدعو إلى أن يكون الناس جميعاً سواء كأسنان المشط ، لا يمتاز بعضهم على بعض ولا يستعلي بعضهم على بعض ، وقد سخطت قريش أشد السخط وأعنفه على النبي ﷺ لما أظهر من ذلك ، حتى لأكاد أعتقد لو أنه قد دعاها إلى التوحيد دون أن يعرض للنظام الاجتماعي والاقتصادي ودون أن يسوي بين الحر والعبد وبين الغني والفقير وبين القوي والضعيف ، لأجابته كثرتهم في غير مشقة أو جهد أو لأجابه من قريش من أجاب ولمنع عليه منها من مُنع دون أن يلقى في ذلك مشقة أو عنتا ، ومهما يكن من شيء فقد سخطت قريشاً على النبي الكريم لأنه عرّض نظامها الاجتماعي وفرض عليها نوعا من العدل من خلال هذه المساواة لا يلائم منافع سادتها وكبرائها)[1] .

ويقول ابن المقفع فيما يبتغيه السلطان من رضا الرعية " إنك إن تلتمس رضا جميع الناس تلتمس ما لا يدرك ، وكيف ينفق لك رضا المخالفين ؟ أم ما حاجتك إلى رضا من رضاه الجور ، وإلى موافقة من وافقته الضلالة والجهالة؟ فعليك التماس رضا الأخيار وذوي العقول فإنك متى تصب ذلك تضع عنك مؤنة ما سواه "[2] .

هل العدل هو المساواة ؟ ، أجاب على ذلك عباس محمود العقاد فيقول " بعض المساواة عدل لاشك فيه وبعضها كذلك ظلم لا شك فيه ، لأن مساواة من يستحق بمن

(١) راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص ٩١-٩٢ .

(٢) راجع : عباس محمود العقاد : الديمقراطية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ .

لا يستحق هي الظلم بعينه ، والمساواة بين جميع الأشياء هي العدم المطلق ، إذا لابد من اختلاف ليقال هذا شيء وذلك شيء ، فإن لم يكن اختلاف لم يكن شيء ، وإنما هو العدم المطلق الذي لا محل فيه لموجود ، والإسلام يشيد بالعدل ويوجبه ويكرر الدعوة إليه ، يوجبه بين العدو وعدوه ، ويوجبه بين القريب والغريب وبين الغني والفقير ، ويوجبه في المعاملات والأحكام ، ويوجبه في دعوة الأنبياء والهداة ، ولا يسوي بين جائر وعادل •

والعدل مفهوم إذا تساوى الناس في أمور ، ولم يتساووا في أمور أخرى ، ولكنه غير مفهوم إذا عمت المساواة في جميع الأمور وجميع الحالات ، لأنه لا معنى في هذه الحالة للموازنة بين القيم والأقدار ، أما الأمور التي يتساوى فيها الناس جميعاً فهي الحقوق العامة التي تحمي كل إنسان من أن يبغي عليه أحد ، أما المساواة التي فيها الغبن فهي المساواة التي تبطل مزايا العمل وفضائل الرجحان وتقعد ذوي المساعي عن مساعيهم ، فالعدل هو المفهوم الشامل ويتقدم على المساواة في الإسلام "[١]

ولبيان العلاقة بين الحرية والمساواة ، فلا تعارض بينهما ، نعم ، فلا تعارض بين اعتماد الملك على الغلبة والعصبية وبين قيام الملك على مبادئ الحرية والديمقراطية بإلهام من العقيدة الروحية والآداب الدينية كما يقول ابن خلدون ، فإن إقامة الأحكام على المساواة تحتاج إلى الغلبة ، بل هي أحوج إليها من إقامة الأحكام على التفاوت ، لأن المساواة تكلف كثيراً من الأقوياء وتحرس كثراً من الضعفاء ، وليس الحكم على التفاوت والجور بمحتاج إلى كل هذه الحيطة وكل هذا القمع لمن يستطيع الطمع والاعتداء •

وهكذا فإن مبدأ المساواة في الإسلام يشمل مختلف نواحي الحياة ، أمام الشرع وأمام القضاء وفي تولي الوظائف العامة والانتفاع بالمرافق العامة وغير ذلك من صور المساواة • مثل المساواة في العطاء والمساواة في التكاليف الاجتماعية وفي الحقوق والواجبات • وهكذا تكون قيمة المساواة في الإسلام من القيم الرئيسية في المجتمع الإسلامي •

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٠-٩٢ •

٥- الأخوة قيمة إسلامية سياسية اجتماعية دينية

الإسلام يُعلي شأن الجماعة ، ويُعلي القيم التي تحض على التعاون والتآخي ليكون المجتمع قوى البنيان ثابت الدعائم متين الأركان . .

فالأخوة تزيد من تماسك المجتمع وقوته ، وبالتالي فهي قيمة مرغوبة في المجتمعات الإسلامية في كل مكان وزمان ، وهي قيمة اجتماعية سياسية اقتصادية ، والمساواة أول آثار الأخوة ومن لوازمها ، لأن الأخوة لا تكون إلا بين متساويين في الحقوق والواجبات ، ومن تأكيدات الأخوة أن يكون البعض جزءا من كل باعتبار المسلمين نفساً واحدة ...

قال رسول الله ﷺ " من ذهب في حاجة أخيه فقضيت حاجته كُتبت له حجة وعمرة ، وإن لم تُقض كُتبت له عمرة " رواه البيهقي ، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضاً ولا يكمل إيمان العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، والله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى فقال ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة : ٢) ، وينبغي للمسلم أن يسارع لقضاء حوائج الناس وإغاثة الملهوف ، فإن مَن فعل ذلك كان له من الله الجزاء الأوفى ، ولما لقضاء حوائج المسلمين من فضل ومنزلة عند الله وعند رسوله ، فلقد أخبر الرسول ﷺ بأن من ذهب في قضاء حاجة أخيه المسلم حتى قضاها الله تعالى على يديه كتب الله له ثواب حجة وعمرة وإن لم يحج ولم يعتمر ، ولكنه أدخل السرور على أخ مسلم وقضى له حاجته ، ولكم لهذا الفعل عند الله تعالى من ثواب عظيم ، وإن ذهب المرء في قضاء حاجة أخيه المسلم ، ولكنها لم تقض فإن الله لن يحرم الساعي من الخير من الثواب ، بل يعطيه ثواب العمرة ، وذلك فضل من الله يؤتيه لمن اهتموا بأمر المسلمين وتألموا لآلامهم وفرحوا لفرحهم ، وليعلم الذين يسعون لقضاء حوائج المسلمين أن التوفيق من الله عز وجل ، وقد منحهم الله تعالى هذه النعمة العظيمة ليردوا المظالم إلى أصحابها ، فإن قصروا في قضاء حوائج المسلمين سلب الله

منهم هذه النعمة وأودعها في غيرهم حتى يتحملوا عبء هذه الرسالة ويساعدوا المسلمين بقدر ما يستطيعون ، يقول نبينا ﷺ " إذا أراد الله بعبد خيراً صيّر حوائج الناس غليه " رواه الديلمي ، كما روى الإمام أحمد في مسنده أن الرسول ﷺ قال " من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرّج عن معسر " .

ومن أهم ما تقتضيه الأخوة الإسلامية أن يقدم المسلم النصح لأخيه المسلم ، فإن الدين النصيحة ، ولقد ورد أنه لما أستخلف عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسن البصري " بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أمير المؤمنين إلى الحسن البصري ، سلام عليك ، أما بعد : فإني ابتليت بأمر عظيم وقد شغلني عن كل ما أنا فيه ، فإن لم يتداركني الله برحمته هلكت ، ولا أرى كيف الخلاص منه ، فعظني بموعظة موجزة لعل الله تعالى أن ينفعني بها ، وأنا أسأل الله التوفيق لما يُحب ويرضى وأن يجعلنا وإياكم من الفائزين برحمته ، والسلام " فكتب الحسن البصري " بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسن بن أبي الحسن إلى عبد الله أمير المؤمنين ، سلام الله عليك ، أما بعد ، فقد فهمت ما كتبت به إليّ ، فاعلم يا أمير المؤمنين أن من اتقى الله تعالى اتقاه الناس ، ومن خاف الله تعالى خافه الناس ، ومن استحيا من الله استحيا منه الناس ، ومن اجترأ على الله اجترأ عليه الناس ، ومن تعجل الأمن أدخل الخوف على نفسه غداً ، ومن تعجل الأمن غداً والنجاة مع الحذر والصبر ملاك الأمر وفيه أعظم الأجر ، فاستعن يا أمير المؤمنين على أمر يُعنك الله تعالى وتوكل عليه يكفك ولا تستعن بغير الله تعالى فيكلك غليه ، يا أمير المؤمنين ، إنك قد أُبتليت بأمر عظيم يتوجه الناس عليك بحوائجهم ، فافتح بابك للضعيف والأرامل ، وما تحب لنفسك فأحبه لهم ، وما تكرهه لنفسك فأكرهه لهم ولا تفعله بهم " وهذا مثال النصيحة الأخوية ولو كانت للحاكم .

وإذا رأينا النصوص الإسلامية على الأخوة نري من خلالها علو قيمة الأخوة في المفهوم الإسلامي ، قال تعالى بعد ما جاء في الآية ١٠ من سورة الحجرات ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ، جاءت الآية التي ترفع الأخوة فوق كل قرابة مهما كانت ، قال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة : ٨٥) ، وقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾ (التوبة: ٢٣)، وبهذا المفهوم الإسلامي الرفيع الذي رفع من قيمة الأخوة ، يتحول المسلمون في كافة أرجاء الكون إلى جسد واحد ، قال المصطفى صلوات الله عليه وتسليمه " مثل المؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى " رواه الشيخان .

كما يؤكد الرسول ﷺ هذا المعنى حينما بقول " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبك ﷺ بين أصابعه . . " رواه الشيخان وأبو داود والترمذي . ويقول النبي الكريم " المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه . ." رواه أبو داود والترمذي ، ومعلوم أن الضيعة هي ما يضيع الإنسان بضياعه كالصناعة والتجارة والزراعة ، فالمؤمن يحوط أخاه ويذب عنه ويحافظ على ماله ولو غائباً، كما أنه مرآة له يسأله عن حاله ليخبره بما يراه فيه ، فإن الإنسان ربما تخفى عليه بعض عيوبه فيسترشد إليها من خيار أصحابه ، كما ورد عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول لحذيفة بن اليمان " هل ترى فيّ شيء من علامات النفاق ، فيقول : لا والله يا أمير المؤمنين .

فما أسمى الأخوة الإسلامية كقيمة رئيسية من قيم المجتمع الإسلامي ، ويتمثل هذا السمو في كلمات النبي ﷺ " ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته " رواه أبو داود ، بيد أن هذه النصرة التي أو جبها الإسلام لا نظير لها لأنها بالحق وللحق ، فلقد أخبرنا النبي ووصانا بذلك " ولينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً ، إن كان ظالماً فلينهه ، فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره "رواه البخاري ومسلم والترمذي .

وما أسمى هذا المفهوم الإنساني الإسلامي العميق المعاني والمتعدد الوجوه للأخوة الصادقة والرابطة الأخوية العظيمة بين البشر جميعاً[1] .

فبالإخاء تحاب المسلمون عند الهجرة وفي كل مراحل نمو الدولة الإسلامية ، فلقد

(١) راجع : سعدي أبو حبيب ، الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام مرجع سابق، ص ٦١ ، ٦٢ .

دعا رسول الله إلى التآخي بين المهاجرين والأنصار فتآخي كل واحد من المهاجرين مع واحد من الأنصار ، وربط رسول الله بين الأوس والخزرج برباط الأخوة الإسلامية فقضى على ما في نفوسهم من عوامل الشقاق وأعاد الألفة بينهم جميعاً ، وبالأخوة وضع النبي الكريم أسس التكافل الاجتماعي بين المسلمين ، ذلك التكافل الذي غدا على الزمن شعيرة إسلامية وعليه قامت الوحدة الدينية التي سوت بين المسلمين وجعلت منهم أمة واحدة لا أثر فيها للشعوبية مهما تعددت دولهم أو اختلفت حكوماتهم أو للعنصرية مهما تمايزت أصولهم أو اختلفت ذواتهم أو ألوانهم ، فالتكافل الاجتماعي يعني جمع الناس على رباط واحد من كرامة الإنسان وتوفير الحياة الكريمة .

ويبلغ الإخاء الإسلامي حد الفريضة ، فلا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وهو إخاء يصل إلى أعلى درجات ومراتب السمو الإنساني إذا يرقى بالإنسان إلى غاية البر والرحمة من غير ضعف ولا استكانة ، ويعالج الإخاء الإنساني النقص في المساواة ، فأن يحب الإنسان لأخيه الإنسان ما يحبه لنفسه معناه أن تذوب الأنانية في بوتقة الغيرة والرحمة وأن تتضاءل النزعات الفردية أمام التكافل الاجتماعي ، وتقوم الفردية والجماعية على التوازن الخلقي ووازع الضمير ، ويقتضي الإخاء الإسلامي ألا يكون بين الناس تمايز في الجاه والسلطان أو استعلاء فرد على فرد ، أو حق لإنسان على إنسان غير ما يوجبه الضمير والخلق ، كما أن الرحمة كالتواضع والبر من مقومات الإخاء الإسلامي ، فالراحمون يرحمهم الله ، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء [(١)] .

بل إن الإخاء في الإسلام من عوامل السعادة في الدنيا والآخرة ، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن قال " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ... ومنهم رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ... " [(٢)]

فالإخاء الإسلامي لا يقف بمدلوله عند الحدود المألوفة للمعنى الدارج من حيث التكافل والتعاون بين الناس على السواء ، ولكن يتخطاه إلى المعنى الرحب الفسيح في

---

(١) راجع : د. حسين فوزي النجار ، الإسلام والسياسة ، مرجع سابق ، ص ص ٧٩-٨٢ .

(٢) متفق عليه .

الأخوة البشرية على المستوى الإنساني العام ، وهو ما يقتضيه معنى عموم الرسالة وأن الدين عند الله الإسلام ، فذا كان الإسلام قد أنكر العنصرية وقضى على التمايز بين معتنقيه ومنح غير المسلمين من الحقوق ما للمسلمين وكفل لهم الرعاية والبر ما للمسلمين ، فقد وضع الأساس القويم لمجتمع إنساني عالمي تنمحي فيه القومية والشعوبية وتزول فيه الفوارق بين الأمم والجناس زوالها بين الأفراد والمجتمعات ٠

فمن حق كل مسلم أن يدخل أخيه المسلم السرور على قلبه وأن يقضي حاجته ، فالله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ونحن المسلمون مأمورون من قبل الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ، وليس التعاون قاصراً على الأفراد فقط بل يشمل الجماعات والأمم والشعوب ، فالأخوة الإسلامية قيمة أساسية وركيزة اجتماعية وسياسية في البناء وفي المجتمع الإسلامي ، وهي قيمة تنبع من القيمة العليا للإسلام ألا وهي العدالة التي تتشكل بها وتتحدد جميع القيم ، فالتعامل في مجال الأخوة الإسلامية من منطلق أن الجميع سواسية ولتحقيق العدل الاجتماعي بين جميع المسلمين٠

٦-الأمن
كقيمة سياسية إسلامية

الأمن مبدأ هام في حياة الإنسان، وهو أساس من أسس وجوده ، ولا يتوفر الأم
للإنسان بمجرد ضمانه أمنه على حياته فحسب ، فهو كذلك يحتاج الأمن على عقيد
التي يؤمن بها وعلى هويته الفكرية والثقافية وعلى موارد حياته المادية ، وعلى استقرا
وسعادته وأولاده ، كما أن الشعوب تحتاج للأمن الداخلي والخارجي لضمان الاستقر
الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والاستقلال السياسي أيضا ، فالأمن سواء أكا
داخلياً أو خارجياً ضروري للفرد وللمجتمع ، ولذلك تأصل كمبدأ وكقيمة في نفس
الوقت ، فسيادة قيمة الأمن وتكامل عناصره في المجتمع يدفع الفرد والمجتمع إلى
الطمأنينة والاستقرار والتخطيط والعمل للمستقبل ، وهو يمثل في الإسلام عقيد
وشريعة وأصولاً اجتماعية هامة •

فالإسلام ينظر إلى الأمن بمفهومه الشامل الذي يحتاج إليه الفرد والمجتمع ، ولق
وردت كلمة الأمن وما يشتق منها في القرآن الكريم في مواضع عديدة ، بمعنى الأمر
الذي يضمن السلامة والاطمئنان النفسي وانتفاء الخوف على حياة الإنسان أو على م
تقوم به حياته من مصالح وأهداف وأسباب ووسائل ، أي ما يشمل أمن الفر
والمجتمع •

يقول الله عز وجل عن الأمن داخل الحرم الشريف كمثال للأمن ﴿ فيه آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمناً ﴾(آل عمران : ٩٧)، ومثل قوله سبحانه : ﴿ادْخُلُوا مصْ
إن شَاءَ اللَّه آمنينَ ﴾ (يوسف: ٩٩)، وقال الله تعالى عن الأمن بمعنى الأمان من الخوف
﴿لإيلاَف قُرَيْش * إيلاَفهِمْ رحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْف * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْت * الَّذِ
أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْف ﴾ (قريش :١-٤). بل وجعل الأمن نعمة كبرى
يجنيها الإنسان بالإيمان ويجب أن يشكر الله عليها ، قال سبحانه ﴿ وَضَرَبَ الله مَثَلا
قَرْيَةً كَانَتْ آمنَةً مُّطْمَئنَّةً يَأْتيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَان فَكَفَرَتْ بِأَنْعُم الله فَأَذَاقَهَا الله
لبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْف بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: ١١٢) ، وقال عز وجل أيضـــا :

﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾ (النور: ٥٥) .

وفي السنة النبوية الشريفة ما يؤكد أهمية الأمن في حياة الإنسان وفي الجماعة التي يعيش فيها ، يقول ﷺ " من أصبح منكم آمنا في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا ، رواه البخاري والترمذي وابن ماجه والطبراني ، وهذا هو المفهوم الشامل للأمن ، الأمن على نفس الإنسان وعلى سلامة بدنه من العلل والأمن على الرزق ، فجعل الرسول الكريم والنبي العظيم تحقيق هذا الأمن لدى الإنسان بمثابة ملك الدنيا بأسرها ، فكل ما يملكه الإنسان في دنياه لا يستطيع الانتفاع به إلا إذا كان آمنا على نفسه ورزقه ، ولقد دعا الرسول ﷺ إلى كل عمل يبعث الأمن والاطمئنان في نفوس المسلمين ونهى عن كل فعل يبث الخوف والرعب في جماعة المسلمين حتى ولو كان أقل الخوف وأهونه ، على اعتبار أن الأمن نعمة من أجل النعم على الإنسان ، فنهي عن أن يروع المسلم أخاه المسلم ، فقال " لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً " رواه الإمام أحمد وأبو داود ، كما نهي عن أن يشهر السلاح من المسلم على أخيه المسلم حتى لو كان مُزاحا وليس حربا أو عدوانا ، فقال " لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار " متفق عليه ، كما نهى عن أن يخفي الإنسان مالا أو متاعاً لأخيه ولو بقصد الهزار والتسلية وليس بقصد الاستيلاء عليه ، قال " لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً " رواه الإمام أحمد وأبو داود ، وكان من دعائه ﷺ " اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي " رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم .

وفي الوثيقة التي كتبها رسول الله لأهل المدينة والمهاجرين واليهود يوم قيام الدولة الإسلامية ، نصت صراحة على الأمن بمختلف أوجهه وأشكاله ، فقالت الوثيقة " من خرج آمن ، ومن قعد بالمدينة آمن ، إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن برّ واتقى " فالأمن يتحقق في الدولة الإسلامية لجميع المسلمين وغير المسلمين في خروجهم وبقائهم من غير ظلم ولا إثم ، وهذا هو الأمن العادل ، أي أن الأمن يكون من خلال العدالة الشاملة الكاملة ، فأمن الجميع بالعدل ، على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، حتى في فتح مكة عندما دخلها الرسول ﷺ بعد أن طرد منها بثمانية أعوام ، فلقد أعطى الأمان لأهل مكة سواء آمنوا أو لم يؤمنوا ، فقال لهم " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن

ومن أغلق عليه داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن " رواه أبو داود .

كما أن محاولة الإخلال بأمن الفرد والمجتمع عن طريق ارتكاب الجرائم والنهب والسلب وإرهاب الناس ونزع شعورهم بالأمن جزاؤه كبير جدا في الدنيا والآخرة وذلك تعظيم من الله لقيمة الأمن والاستقرار ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة : ٣٣) ، فذلك الحد يكفل الأمن للفرد والمجتمع .

فالأمن في الإسلام قيمة شاملة تشمل الأمن الاجتماعي والأمن الاقتصادي والأمن السياسي والأمن الوطني والأمن للدولة والأمن للفرد والمجتمع ، والأمن الثقافي والفكري وأمن المسلم وغير المسلم ، إنه دعوة شاملة وقيمة عليا نحو إقامة الأمن في مجتمع يسوده العدل والطمأنينة والاستقرار والحب[1] .

والأمان والأمن قيمة رئيسية في الإسلام ليس للمسلمين فقط بل لكل من يعيش على أرض الإسلام ، بل يؤكد الله عز وجل على هذا الأمر بالنسبة لكل السابقين من أهل الأديان جميعا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٦٢) .

وفي هذا السياق نلاحظ أن العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب لأهل القدس قال فيه ما يعني الأمان التام " أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار على أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وأن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على

---

(١) راجع د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام ، الرياض ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ١٩٩٧م ص ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٩ وما بعدها .

أهل إيلياء من الجزية •• ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم " وهذا العهد يوضح منتهى الأمان لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي مما يُعلي من قيمة الأمن[1] •

٧- النصيحة قيمة عظيمة فى الإسلام

النصيحة والنصح والتوصية والوصية من القيم السياسية الإسلامية التي يشار إليها بالبنان ، فالدين التصق بهذه النصيحة ، والنصيحة قد تكون التذكير بما جاء بالكتاب أو السنة ، أو التذكير بالحلال والحرام أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو التذكير بمواقف الصحابة أو بالعلم النافع والعمل الصالح والسلوك القويم •

فمجال النصيحة متسع وكبير ، وهي واجبة نحو المسلمين عامة ونحو أخوك المسلم بصفة خاصة ، وكما قال عليه الصلاة والسلام " الدين النصيحة ، قيل لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم "[2] ، فهي إذن قيمة كبيرة في المجتمع ولها حكم كبير فهي في درجة الجهاد وهو أعلى درجة ، كما جاء في حديث نبوي شريف آخر " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر "[3] ، فالنصيحة من القيم الإسلامية السياسية الهامة •

وأوصانا الحق بالتواصي بالحق والصبر وعمل الصالحات حتى أن الناس جميعاً في خسر إلا من يتواصى بالحق والصبر ، قال تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ١-٣)

والنصيحة تفرض على كل أفراد الشعب في المفهوم الإسلامي ، فيفرض على كل مجتمع أن يسمع فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء من الحاكمين أو المحكومين ،

(١) راجع : عباس العقاد : الديمقراطية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ١٢٠ ـ ١٢١

(٢) رواه مسلم •

(٣) رواه النسائي بإسناد صحيح

قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(آل عمران : ١٠٤)، ولا تكون الأمة الإسلامية خير أمة على وجه الأرض إلا بهذه الفضيلة ، قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(آل عمران: ١١٠)، حتى إذا وجب الجهاد فالنصيحة والتذكير واجبة في جميع الأحيان ، فلا تتوقف النصيحة لوجود الجهاد ، بل إن النصيحة تعتبر جهاد لأن أصحابها هم جند ينفرون للجهاد في سبيل التبشير والإنذار والتبصير ، وعلماء الأمة هم الذين يقومون بالنصح والتذكير في الأمور الفقهية ، قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٢) •

وقال تعالى : ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٦٢)، على لسان سيدنا نوح عليه السلام ، وعلى لسان سيدنا هود عليه السلام قال المولى عز وجل في النصيحة ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾(الأعراف: ٦٨) •

كما ارتبطت النصيحة بالإيمان والمبايعة على الإسلام والدخول فيه ، فلقد روي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال " بايعت رسول الله ﷺ على قامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم " متفق عليه ، وفي هذا السياق قال الحبيب المصطفى " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " متفق عليه • ومعنى النصيحة في الإسلام أن عماد الدين وقوامه النصيحة لأنها كلمة جامعة معناها حيازة الخير للمنصوح له •

كما أن النصيحة ليست قاصرة على الرعية فقط ، يل هي للحاكم ولكل مسلم ، فقال الرسول ﷺ" ما من أمير يلي أمور المسلمين ، ثم لا يجهد لهم " أي لا يتعب لهم " وينصح لهم ، إلا لم يدخل معهم الجنة " رواه مسلم ، ولم لا ••؟! ، فالجميع في الإسلام راع ومسؤول لا فرق بين مواطن عادي وحاكم ، فالجميع مأمور بالنصيحة ومأمور بتحمل المسؤولية ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال " سمعت رسول الله ﷺ يقول " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته : الإمام راع ومسؤول عن رعيته ،

والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته " متفق عليه ٠

٨-قيمة
التعاون والتكافل

قيمة إسلامية رئيسية لها جوانب سياسية عديدة ، والتعاون والتكافل همت وجهان من أوجه الإنسانية والكرامة البشرية في الإسلام ، فقبل أن تنشأ في الأمة الحرية والديمقراطية يجب أن يسبقها العلاقات الاجتماعية (أو ما يسميها البعض بالديمقراطية الاجتماعية) والتي تتمثل في التعاون : التعاون بالفكر والشعور على قضاء حقوق المجتمع وأداء فروضه وواجباته ، وأن تكون وظائف المجتمع عملا لا يتوقف على إرادة الحاكم أو نظام الحكومة ولا يستأثر به أحد دون أحد ولا طائفة دون طائفة ، بل موزع بين أبناء الأمة بأثرها ٠

ولقد رأينا في العدالة الاجتماعية والمساواة الاقتصادية والأخوة الإسلامية وغيرها من القيم الإسلامية الخالدة ما يجسد التعاون والتكافل في الإسلام ٠٠ ونشير هنا فقط إلى أهمية هذه القيمة في حياة المسلمين ٠٠

والتكافل الاجتماعي جزء من الأخوة الإسلامية ، فالإسلام يقرر مبدأ التكافل في كل صوره وأشكاله ، فهناك التكافل بين الفرد وذاته وبين الفرد وأسرته القريبة وبين الفرد والجماعة وبين الأمة والأمم وبين الجيل والأجيال المتعاقبة ، كما يفرض الإسلام التكافل الاجتماعي في كل صوره وأشكاله تمشياً مه نظرته الأساسية إلى وحدة الأهداف الكلية للفرد والجماعة ، وفي تناسق الحياة وتكاملها ، فيدع للفرد حريته الكاملة في الحدود التي لا تؤذيه ولا تأخذ على الجماعة الطريق ، ويجعل للجماعة حقوقها ويكلفها من التبعات في الوقت ذاته ، كفاء هذه الحقوق ، لتسير الحياة في طريقها السوي القديم ، وتصل إلى أهدافها العليا التي يخدمها الفرد وتحترمها الجماعة سواء[١]

(١) راجع : سيد قطب ، العدالة الاجتماعية ، دار الشروق ، ٧٤ ، ص ٦٢ ، ٧٥ ٠

والتعاون في المنظور الإسلامي له عدة جوانب متكاملة مثل : التعاون بالرأي والعمل والخلق والشعور وهو فريضة على كل فرد في الجماعة الإسلامية ، يقوم المجتمع بقيامها ويزول بزوالها ، وما هلكت أمة يتواصى أبناؤها بالحق ويتناهون عن الباطل ، وقد زالت الدول كما جاء في القرآن الكريم لهذا السبب ، قال تعالى : ﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة : ٧٩)، بل جعل الله عز وجل نجاة الإنسان في التعاون والتكافل واقتحام عقبة الإيمان بالعطف على الضعفاء واليتامى والمساكين ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (البلد: ١٢-١٧) كما يتساوى التعاون بالإحسان والتعاون بالوصية ، وعلى الناس جميعا أن يتعاونوا على جلب الخير ودفع الأذى ، قال تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ (المائدة : ٢) .

ويوجب الإسلام الإحسان ، لأن الإحسان جزء من التكافل والتعاون ، كما يوجب العمل ، لأن الغني مأمور بالإنفاق ، كقوله عـــز وجل : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾(الطلاق : ٧) ،

كما يكون التكافل الاجتماعي مع الأعداء والذميين ، كنوع من التكامل الإسلامي في بلاد المسلمين ، فلقد أمرنا رسول الله برعاية كل المواطنين داخل الدولة الإسلامية ، فقال عليه الصلاة والسلام " من قذف ذميا حد له يوم القيامة ببساط من نار " وقال " من آذى ذميا فقد آذاني " ويقول في موضع آخر " من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة " ولذلك ، لا ينسي الفاروق عمر هذه الأحاديث وهو يكتب وصاياه لولاته ، فيقول لعمرو بن العاص " إن معك أهل الذمة والعهد ٠٠ فاحذر يا عمر أن يكون رسول الله خصمك " ٠

ولما ذهب عمر بن الخطاب إلى الشام عند مقدمة الجابية من أرض الشام من أرض الشام مرَّ بقوم مجذوبين من النصارى ، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت ٠

ورأى عمر شيخاً يهوديا يتكفف ، فأمر له برزق يجريه عليه من بيت المال وقال له ما أنصفناك يا هذا أخذنا منك الجزية فتى وأضعناك شيخاً .



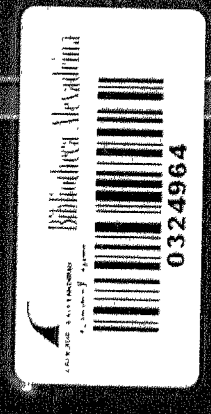


القيم السياسية في الإسلام

القيم السياسية الإسلامية هي من واقع الشريعة الإسلامية التي جاءت بالدين القيم والتي لابد وأن تتأصل في النفوس وتبني عليها الدولة ويستلهم منها النهج السياسي للحكم.

فالعدالة باعتبارها القيمة العليا في الإسلام، ثم الحرية والشورى، والمساواة، والأمن، والتكافل من دعائم الحكم التي تربط المواطن برباط متين مع من يُبايعون لتولي الأمر.

الناشر



الدار الثقافية للنشر